المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه......

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه لـم يتخذ صـاحبة ولا ولـدًا، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسـوله صـلوات الله وسـلامه عليـه وعلـى آلـه، وبعد.....

فهذه قصته خليل الرحمن إبراهيم ؑ وشيء من سيرته العطرة والآيـات الواردة في شأنه صلوات الله وسلامه عليـه وعلـى آلـه أسـوقها كجـزءٍ من عملـي الـذي مضـيت فيـه مـن قبـل والمتعلـق بقصـص الأنبيـاء والقصـص القرآني عمومًا، وقد قدمت منـه جملـة مـن القصـص القرآنـي، وتـم طبعهـا والحمد لله، والباقي بصدد طبعه إن شاء الله ۵.

وكما لا يخفى فالقصص القرآني شأنه عظيم، وقد ذهب بعض العلمـاء في شرحهم لحديث رسول الله ﷺ الوارد في فضل سورة الإخلاص، والذي تضمن أنها تعدل ثلث القرآن.

قال بعض أهل العلم: إن القرآن في الجملة يتناول – أغلب ما يتنـاول – ثلاثـة أمـور، أمـرٌ يتعلـق بالتوحيـد والمعتقـد وآخـر يتعلـق بالأحكـام والتشريعات والثالث يتعلق بالقصص والأخبار.

فكـان مـن اللائـق إذن، بـل ومـن الـلازم أن نتنـاول قصـص الأنبيـاء بالشـرح والبيـان، امتثـالًا لأمـر الله أيضـًا إذ قـال: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾.

وفضلًا عن ذلك فإن قِصـص الأنبيـاء ترقـق القلـوب وتثبتهـا بـإذن الله، قــال تعــالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، وكــذا فــإن

القصص القرآني تؤخذ منه العبر، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾.

فضلًا عن كونهم لنا قدوة ولنا أسوة فكان من الجدير بنا أن نتعرف على من هم أسُوتنا، ومن هم قدوتنا فدراسة قصصهم تُصحح المعتقدات وتهذب الأخلاق وتُقَوِّم الآداب وترقق القلوب وتُسكن الفؤاد بإذن الله ٥.

وجديرٌ بمن يضعون المناهج التعليمية في المدارس والجامعات وفي المساجد والمؤسسات العلمية أن يُولُوا القصص القرآني اهتمامًا، فدراسة قصصهم بلا شك خيرٌ من دراسة تاريخ قدماء المصريين ودراسة تاريخ الأشوريين والبابلين والفينيقيين وغيرهم.

فهلموا إخواني بارك الله فيكم إلى كتاب الله ٥ وسنة رسوله الكريم ﷺ وإلى ما فيهما من قصص هؤلاء الأنبياء والمرسلين والأتقياء الصالحين.

وهذه قصة نبي كريم، أسوة لنا وللعالمين:

- قصة خليل الرحمن إبراهيم ع فقد اتخذه الله خليلًا.
- قصة إبراهيم المسلم المؤمن المحسن.
- قصة إبراهيم الذي وفىَّ كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾.
- قصة رسول كريم من أُولي العزم من الرسل.
- قصة نبيٍّ حليم أواهٍ مُنيب!!
- قصة رسولٍ كريم جاء رَبَّه بقلب سليم!!
- قصة صدّيقٍ نبي، قصة عاقل رشيد آتاه الله رشده.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾.

- قصة نبي شجاع لا يُبالي بتهديدات أعداء الله، بل يثبت على الحق بتثبيت الله له.

۞ قصة الرسول الذي اجتمعت فيه خصال الخير، وقد قال الله في شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

۞ إلى قصة هذا الرسول الكريم الذي أمرنا الله ٥ بالتأسي به إذ قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

۞ إلى قصة من أمرنا الله باتباع ملته إذ قال لرسولنا الأمين ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

۞ إلى قصته وتدارسها سائلًا الله أن يلحقنا بهذا النبي الكريم وبالمنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

NNO PMM

(8) أحمر أسود

!+

التعريف بالخليل إبراهيم غ

وبيان وجوه اصطفائه ومناقبه وكذا بيان أوصافه ﷺ

نسب إبراهيم ﷺ وشيء من التعريف به إجمالاً

أقول -وبالله التوفيق-: القدر الذي أستطيع إثباته في نسب إبراهيم غ أنه إبراهيم بن آزر فآزر هو أبوه كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾.

وفي الصحيح(1) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ف، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ(2) مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»**.

هذا، وقد جمع بعض العلماء بين قول القائل إن اسمه تارح وبين ما ورد في الكتاب والسُّنة من أن اسمه آزر بما حاصله قد يكون تارح لقب له واسمه الصحيح آزر. والله أعلم.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في قصص الأنبياء، أنه إبراهيم بن تارح بن

(1) البخاري (3350).

(2) الذيخ المتلطخ هو الضبع المتلوث بعذرته.

ناحور ابن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح غ. ونقل هذا عن أهل الكتاب، فالله أعلم.

هذا، وقد ذكر بعض أهل العلم أقوالًا في مكان ولادته ﷺ فقال بعضهم: وُلد ببابل (من العراق) وقال آخرون: وُلد بغوطة دمشق، وثمَّ أقوال أُخر ولا أعلم لها مستندًا صحيحًا.

وذكر بعض أهل العلم أيضًا أنه تزوج سارة ژ، وهذا صحيح بلا شك وسيأتي ما يؤيد ذلك، ولكن مَنْ سارةُ هل هي ابنة عمه هاران؟ أم أنها ابنة ملك حرَّان، وكانت قد آمنت به؟ فالله أعلم هل هي بنت هاران أم بنت ملك حرَّان أو غير ذلك.

وقالوا أيضًا إن أهل بلدته كانوا يعبدون النجوم والأصنام، فأرسله الله ۵ إليهم لهدايتهم ولكن قد كان من أمره معهم ما كان!!

هذا، وقد اصطفى الله ۵ إبراهيم غ بوجوه من الاصطفاء واختاره واجتباه، وهذه بعض وجوه اصطفائه ﷺ.

وجوه اصطفاء إبراهيم وآل إبراهيم على العالمين

في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

أقول، -وبالله تعالى-: التوفيق لقد اصطفى إبراهيم غ على الناس بأمور عظيمة، أذكر منها ما يلي:

الأول: أن الله ٥ اتخذه خليلًا، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾.

الثاني: أن الله ٥ جعله من أولي العزم من الرسل.

الثالث: أن الله ٥ جعله إمامًا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ ﴾.

الرابع: أن الله ٥ جعل الأنبياء من بعده كلّهم من ذريته، ومريم أم عيسى غ من ذريته قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ قيل المراد النبوة والرسالات، وقيل كلمة التوحيد.

الخامس: أن الله ٥ آتاه رشده منذ صباه قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾.

السادس: أن الله ٥ أراه ملكوت السماوات والأرض وجعله من الموقنين. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾.

السابع: أنه صدق الرؤيا وأقدم على ذبح ولده ففداه الله بذبح عظيم، وجعله من المحسنين قال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

(12) أحمر
أسود

الثامن: أن الله ٥ جعله صدِّيقًا نبيًّا قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾.

التاسع: أن الله ٥ آتاه الصحف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

العاشر: أن الله ٥ جعل النار عليه بردًا وسلامًا.

الحادي عشر: أنه وفىَّ بما أُمر به، قال تعالى: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾.

الثاني عشر: أن الله ٥ شهد له بأنهُ كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين.

الثالث عشر: أن الله ٥ وصفه بأنه قانتٌ لله ووصفه بأنه أمة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

الرابع عشر: أن الله شهد له بالإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.
بل وبالإحسان إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. فهو مسلم مؤمن محسن ﷺ.

الخامس عشر: أن الله ٥ جعله أسوة حسنة لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

السادس عشر: أن الله ٥ اجتباه وجعله شاكرًا لله. قال تعالى: ﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾.

السابع عشر: أن الله ٥ آتاه في الدنيا حسنة وجعله في الآخرة من الصالحين.

الثامن عشر: أن الله ٥ أمره أن يبني المسجد الحرام (الكعبة) وعندها مقام إبراهيم الذي هو من الآيات البينات. وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾.

التاسع عشر: أن الله ۵ وهب له عند الكبر إسماعيل وإسحاق ونعمة من الله عظيمة أن يرزق الرجل بولدين ويكونا نبيين.

العشرون: أننا نذكره في أذكار الصباح والمساء «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»(1).

الحادي والعشرون: أن الله ۵ سلّم عليه بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

أي أن سلام الله ۵ على إبراهيم أعظم من سلام الناس فإذا كنا تركنا عليه في الذين جاءوا من بعده ثناءًا حسنًا على ألسنتهم فسلام الله ۵ عليه أفضل من سلام الناس ومن ثنائهم عليه(2).

الثاني والعشرون: أن الله ۵ آتاه الحجة على قومه ورفع درجته قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾.

الثالث والعشرون: أن سورة من سور الكتاب العزيز تسمّت باسمه وهي سورة إبراهيم.

الرابع والعشرون: أن الله ۵ رزقه الشجاعة؛ شجاعة أمام قومه إذ قال ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾. وقال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾.

ومن ذلك ثباته حتى أُلقي في النار وثباته عند لقاء الجبابرة ولقاء الذي حاجّه في ربّه.

الخامس والعشرون: ومن وجوه الاصطفاء ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ

(1) أحمد (3/ 406) بسندٍ صحيح.
(2) وسيأتي لذلك فريد بيان إن شاء الله.

﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١
وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسۡلِمُونَ﴾

[البقرة: 130- 132].

السادس والعشرون: أن الله ٥ منَّ عليه بأن آمن لَهُ لوط قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾، فهي نعمة أن يهدي الله على يديه رجلًا ويكون الرجل نبيًّا.

السابع والعشرون: أن الله سلَّم امرأته من بطش الجبار.

الثامن والعشرون: أن الله ٥ أحيا له الطير بعد أن جعل على كل جبل منهن جزءًا فدعاهن إبراهيم غ فأتينه سعيًا.

التاسع والعشرون: ومن وجوه الاصطفاء أن الله ٥ آتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكًا عظيمًا.

الثلاثون: ومن وجوه الاصطفاء أن النبي ﷺ رأى الأطفال حول إبراهيم غ في الجنة(1).

الحادي والثلاثون: أن الله ٥ أثنى عليه وترك ثناءً حسنًا عليه بعد موته، قال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

الثاني والثلاثون: من ذلك أننا نصلي عليه في كل صلاة نصليها وكذا نصلى على آله، «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(2).

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 7047) من حديث سمرة بن جندب ف مرفوعًا وفيه « **وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ [ص:46] الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ** ﷺ، **وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ...**»الحديث.

(2) البخاري (مع الفتح 6/ 408).

الثالث والثلاثون: قول رسول الله ﷺ في شأن إبراهيم غ إنه خير البرية. أخرج مسلم من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ف قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ** غ »(1).

بابٌ في معنى قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

هذه الكلمة هي قول: لا إله إلا الله. هذا قول جمهور المفسرين، وقال بعض أهل العلم: هي الإسلام، وهذا الأخير قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فقد صح عنه عند الطبري، أنه قال في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ فقرأ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 131]، قال: جعل هذه باقية في عقبه، قال: الإسلام، وقرأ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78]، فقرأ: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: 128].

والذي جعلها باقية في عقب إبراهيم هو الله ۵ تفضلًا منه وامتنانًا على إبراهيم غ جعل الله ۵ في ذريته من يتولى (لا إله إلا الله).

قال الحافظ ابن كثير $: أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله» أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم غ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها.

قال القرطبي $: وضمير الفاعل في ﴿جَعَلَهَا﴾ لله ۵ أي وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه وهم ولده أي إنهم توارثوا البراءة عن عبادة

---

(1) أخرجه مسلم (2369)، وهذا محمول على أحد أمرين:
أحدهما: أن ذلك كان قبل أن يعلم النبي ﷺ أنه سيد ولد آدم.
الثاني: أن يكون النبي ﷺ قال ذلك تواضعًا والله أعلم.

غير الله وأوصى بعضهم بعضًا في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾. أي: يرجعون إلى طاعة ربهم وإلى الإسلام وإلى كلمة التوحيد.

قال الطبري $: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم ويثُوبوا إلى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أي: يتوبون أو يذكرون. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]، ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

أقول -وبالله التوفيق-: وُصف إبراهيم غ بالإحسان وبالإيمان كما في الآيتين السابقتين.

وحاصل المعنى -والله أعلم-: وكما جزينا إبراهيم غ بالثناء الحسن بعد موته، وكما أكرمناه بالذي أكرمناه به، فإننا نكرم كلَّ محسنٍ.

أما قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: إبراهيم غ ﴿مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المصدقين بوحدانيتنا المقرين بها الموقنين بها.

قال الطبري $: وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

NNO PMM

(1) فيه إشارة إلى أن إبراهيم كان مُحسنًا، ولا شك في كونه كان كذلك.

وصف إبراهيم ﷺ بالكريم

قال الإمام البخاري $[1]: حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الله حَدَّثَنا يَحْيى بْنُ سَعيدٍ حَدَّثَنا عُبَيْدُ الله قالَ: حَدَّثَنى سَعيدُ ابْنُ أَبي سَعيدٍ عَنْ أَبِيه عَنْ أَبـي هُرَيْـرَةَ **ف:** «قيلَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَكْرَمُ النَّاس؟ قالَ: **أَتْقَاهُمْ**. فقَالُوا: لَيس عَنْ هذَا نَسْـأَلُكَ؟ قالَ: **فَيُوسُفُ نَبيُّ اللهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خليل اللهِ**. قـالوا: لـيْسَ عـن هـذا نَسْأَلُكَ. قالَ: **فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُون؟ خِيَارُهُمْ فِـي الْجَاهلِيَّـة خيَـارُهُمْ فِـي الْإِسْلَامِ إذا فَقُهُوا**».

قالَ أَبُو أُسَامَةَ ومُعْتَمِـرٌ: «عَنْ عُبَيْدِ الله عَنْ سَعيدٍ عَنْ أَبـي هُرَيْـرَةَ عَـنِ النَّبيِّ ﷺ».

NNO PMM

---

(1) البخاري (3353).

بابٌ: في وصف خليل الرحمن إبراهيم غ

على ما يبدو والله تعالى أعلم أن صفة خليل الرحمن إبراهيم غ تُشبه في الجملة صفة رسولنا محمد ﷺ اللهم إلا الطول فيما يظهر أن إبراهيم غ كان طويلًا بينما كان رسول الله ﷺ (وسطًا) أما الدليل على ما ذكر فمنه ما يلي.

ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﭭ، وذلك من طريق مجاهد عنه، قال مجاهد: كنا عند ابن عباس ﭭ، فذكروا الدجال فقال: «**إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ**».

وقال ابن عباس: لم أسمعه قال ذلك ولكنه قال: «**أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ**»[1].

وأخرج أحمد في مسنده بسندٍ صحيح عن جابر ﭬ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ**.... فذكر الحديث وفيه **وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ** غ».

فإذا أقرب من رأيته به شبهًا صاحبكم – يعني نفسه ﷺ[2].

وقال الإمام البخاري $:

حدثنا مُؤَمَّلٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل: حَدَّثَنَا عَوْفٌ: حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ: حَدَّثَنَا سَمُرَةَ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ طَوِيلٍ لا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا، وَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ** ﷺ»[3].

NNO PMM

---

(1) البخاري (5913).
(2) أحمد في المسند (3/ 334).
(3) أخرجه البخاري (3354).

صفة نبينا محمد ﷺ تلك التي تشبه صفة الخليل غ

هذا، ولأن نبينا محمدًا ﷺ كان أقرب الناس شبهًا بخليل الرحمن إبراهيم غ، فكان من الجدير بنا أن نورد شيئًا من صفة رسولنا محمد ﷺ.

فأقول، وبالله التوفيق: كان رسول الله ﷺ أبيض بياضًا حسنًا ليس بالبياض المكروه ولا المذموم ولا الذي يشبه البرص أخرج البخاري ومسلم(1) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ف قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلاَ بِالآدَمِ، وَلَا بِالجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبِطِ»، وقوله: «ليس بالطويل البائن» أي: المفرط في الطول.

«وليس بالأبيض الأمهق» -الذي هو شديد البياض- ذلكم البياض الذي يشبه البرص أو يشبه الجص، وهو البياض المذموم، فلم يكن النبي ﷺ كذلك وقوله: «ولا بالآدم» أي: ليس بالأسمر، وقوله: «ولا بالجعد القطط» أي ليس شعره بالأكرت الجعد شديد الجعودة.

وقوله: «ولا بالسبط» أي وليس بالمسترسل شديد الاسترسال.

وأخرج البخاري(2) من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سُئِلَ البَرَاءُ، أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِثْلَ القَمَرِ».

وعند مسلم نحوه من حديث جَابِرِ بْنَ سَمُرَةَ، قَالَ لَهُ: رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ»(3).

وقال بعض أهل العلم: وجهه مثل القمر في التدوير واللمعان.

---

(1) البخاري (3547)، ومسلم (2347).
(2) البخاري (3552).
(3) مسلم (2344).

وعَنِ الْبَرَاءِ ف قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ»(1).

وعن البراء أيضًا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، عَظِيمَ الْجمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»(2).

والجمة هي شعر الرأس إذا سقط على المنكبين.

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ كَعْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ قَالَ: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»(3).

وعَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ف قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَرَأَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: نَعَمْ، «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ»(4).

وعَنْ أَنَسٍ ف أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، قَالَ: فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ الله ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ الله ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ الله ﷺ وَانْحَسَرَ الإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نَبِيِّ الله ﷺ فَإِنِّي لأَرَى بَيَاض فَخِذِ نَبِيِّ الله ﷺ....الحديث(5).

والشاهد منه فإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ.

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ف قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ

(1) أخرجه البخاري (3549)، ومسلم (2347).
(2) البخاري (3551) ومسلم (2337).
(3) البخاري (3556)، ومسلم (2769).
(4) مسلم (2340).
(5) أخرجه البخاري (371)، ومسلم (1365).

الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ»(1).

وقوله: منهوس العقب أي: قليل لحم العقب.

وعَنْ أَنَسٍ ف قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ وَلَا قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ بَسِطَ الْكَفَّيْنِ»(2).

وعَنْ أَنَسٍ ف، قَالَ: «مَا شَمِمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلَا مِسْكًا وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(3).

وقد جمع الحافظ ابن حجر بين الحديثين فقال: «والجمع بينهما: أن المراد: اللين في الجلد، والغلظ في العظام، فيجتمع له نعومة البدن وقوته، أو حيث وصف باللين واللطافة حيث لا يعمل بهما شيئًا كان بالنسبة إلى أصل الخلقة، وحيث وصف بالغلظ والخشونة فهو بالنسبة إلى امتهانهما بالعمل، فإنه يتعاطى كثيرًا من أموره بنفسه ﷺ»(4).

NNO PMM

(1) مسلم (2349).
(2) البخاري (5907).
(3) البخاري (3561) ومسلم (2330) واللفظ له.
(4) فتح الباري (6/ 576).

(22) أحمر
أسود

≅+

قصة الخليل إبراهيم ﻍ مع قومه عُبَّاد الأصنام وإنكاره ما هم عليه من العبادة الباطلة ومناظراته ومحاججاته لأبيه وقومه وتحطيم الأصنام وإلقاؤه في النار ونجاته منها وجعلها عليه بردًا وسلامًا

ذِكر القصة على وجه الإجمال:

أقول، -وبالله التوفيق-: لقد نشأ إبراهيم ﻍ في بيت أبيه، وكان أبوه من عبَّاد الأصنام المدافعين عنها أشد الدفاع والمنقطعين لعبادتها، فكان أبوه آزر كافرًا يعبد الأصنام، أما أمّه فلم تُذكر في الكتاب العزيز، ولا في السنة المباركة بسوءٍ ولا مكروه والظاهر أنها، والعلم عند الله، كانت مسلمة، ومستند ذلك أن إبراهيم ﻍ استغفر لوالديه وتراجع بعد ذلك عن الاستغفار لأبيه فقط، فبقى استغفاره لأمه، ومعلوم أنه لا يستغفر للمشرك إذا مات على شركه، وقد دلَّ على ما ذُكر قول الخليل ﻍ ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾.

أما استغفاره لأبيه فقد تراجع عنه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ ﴾.

ولما يرد أن الخليل عُوتب على الاستغفار لأمه!

لكن يبقى سؤال هل أسلمت بعد بعثته؟ أم أنها كانت مُسلمة على ملة نوح ﻍ ؟ الله أعلم بالصواب من ذلك.

فالحاصل: أن إبراهيم ﻍ نشأ في بيت أبيه، وكان أبوه كافرًا يعبد

الأصنام، ثم إن الله ۵ قد منَّ على إبراهيم غ منذ الصبا فآتاه الله عقلًا سديدًا ورأيًا رشيد وفهمًا جيدًا، وهو سبحانه أعلم بالعباد، وأعلم حيث يجعل رسالته فنظر الخليل فيما يحدث في بيته، وفيما يحدث من حوله وفيما يصنعه قومه، فإذا بالقوم يدعون الأصنام من دون الله، ويعبدونها مع عبادته لله.

وهل كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام مع عبادتهم لله، فهذا هو الشرك.

أم أنهم كانوا يعبدون الأصنام ولا يعرفون الله ۵ أصلًا؟ .

الظاهر الأول، أنهم كانوا يشركون بالله فيعبدون معه غيره ويدعون معه غيره، والدليل لذلك أن إبراهيم غ تبرأ من معبوداتهم إلا عبادة الله ۵ فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾.

فالحاصل أن الخليل غ فكَّر فيما يصنعه قومه فإذا بهم قد حادوا عن وجه الحق والصواب وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا ودعوا مع الله ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا!!

لقد رآهم يعبدون حجارة لا تنفع ولا تضر!!

لقد رآهم يصنعون بأيديهم تماثيل من الحجارة ثم يعبدونها ويسألونها ويسجدون لها ويركعون، ويقفون أمامها متضرعين خاشعين سائلين راجين، وهم الذين قد صنعوها بأيديهم!!

رآهم يعبدون أصنامًا لا تدفع عن نفسها فضلًا عن غيرها ضرًّا ولا تجلب لأحد نفعًا!!

رأى أصنامًا لو ضربها بمعوله لتكسرت وتحطمت!!

فحقًّا إن هذا لشيءٌ يستدعى الإنكار على من فعله!

حقًّا إنه لشيءٌ يثير العجب ممن يفعل ذلك!!

فكيف يصنع الشخص شيئًا بيديه ثم يزعم أنه إلـه ثـم يرجـوه ويتضـرع إليه ويسأله ويركع له ويسجد!!!

لقد رزق الله ٥ إبراهيم غ الفهم السديد والـرأي الرشيد والقلـب السـليم والعقل الراجح المستنير!!

فمن ثـمَّ ولأن الله تبـارك وتعـالى رزقـه الفهم والإيمـان والقلـب السـليم رفض عبادة هذه الأصنام.

لم يركع لها الخليل ولم يسجد، ولم يسألها ولم يرجُها ولم يخشها!.

بل تعجب أشد التعجب ممن فعل ذلك!!

ولم يقف أمره عند التعجب بل قَدَّم النصح والتذكير!!

وأنكر المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة!!

وسار على النهج القويم نهج نوح غ، سار على ملة التوحيد والإسـلام، فقد قال الله ٥ في شـأن نـوح غ ﴿ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أي: مـن الـذين ساروا على منهجه ودينه وعقيدته إبراهيم غ.

ومن المعلوم أن أولى الناس بالنصح والتذكير الوالـدين فنصـح الخليل أباه وذكَّره ووعظه كما هو مبسـوط وسـيأتي إن شـاء الله فـي سـورة مـريم وفي غيرها من السور.

فكان مما قاله الخليل لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾.

ولفت نظر أبيه إلى بطلان عبادة الأوثان إذ قـال لأبيـه وقومـه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: ملازمون لها مستمرون على عبادتها.

وأعلن الخليل عن براءته من الأصنام وعبادتها، إذ قال لأبيه وقومه ﴿

إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴾ وذكَّر قومه وذكَّرهم وذكَّرهم، وما توانى عن النصح والتذكير، فقال لهم في شأن الأصنام وعبادتها: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ وذكَّر قومه بأنواع من التذكير وبصور من صور الوعظ ولكن ما آمنوا به ولا صدقوه، فلما سألهم الخليل عن سبب عبادتهم الأصنام أجابوه بقولهم ﴿ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ فهذه حجتهم أنهم فقط وجدوا آباءهم يعبدونها فعبدوها كما عبدها آباؤهم، فحينئذ ولما لم يُبد القوم سببًا لعبادتها إلا أنهم وجدوا الآباء على ذلك أعلن الخليل عن عداوته لآلهتهم هذه وأعلن عن براءته منها إذ قال، وبوضوح وعدم التواء، وعدم تعريضٍ، فقال غ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

ووصف قومه بالضلال لعلهم ينزجرون عما هم عليه فقال: ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ وعرَّفهم الخليل غ بالله ٥.

عرَّفهم برب العالمين الذي لا تصرف العبادة إلا له سبحانه، فقال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

وحاور قومه محاورات وجادلهم مجادلات كما سيأتي في سورة الأنعام وغيرها وكذا نظر في آفاق السماوات والأرض، وفي ملكوت السماوات والأرض نظرة المستدل بذلك على وحدانية الله ٥.

ولكي يبين لهم بطلان آلهتهم وبطلان عبادتهم لها وأنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك لنفسها فضلًا عن غيرها نفعًا ولا ضرًّا، أضمر الخليل في نفسه تحطيم هذه الأصنام وتكسيرها وتفتيتها.

بل، وأبدى ذلك لبعضهم، وأقسم عليه إذ قال ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾.

هذا، وقد كان القوم يظنونه يمزح أو يلعب أو يداعبهم بمقولاته هذه، فلم يكونوا ليتوقعوا أن ينال أحدٌ آلهتهم بسوءٍ ولا أن يعيبها حتى فوجئوا بإبراهيم غ يقول لهم ما قال: ويقرر أن هذه الأصنام ليست بآلهة، ولا تستحق أن تُعبد من دون الله، وقرَّر أن الإله الحق الذي يجب أن يُعبد وأن يفرد بالتوحيد والعبادة هو الله ٥ رب السماوات والأرض الذي فطرهن .

وشهد الخليل لربِّه ٥ بذلك قائلًا ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وكما سلف فإن الخليل إبراهيم غ عزَم على أن يكسر هذه الأصنام ليثبت لقومه بطلان عبادتها، وأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها فضلًا عن غيرها فخرج القوم يومًا لبعض أمورهم وتركوا الأصنام بلا حارسٍ يحرسها، وقد قيل إن هذا اليوم الذي خرجوا فيه كان يوم عيدهم(1) فدعوا إبراهيم غ للخروج معهم كي يشاركهم أفراحهم، فتعلَّل صلوات الله وسلامه عليه بالمرض فقال معتذرًا عن الخروج ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾(2).

أي: إني مريض، فانصرفوا عنه وابتعدوا عنه وخرجوا من البلاد لأفراحهم، فذهب الخليل وبسرعة إلى أصنامهم التي اتخذوها آلهة وعبدوها من دون الله، ذهب إليها وعرض عليها الطعام كي يُبرهن بعد ذلك للقوم أنها لا تأكل ولا تشرب ولا تنطق فقال لآلهتهم: ألا تأكلون؟ فوجدها لا تجيبه بشيءٍ فأقبل عليها وبسرعة وبقوةٍ وكسرها تكسيرًا، وحطمها تحطيمًا وفتتها تفتيتًا، إلا أنه ترك الصنم الأكبر لمُ يفتته ولم يكسّره كي يراجعوا أنفسهم، كي يعاتبوا صنمهم الأكبر لم تركت هذه الأصنام تُكسر؟! لمَ لمْ

---

(1) كذا قيل فالله أعلم.

(2) وهذه إحدى الثلاث كذبات التي يذكرها الخليل عليه السلام عند اعتذاره عَنِ الشفاعة العظمى، وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله.

تدافع عنها وتنتقم ممن كسرها؟

وأيضًا كي يسألوا هذا الصنم مَن الذي كسر هذه الأصنام؟؟

هل رأيت أيها الصنم مَن كسر الأصنام؟ أخبرنا إن كنت تنطق؟ أخبرنا إن كنت تُبصر؟!

فلهذا ولغيره ترك الخليل إبراهيم ع الصنم الأكبر بلا تحطيم ولا تكسير!!

فرجع القوم من عيدهم، رجعوا إلى بلدهم، وإلى مَعبدهم وإلى أصنامهم وأوثانهم، فإذا بمنظر لم يتوقعوه! ولم يخطر لهم على بال!! إذا بالأصنام محُطمةٌ إذا بها مُفتتة قطعًا، إذا بها قد كُسِّرت تكسيرًا!!

فتسائلوا فيما بينهم ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كذا وصفوا من كسرها بأنه ظالم، وكان من المفترض أن يُقلِعُوا عن عبادتها إذ رأوها قد تحطَّمت وتكسَّرت ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور!!

لقد تساءل القوم فيما بينهم من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين؟!

فأجاب بعضهم بقولهم:﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي سمعناه يذكرهم بسوء ومكروه!، سمعناه يُزهِّد في عبادتها، سمعناه يتوعدها!! فأرادوا أن يتثبتوا من الخبر، أرادوا أن يُحققوا في الموضوع ويتبينوا هل الخليل فعل ذلك أم لا؟!!

فأرسلوا إلى إبراهيم ع واستدعوه بسرعة للتحقيق معه في هذه القضية.

ومن عجيب أمرهم أنهم وهم كفارٌ أرادوا التثبت من أن إبراهيم فعل ذلك، ولم يعاقبوه بدون تحقيق معه بل أتوا به واستدعوا الشهود على مقالاته كذلك إذ قالوا: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ كي يشهد عليه بمقالته من سمعه يتكلم في شأن الأصنام وكي يشهد الناس محاكمة

الخليل ومن ثم ينتصرونَ لأصنامهم وتشفى صدورهم ممن كسرها وحطمها!!

فأحضروه، أتوا به للمحاكمة أمام الناس كلهم محاكمة علنية فقال لهم أيضًا موبخًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾؟!! فسألوه سؤالًا: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾؟! فأجاب الخليل موبخًا لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ (1) هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾.

فحينئذٍ، ولما قضى إبراهيم غ مقولته فكَّر القومُ فيما قاله الخليل إبراهيم غ، فقال بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي بعبادتكم هذه الأصنام ظلمتم أنفسكم فما هي لا تنفع ولا تضُر ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلًا عن غيرها، وكاد البعض أن يهتدي ولكنهم وبسرعة وكي يجامل بعضهم بعضًا على الكفر رجعوا مرةً ثانية إلى الكفر وانتكسوا وتوجهوا ثانية، بالعتاب لإبراهيم غ قائلين ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: إنك تعلم يا إبراهيم أن هذه الآلهة لا تتكلم فلذا أمرتنا بسؤالها!.

فاشتد توبيخ الخليل إبراهيم غ لهم إذ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي تقذرًا لكم ولمعبوداتكم التي تعبدونها من دون الله، فأفعالكم – عبادتكم للأوثان – قذرة والمعبودات كذلك، أفٍ لها تقذرًا لها. أليست عندكم عقول تعقلون بها؟!! أليست عندكم أفهام؟!!

وأصرَّ الخليل غ على موقفه من الأصنام ولم يخش في الله لومة لائمٍ!!

فماذا كان من القوم؟ ماذا كان من عبدة الأصنام، وقد رأوا أصنامهم تكسَّرت وتحطمت!!

(1) وهذه الكذبة الثانية التي يذكر رسولنا ﷺ أن الخليل كذبها.

ماذا منهم لما رأوا الخليل إبراهيم مُصرًّا على ازدرائها واحتقارها والتنفير عنها والتبرؤ منها!!

لقد قال بعضهم لبعض: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾.

لقد اختاروا له أشد صور العذاب، نارٌ توقد ويلقى فيها!! لقد تواصوا فيما بينهم بذلك! وبذلك جاءت قرارات حكامهم الموافقة لأهواء أكثر شعوبهم ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾.

وهكذا فعلوا، بنوا له بنيانًا عظيمًا وقيل وضعوه في المنجنيق، وأضرموا نيرانًا عظيمة، كلٌ قد ساهم في إضرامها، وإشعالها، وأُتى بالخليل غ لعله يرجع عن قوله، لعله يرجع عن تسفيه آلهتهم؟ ولم يرجع الخليل إبراهيم عن قوله ولم يتراجع، بل يعتمد أحسن الاعتماد على الله ٥ ويتوكل أحسن التوكل على الله، ويدعو ربَّه قائلًا ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾(1).

فهكذا حضرت جموع البشر لمشاهدة هذا المنظر، لمشاهدة الخليل وهو يُلقى به في النار، كي تُشفى صدورهم، كي ينتصروا لآلهتهم الباطلة! لقد حضرت الجموع وأضرمت النيران ووضع إبراهيم في البنيان الذي سيلقى من فوقه في النار!!

والكل ينتظر من إبراهيم غ كلمة تراجع أو كلمة اعتذار!! ولكن يأبى الخليل إلا الإصرار على موقفه ولم يتراجع ولم يعتذر، بل يؤكد ما قاله ويثبت ما قاله!!

فحقًّا إنها لشجاعةٌ أيد الله بها خليله إبراهيم غ! وحقًّا إنه لثبات عظيمٌ من عند الله ٥ فهو الذي يثبت القلوب.

(1) كما قد ورد بذلك الأثر وسيأتي إن شاء الله.

(30) أحمر
أسود

فأعود قائلًا: لقد اجتمعت الجموع وحُشدت الحشود وأُوقدت النيران واشتعلت وأوتى بالخليل غ ليقذف به في النار، وسلامه الذي يملكه هو الاعتصام بالله وحسن التوكل عليه، ومن أذكاره التي كان يذكر الله بها ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(1).

وبعد فأُلقي بإبراهيم غ في النار العظيمة التي أوقدوها له كي يتخلصوا منه بإحراقه!! قُذف بخليل الرحمن في النار المستعرة المشتعلة!! قُذف به في الجحيم وهو يقول حسبي الله ونعم الوكيل!

ولكن ما كان للنار أن تحرق إلا بإذن الله، وربي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، والذي أودع النار القدرة على الإحراق هو الله والذي يسلبها القدرة على ذلك هو الله ٥.

لقد قال الله سبحانه وتعالى للنار: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هكذا أمر الله ٥ النار أن تكون بردًا، وليس بردًا فقط، بل بردًا وسلامًا فالبردُ وحده قد يضرُّ، ولكنها جعلت بردًا وسلامًا فكانت النار كذلك بإذن الله، كانت على إبراهيم بردًا وسلامًا، والكل يتوقع أن يكون إبراهيم قد هلك والكل يتوقع أن إبراهيم غ قد احترق، ولكن الله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

لقد كانت دواب الأرض، باستثناء الوزغ تطفئ النار عن إبراهيم غ ففي الصحيحين من حديث أم شريك ف قالت: أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغ وقال: «**كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ غ**»(2).

---

(1) أخرج البخاري (4563) من حديث ابن عباس ڤ قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم غ حين أُلقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قيل له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

(2) البخاري (3307) ومسلم (2237). وله لفظ عند أحمد من حديث عائشة مرفوعًا «**إنَّ إبْراهيمَ لما أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِي الأَرْضِ دَابَّةٌ إِلَّا أَطْفَأَتِ النَّارَ عَنْهُ غَيْرَ الوَزَغِ فإنَّها كانَتْ تَنْفُخُ عَلَيْهِ**». أخرجه أحمد (6/ 83) وابن ماجه (3231).

لقد كانت النار، وكما أمرها الله ۵ بقوله ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ فكانت كذلك وسلم الله الخليل إبراهيم غ ونجاه وحفظه ورعاه.

وأبطل الله كيد الكائدين وجعلهم الأسفلين الأخسرين لقد خاب سعيهم وبطل كيدهم.

فلما قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قُوبل ذلك بأن جعلهم الله الأخسرين.

وجعلهم الأسفلين لما أرادوا إلقاء إبراهيم في الجحيم فهكذا خرج الخليل إبراهيم وبعد أن خمدت النيران خرج آمنًا مطمئنًا، ولكن كل ذلك لم يُجد ولم ينفع مع أهل الكفر، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾.

فحقًّا إنه لن تؤمن نفس إلا بإذن الله والحاصل أن الله ۵ نجّى إبراهيم غ ونصره وأيَّده وحفظه وجعل أهل الكفر الأخسرين الأسفلين.

فالحمد لله ثم الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ثم إن إبراهيم غ، وبعد أن أنجاه الله من النار وحفظه وسلمه، ولم يجُدِ ذلك مع أهل الكفر، قرر ترك البلاد ومفارقتها.

فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ فقرر الهجرة وسأل الله الذرية الصالحة بقوله: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فنجاه الله وسلمه وحفظه ورزقه بإسماعيل وبإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب، وجعلهم جميعًا أئمة خير ودعاة هدى وأنبياء مباركين.

وهذه هي الآيات بما سبق ذِكره، أسوقها مستعينًا بالله ۵.

(32) أحمر
أسود

الآيات الواردة في قصة خليل الرحمن إبراهيم غ من سورة الأنبياء وتفسيرها

قال الله تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم
بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾
قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾
فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟
ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى
ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ
وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ
إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا

عَـٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: 51- 73].

معاني مفردات هذه الآيات:

الكلمة	معناها
﴿رُشۡدَهُۥ﴾	عقله – فهمه – سدادًا وتوفيقًا.
﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام.
﴿عَٰكِفُونَ﴾	مقيمون حولها – ملازمون لها.
﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	بعدٌ عن الحق مظهرٌ لمن تأمله أنهم على باطل وضلال.
﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾	المازحين.
﴿فَطَرَهُنَّ﴾	خلقهن لأول مرة وعلى غير مثال سابقٍ.
﴿وَتَٱللَّهِ﴾	ووالله.
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	لأُكسرنّ من أصنامكم – لأفعلن بها مكيدة.
﴿تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾	تنصرفوا بعيدين عنها.
﴿جُذَٰذًا﴾	فُتاتًا – قطعًا.
﴿أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾	أمام الناس وعلى مرأى منهم.
﴿يَشۡهَدُونَ﴾	يشهدون عليه أنه توعدهَا.
﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	فرجع بعضهم على بعض بالملامة.
﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾	ارتدوا ثانية باللوم على إبراهيم ع.
﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾	تقذرًا لكم وتقززًا من فعلكم.
﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾	إن كنتم منتصرين لها – إن كنتم تريدون الاستمرار على عبادتها.

﴿كَيۡدٗا﴾	هلاكًا – موتًا.
﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾	أكثرنا الخيرات فيها – أرسلنا فيها رسلًا وأنبياء كثيرين – أكثرنا فيها من الثمار والبركات والخيرات.
﴿نَافِلَةٗ﴾	زيادةً على ما سأل.
﴿أَئِمَّةٗ﴾	قادة وسادة في الخير.
﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾	يهدون الناس بإذننا وبما أمرناهم به.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يُخبر الله ٥ أنه آتى خليله إبراهيم غ هُداه وعقله الرشيد وفهمه السديد فيقول تعالى: ﴿ ۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ أي من قبل موسى وهارون ث، وقيل من قبلُ: أي وهو صغير ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أنه أهلًا لذلك، وقيل: وكنا به عالمين أنه يتحرى الحق والصواب ويبحث عنها، وكذا كنا به عالمين عند قوله لأبيه آزر وقومه إذ قال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: ما هذه الأصنام والصور التي أنتم عندها مقيمون وحولها مقيمون تعبدونها لا تتركون عبادتها وأنتم لها ملازمون؟ ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فنحن نعبدها كما كان آباؤنا يعبدونها ففاجأهم الخليل بقوله: ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: في بعدٍ عن الحق واضحٍ مُظهرٍ لمن تأمله أنكم على غير صواب وعلى غير الحق فتعجب قوم إبراهيم غ من مقولته تلك فقالوا: ﴿أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ أأنت جادٌّ فيما تقول أم أنك هازل تمزح، فأكَّد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ الذي خلقهن لأول مرة، وأنا على ما قلت من الشاهدين المُقرّين لله ٥ بالربوبية دون ما سواه والمقرِّين له بالألوهية دون

ما سواه فلا إله إلا هو ولا ربَّ سواه. وبنحو ما ذكر قال أهْلُ العلم.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ موسى وهارون، ووفّقناه للحقّ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد -ﷺ، وعلى إبراهيم- فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقًا منا له.

وقال $: وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئًا ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ يعني: في وقت قيله وحين قيله لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ يقول: قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنتُمْ﴾ أيها القوم ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتكم إياها ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحقّ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول ﴿أَمْ أَنتَ﴾ هازل لاعب ﴿مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحق لا باللعب، وربكم ربّ السماوات والأرض الذي خلقهنّ، وأنا على ذلكم، من أن ربكم هو

ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كلّ أحد سواه، شاهدٌ من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع.

وقال الحافظ ابن كثير $: يخبر تعالى عن خليله إبراهيم، غ أنه آتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: 83]، وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة.

والمقصود ها هنا: أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده، من قبل، أي: من قبل ذلك، وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: وكان أهلًا لذلك.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله ۵، فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي: معتكفون على

عبادتها، ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾: لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضّلال؛ ولهذا قال: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم. فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ يقولون: هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًّا فيه؟ فإنا لم نسمع به قبلك. ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: ربكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السماوات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: وأنا أشهد أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

وأعود قائلًا (مصطفى): ثم إن الخليل إبراهيم غ أخذ على نفسه عهدًا وأقسم قسمًا أن يكسر الأصنام بعد خروج القوم لعيدهم، وبعد انصرافهم عن آلهتهم، فقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ وقد قيل إنه أقسم على ذلك أمام بعض قومه فسمعه بعضهم ولم يسمعه آخرون، ويحتمل أنه عقد عليه العزم في نفسه، والأول أظهر لقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ فالحاصل أن إبراهيم غ أقسم بالله ٥ أن يكيد هذه الأصنام بتكسيرها وتدميرها بعد انصراف القوم عنها. فلما انصرفوا عنها قام إليها وكسرها بقوةٍ وشدة كما قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: 93] فكسرها وجعلها قطعًا متفتتة محطمةً، كسرها كلها إلا أكبر صنم فيها لعلَّ القوم إليه يرجعون.

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ فقيل إن المراد بذلك الصنم الأكبر الذي تركه إبراهيم، وقيل إنه علَّق عليه الفأس الذي كسر به الأصنام لعلَّ القوم يرجعون إلى الصنم فيسألونه لماذا صنعت هذا بالأصنام الصغيرة التي دونك، فيكون ردَّه إني رفضت أن

يعبد هؤلاء الصغار معي. وهذا كله على سبيل السخرية والتهكم من القوم أي: فاسألوا هذا الصنم الكبير لماذا كسرها، فقد يكون كسرها لكونها تُعبد معه، وهو لا يريد أن يُعبد أحدٌ معه من هذه الأصنام، هذا قولٌ، فحاصله أنه جعل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى الصنم الأكبر، وقول آخر: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى إبراهيم غ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: يرجعون إلى دينه وما هو عليه من الحق، وقيل يرجعون إلى إبراهيم غ يسألونه ويناظرونه. فقالوا لما رجعوا ووجدوا الأصنام مكسرة محطمةً مُدمّرةً (إلا الصنم الأكبر) قالوا من فعل هذا بمعبوداتنا التي نعبدها إنه لشخص ظالم من الظالمين، فقال بعض الذين سمعوا إبراهيم غ يُقسم على الكيد لها وتدميرها سمعنا فتى -شابًّا- يُقال له إبراهيم فقال كبراء القوم وأهل الرياسة فيهم: فأتوا به أمام الناس وعلى مرأى منهم وأمام الشهود لعلهم يشهدون عليه وعلى جريمته التي ارتكبها في حقنا بتكسيره أصنامنا وازدرائه بمعبوداتنا فأُتي بالخليل إبراهيم غ، فسألوه: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ أأنت الذي كسرتها ودمرتها وأهنتها؟؟ فقال غ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ هذا الصنم الأكبر هو الذي كسرها فاسألوهم من الذي فعل ذلك بكم؟ واسألوا الصنم الأكبر من الذي فعل هذا بمن حولك؟؟. فسيجيبوا إن كانوا ينطقون، فأقام عليهم إبراهيم غ الحجة، وأوضح لهم أن هذه الأصنام لا تملك دفاعًا عن نفسها، فلم تمنع نفسها ممن أرادها بسوءٍ وممن كسرها، ثم هي جمادات لا تنطق ولا تتكلم ولا تجيب، فكيف تعبدُ هذه من دون الله ٥!.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $: ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا:

من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾ قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولّوا مدبرين.

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿جُذَٰذًا﴾ منها حطامًا ومنها قطعًا، ومنها كالصريم.

وأورد بإسنادٍ حسن(1) عن السديّ أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدًا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى الناس ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعامًا، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام ﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الذاريات: 27] فلما لم تجبه، قال: ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات: 92- 93] فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾.

قلت: (مصطفى): ولعل هذا من الإسرائيليات. فالله أعلم.

---

(1) وإن كان بين السدي وبين القصة آلاف السنين فلعل ذلك من الإسرائيليات.

ثم قال الطبري: وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يقول: إلا عظيمًا للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

قال الطبري $: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

وقال الطبري: في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذّت، إلا الذي ربط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ يقول: قال الذين سمعوه يقول: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له: إبراهيم. وقوله: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقيل: معنى ذلك: على رءوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك: أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر واشتهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلّ الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا: إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وأورد عن السدي بسندٍ حسن: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه فعل ذلك.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ قال: كرهوا أن يأخذوه بغير بَيِّنةٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاينوه ويرونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها.

قلت (مصطفى): ثم ماذا حدث عند قول إبراهيم غ لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

والمعنى والله تعالى أعلم فرجع أهل الكفر عبدة الأصنام والأوثان إلى أنفسهم إلى بعضهم البعض يُعاتب بعضهم بعضًا يقول بعضهم لبعض أنتم الذين ظلمتم آلهتكم بتركها دون حراسة وبدون رعاية حتى كسرها إبراهيم

غ وقال آخرون من العلماء: معنى ذلك: إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلًا عن غنايتها عنكم.

وقال آخرون: إنكم أنتم الظالمون، كيف تسألون إبراهيم، بل اسألوا الآلهة التي كُسرت من كسرها واسألوا الكبير الصنم الأكبر من فعل ذلك والأظهر من هذه الأقوال قول من قال: إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، وذلك للآية التي بعدها، وهو قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: ارتدوا إلى جهلهم وغبائهم وشركهم وقلة أفهامهم، وكذا إلى كفرهم وضلالهم قائلين لإبراهيم غ لما قال لهم: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ قالوا له: لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الآلهة لا تستطيع النطق فكيف نسألها فبهذا أقاموا الحجة على أنفسهم، فإذا كانت الآلهة لا تستطيع النطق ولا تدفع عن نفسها الضر، فكيف تعبدونها إذن؟؟ فحينئذٍ قال لهم الخليل إبراهيم غ مُحتجًّا عليهم: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أتعبدون مع الله آلهة أخرى لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم بشرٍّ ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ تقذرًا لكم، وتقذرًا للآلهة التي تعبدونها مع الله ٥ أفلا تعقلون ما ينفعكم ولا يضركم أليست عندكم عقول تعقلون بها؟ وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ في أنفسهم ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم، الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم، وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها.

وقوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم غُلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما

هؤلاء الأصنام ينطقون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال الله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أدركت الناس حيرة سوء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نُكسوا في الفتنة.

وبإسناد حسن عن السدي: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ قال: نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

قال الطبري $: وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نكس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله؛ ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رءوس أنفسهم، وأنهم إنما نُكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم، وإذ كان ذلك كذلك، فنَكْس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

وقال $: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا.

وقوله: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ يقول: قُبحًا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم

لآلهتهم، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: في تركِكم لها مهملة لا حافظ عندها، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ قال قتادة: أدركت القوم حيرةُ سوء فقالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

وقال السدي: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: في الفتنة.

وقال ابن زيد: أي: في الرأي.

وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا؛ ولهذا قالوا له: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾، فكيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾ أي: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله.

﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ الآية [الأنعام: 83].

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجة خصمه ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: بعبادة من لا ينطق بلفظة، ولا يملك لنفسه لحظة، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس، من لا يرد عن رأسه الفأس. ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: عادوا إلى جهلهم وعبادتهم فقالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ فـ ﴿قَالَ﴾ قاطعًا لما به يهذون، ومفحمًا لهم فيما يتقولون: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ﴾ أي: النتن لكم ﴿وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾. وقيل: ﴿نُكِسُواْ

﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: طأطأوا رؤوسهم خجلًا من إبراهيم، وفيه نظر؛ لأنه لم يقل نكسوا رؤوسهم، بفتح الكاف بل قال: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: ردوا على ما كانوا عليه في أول الأمر وكذا قال ابن عباس، قال: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

قلت: ثم ماذا كان من أمر القوم، وبعد أن أقام الخليل غ الحجة عليهم؟! لقد قالوا واتفقت كلمتهم: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾.

المعنى -والله أعلم-: قال قوم من أهل الكفر لساداتهم وكبرائهم: أوقدوا لإبراهيم غ نارًا فألقوه فيها ﴿ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: 97].

وقيل: قائل ذلك رجل من أعراب أهل فارس، وهم الأكراد، وهذا لا يثبت له سند إلى رسول الله ﷺ ولا يضر عدم معرفة قائل ذلك، إنما هو قائل من الكفار أيًّا كان، وقوله: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ معناه: انتصروا لها إن كنتم ترونها آلهة حقًّا وكنتم ستستمرون على عبادتها، فإن كنتم لها منتصرين فأوقدوا له نارًا فاقذفوه فيها، فأوقدوا نارًا عظيمة فقذفوه فيها، وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل(1)، فأمر الله ٥ النار أن تكون بردًا، وليس بردًا شديدًا مُضرًّا مؤلمًا، بل تكون عليه بردًا وسلامًا وأرادوا بإبراهيم غ الموت والهلاك فجعلناهم الأخسرين، المغلوبين.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ

(1) أخرج البخاري (4563) من طريق ابن عباس ق قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها أصحاب محمد ﷺ حين قالوا لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]».

﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

معناه -والله تعالى أعلم-: ونجينا إبراهيم غ من النار، ومن قومه الأشرار فهاجر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأكثر العلماء على أنها الشام، ومن العلماء من قال: إنها القدس ومنهم من قال إنها مكة، ومنهم من قال إنها مصر إلا أن الأكثرين على أنها الشام، والمراد بالبركة فيها ما فيها من الثمار والمياه فضلًا عن الأنبياء الكثيرين الذين كانوا بها عليهم صلوات الله وسلامه.

أما قوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾، قيل: للخلق، وذلك لأن الأنبياء مباركون على الخلق كلهم، وقيل: للعالمين آنذاك وهم أهلها وسكانها آنذاك.

أما قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي ورزقناه بإسحاق غ ابنًا بعد طول سنين وطول دعاء كما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39]، وكما قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 112].

أما قوله: ﴿وَيَعْقُوبَ ۖ﴾ أي ومن بعد إسحاق يعقوب كحفيدٍ لإبراهيم غ وابنًا لإسحاق غ.

أما قوله: ﴿نَافِلَةً﴾ فقيل في معناها عطية أعطيناها له.

وقيل: ﴿نَافِلَةً﴾ زيادةً على ما طلب فقد طلب غ ولدًا فرزقه الله ولدًا وحفيدًا طلب إبراهيم ولدًا إذ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 100] فبشر بإسحاق، وليس بإسحاق فقط بل ومن وراء إسحاق يعقوب، أي: كحفيد وهذا من كرم الله ٥. وجعلنا هذا، وذاك صالحين، أي: أن الله ٥ جعل إسحاق صالحًا وكذا يعقوب غ جعله الله صالحًا، بل جعلهما نبيين كريمين كما في الحديث عن رسول الله ﷺ في شأن يوسف غ وهو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال غ: **«الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ**

الْكَرِيمِ: يوسفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ».

وفي رواية: «نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» ثم إن الله ٥ تفضل على إبراهيم غ وعلى ذريته مع الصلاح بأن جعلهم أئمة قادةً وسادةً في الخير والدعوة إليه، فصلاحهم لم يقتصر على أنفسهم بل كانوا دعاة خير ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يهدون الناس بأمر الله ٥ وبالوحي الذي أوحى الله إليهم ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ﴾ عن طريق رسولنا (وهو جبريل غ) ﴿فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وعلموا الناس ذلك ومروهم بذلك، ففعلوا إذ ألهمهم ذلك ووفقهم إليه وكانوا عليهم صلوات الله وسلامه لله مطيعين خاضعين مستسلمين.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهي أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشأم.

وهذه القصة التي قص الله من نبإ إبراهيم، وقومه تذكير منه بها قوم محمد ﷺ من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدًا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدًا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم، ومسلٍّ بذلك نبيه محمدًا عما يلقى من قومه من المكروه والأذى ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم

ولوطا إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

وأورد بسندٍ قابل للتحسين عن أبيّ بن كعب: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال: الشأم، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

وبسند حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشأم، وكان يقال للشأم: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال. وأورد أسانيد كثيرة في بيان أن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي الشام وبيت المقدس.

وقال آخرون: بل يعني: مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

قال الطبري $:

وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنًا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنه أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

ويقول تعالى ذكره: ﴿ وَوَهَبْنَا ﴾ لإبراهيم إسحاق ولدًا ويعقوب ولد ولده، نافلة له. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿نَافِلَةً ﴾ فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ والنافلة ابن ابنه يعقوب.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ قال: سأل واحدا فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 100] فأعطاه واحدًا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعًا من عطاء الله أعطاهما إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء في قوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾ قال: عطية.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أى شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم وهبة منه له، وجائز أن يكون عني به أنه آتاهما إياه جميعًا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ يعني: عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: ﴿وَكُلّٗا﴾ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدي بهم، ويُتَّبَعون عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله: ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله: ﴿

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

وقال ابن كثير $: ﴿وَكُلࣰّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةࣰ﴾ أي: يُقتدى بهم، ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ يريد نجينا إبراهيم ولوطًا إلى أرض الشام وكانا بالعراق، وكان إبراهيم غ عمه؛ قاله ابن عباس. وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها؛ ولأنها معادن الأنبياء.

والبركة: ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح. وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة. وقيل: بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضًا كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء، ومنها يتفرق في الأرض. قال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق في الأرض. ونحوه عن كعب الأحبار. وقيل: الأرض المباركة مصر.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةࣰۖ﴾ أي: زيادة؛ لأنه دعا في إسحاق وزيد في يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة؛ أي: زيادة على ما سأل؛ إذ قال ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 100]. ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد. ﴿وَكُلࣰّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ أي: وكلًّا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحًا عاملًا بطاعة الله. وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم، وبخلق القدرة على الطاعة، ثم ما

يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى.

وَقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ أي: رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى ﴿بِأَمۡرِنَا﴾ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي؛ فكأنه قال: يهدون بكتابنا، وقيل: المعنى يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق، ودعائهم إلى التوحيد. ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: أن يفعلوا الطاعات. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ أي: مطيعين.

(52) أحمر
أسود

الآيات الواردة في قصة إبراهيم ﻍ

مع قومه من سورة الشعراء وتفسيرها

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠
قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ
٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤
قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦
فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي
هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي
يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ
٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل
لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ
لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا
بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: 69- 89].

معاني مفردات هذه الآيات:

الكلمة	معناها
﴿ وَٱتۡلُ ﴾	واقصص.
﴿ نَبَأَ ﴾	خبر.
﴿ إِذۡ قَالَ ﴾	حين قال.
﴿ أَصۡنَامٗا ﴾	تماثيل.

﴿عَٰكِفِينَ﴾	مقيمين – ملازمين عبادتها.
﴿تَدۡعُونَ﴾	تطلبون – تسألون – تعبدون.
﴿ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾	السابقون – المتقدمون.
﴿أَطۡمَعُ﴾	أرجو.
﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾	خطاياي عمومًا، وقيل إنها قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾، وقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾، وقوله عن سارة هذه أختي.
﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾	يوم القيامة – يوم الثواب والعقاب.
﴿حُكۡمٗا﴾	نبوةً – علمًا – فهمًا وفقهًا.
﴿لِسَانَ صِدۡقٖ﴾	ثناءً حسنًا وذِكرًا جميلًا من الناس.

المعنى الإجمالي لهذه الآيات المباركات:

يأمر الله ۵ رسوله ﷺ أن يقص على الناس ويتلو عليهم خبر إبراهيم ‌غ مع أبيه وقومه فيقول تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الآيات.

ومعناها -والله تعالى أعلم-: واقصص يا رسول الله على قومك وعلى عموم من أرسلت إليهم، اقصص على مشركي قومك وعموم المشركين كذلك خبر إبراهيم ‌غ، خبر أبي الأنبياء ﷺ حين قال لأبيه وقومه، وقد رآهم يعبدون أصنامًا مع الله سبحانه وتعالى ويشركون بالله ما لم ينزل به سلطانًا فقال لهم: أي شيء تعبدون؟ قالوا: نعبد أصنامًا فنقيم حولها ونلزم عبادتها ونعكف على عبادتها فقال: هل يسمعونكم عند دعائكم وسؤالكم إياهم وطلبكم منهم وهل يجيبونكم؟ وأيضًا فهل إذا عبدتموهم نفعوكم بشيء؟ وإن تركتم عبادتها أضرتكم بشيء؟ هل تُثيبكم هذه الآلهة أو تعاقبكم؟ هل تكشف عنكم ضرًّا أو تجلب لكم نفعًا؟ قالوا: لا تجلب لنا ضرًّا ولا تجلب لنا نفعًا؟ هذا مفهوم من جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يعبدونها

ويعكفون حولها وملازمون لعبادتها، ومعنى العكوف: طول المكث، والمراد: الاستمرار في العبادة وحتى ولو ابتعدوا عنها، فعندها قال الخليل إبراهيم غ: أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها مع الله، والتي كان آباؤكم وأجدادكم من قبل يعبدونها، فأنا بريء منها لا أقرُّ لها بعبادة ولا أقرُّ لها بجلب نفع أو دفع ضرٍّ، بل أعلن عن عداوتي لها وبراءتي من عبادتها لكنني لا أتبرأ من عبادة الله، فإني سألزم عبادة الله وحده لا شريك له هو رب العالمين المعبود بحق سأعبده وحده لا شريك له.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون؟ ﴿قَالُوا۟ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ يقول: فنظل لها خدمًا مقيمين على عبادتها وخدمتها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم؟

وقال: وقوله: ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ يقول: أو تنفعكم هذه الأصنام، فيرزقونكم شيئًا على عبادتكموها، أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركهم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم؟ ﴿قَالُوا۟ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسألته إياهم: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ فكان جوابهم إياه: لا؛ ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعونا ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ﴿بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ وذلك رجوع عن مجحود، كقول القائل: ما كان كذا بل كذا وكذا،

ومعنى قولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وجدنا من قبلنا، ولا يضرون، يدل على أنهم بذلك أجابوه، قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعًا لمنهاجهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون، يعني بالأقدمين: الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[مريم:81- 82]

وقوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نصبًا على الاستثناء، والعدو بمعنى: الجمع، ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس.

ومعنى الكلام: أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبده، إلا رب العالمين.

وقال ابن كثير $: هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يتلوه على أمته، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبري من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نَشَأ وشَب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله ٥ فقال: ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾؟.

أي: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟

﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ أي: مقيمين على عبادتها ودعائها.

﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ يعني: اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يُهرعون. فعند ذلك قال لهم إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير، فَلْتَخْلُص إليَّ بالمساءة، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها. وهذا كما قال تعالى مخبرًا عن نوح ﻍ.

﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: 71]، وقال هود ﻍ: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: 54- 56]، وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا﴾ [الأنعام: 81]، وقال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الزخرف: 26- 28] يعني: لا إله إلا الله.

الخليل ﻍ يواصل الثناء على الله ٥
ويواصل تمجيده وحمده ويُعرِّف القوم بربه جل وعلا

يقول الخليل ﻍ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾.

هذا يقوله إبراهيم خليل الرحمن ﻍ، وهو متصل بما قبله، فالمعنى قبله أنه ﻍ أعلن عن عداوته للأوثان، والأصنام ورفضه التام لعبادتها وأعلن عن تمسكه بعبادة رب العالمين ثم وضح شيئًا من فضل الله ٥ عليه وكذا شيئًا من قدرته سبحانه فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ أي: أنني أعبد الذي خلقني فهو الذي يوفقني ويرشدني، والذي هو – وليس أحد سواه - ﴿يُطۡعِمُنِى﴾ يغذيني بالطعام(1) وييسره لي ويرزقني إياه ويجعلني له مستسيغًا ويسقني الشراب بتيسيره ذلك لي، وإذا قُدِّر علي مرض، ووقعت في مرض بسبب ذنوبي أو ابتلاء ابتليت به، فالذي يكشف عني هو الله، هو الذي يشفيني منه ويعافيني، وهو الذي يميتني في الوقت الذي يريده ثم يحييني يوم القيامة للجزاء، والذي أرجو منه أن يغفر خطاياي التي أخطأتها في دنياي يوم القيامة يوم الجزاء يوم الثواب والعقاب، فهذا هو المستحق للعبادة، إنه ربي الذي لا أعبد إلهًا سواه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾.

---

(1) وفي الحديث القدسي: «**كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ**»، وفي الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُ﴾.

يقول: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ للصواب من القول والعمل، ويسددني للرشاد. ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه.

وقال $ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضر.

وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجًا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعًا ولا ضرًّا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّى سَقِيمٞ﴾ [الصافات: 89]، وقولي: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الأنبياء: 63]، وقولي لسارة: إنها أختي.

وقال الحافظ ابن كثير $: يعني: لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ أي: هو الخالق الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على قدر، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء.

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ أي: هو خالقي ورازقي، بما سخر ويَسَّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المُزْن، وأنزل الماء، وأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد، وأنزل الماء عذبًا زلالًا لـ: ﴿نُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: 49].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه، وإن كان

عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا، كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: 6، 7] فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حُذف فاعله أدبًا، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: 10]؛ ولهذا قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدِّر من الأسباب الموصلة إليه.

﴿ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ أي: هو الذي يحيى ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد.

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: هو الذي لا يقدر على غَفْر الذنوب في الدنيا والآخرة، إلا هو، ومن يغفر الذنوب إلا الله، وهو الفعال لما يشاء.

هذا، وقد قال عددٌ من أهل العلم في بيان الخطيئة التي سأل إبراهيم غ ربَّه ٥ أن يغفرها له يوم الدين إنها المذكورة في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: 89] لما دعوه إلى عبادة الأصنام، وقوله: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: 63]، وقوله عن سارة: هذه أختي.

وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله.

وقال آخرون من أهل العلم: إنها عموم الخطايا التي صدرت من الخليل ﷺ.

بعض دعوات الخليل إبراهيم ؏(1)

قال الخليل ؏: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾.

هذا دعاءُ إبراهيم ؏ بعد ثنائه على الله ๕ وإعلانه عن وجهته وهويته وتوحيده لربه ๕ وخالقه، وتبرئه من عبادة غير الله ๕ فدعا ربَّه بهذه الدعوات المباركات: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يا رب تفضل علي بعلمٍ يقربني منك، بفقهٍ أتعبد به وبنبوةٍ تمنُّ بها عليَّ وألحقني بمن أنعمت من الأنبياء والرسل وأهل الإيمان والفضل والصلاح، ألحقني بهم يا رب وأدخلني مدخلهم وأنزلني منازلهم، واجعل لي يا رب ثناءً حسنًا على ألسنة الذين يأتون من بعدي، ومُنَّ عليَّ آخرتي بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم، الذين يرثونها بدلًا عن أهل الكفر الذين تركوها بسيئ أعمالهم وحرموها بشركهم وضلالهم. واغفر يا رب لأبي فقد كان من الذين أخطأوا الطريق طريق التوحيد وسلك طريق أهل الشرك والزيغ والضلال، فاغفر له يا رب. وكان هذا من إبراهيم ؏ قبل أن يعلم أن أباه عدوٌّ لله ثم إنه ؏ تراجع بعد هذا الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ **[التوبة: 114]**.

ثم سأل إبراهيم ؏ ربَّه قائلًا: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ لا تفضحني على

---

(1) وله دعوات أُخر في مواطن أُخر منها قوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ ومنها قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ إلى غير ذلك.

رؤوس الأشهاد يوم القيامة ولا تعذبني، فالعذاب خزيٌ عظيم، لا تخزني يوم القيامة يوم لا ينفع صاحب المال مالُه ولا صاحب الولد ولدُه لكن السالم الآمن من العذاب من أتى الله يوم القيامة بقلب سليم من الشرك بالله.

وكذا سليم القلب من الأغلال والأحقاد لأهل الإيمان، فصاحبه يرتفع درجات.

وهذه أقوال بعض أهل العلم في الآية الكريمة:

قال الطبري ؒ: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن مسألة خليله إبراهيم إياه: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا﴾ يقول: رب هب لي نبوة. ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: واجعلني رسولًا إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وائتمنته على وحيك، واصطفيته لنفسك. وقوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ يقول: واجعل لي في الناس ذكرًا جميلًا وثناء حسنًا، باقيًا فيمن يجيء من القرون بعدي.

وأورد الطبري بسند فيه مقال، لكن معناه جيد عن عكرمة قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [العنكبوت: 27]. قال: إن الله فضله بالخُلة حين اتخذه خليلًا فسأل الله فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67] ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68] فهذا أجره الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [النحل: 122] وهو اللسان الصدق الذي سأل

ربه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال: اللسان الصدق: الذكر الصدق، والثناء الصالح، والذكر الصالح في الآخرين من الناس، من الأمم.

وقال الطبري $ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾.

يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكني ذلك. ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ﴾ يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يقول: إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك.

وقوله: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ يقول: ولا تذلني بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم.

والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عون قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.

وأورد عدة آثار مفادها أن القلب السليم هو السليم من الشرك.

وقال ابن كثير $: وقوله: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ كقوله: ﴿ رَبَّنَا

﴿ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [إبراهيم: 41]، وهذا مما رجَعَ عنه إبراهيم، غ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: 114]. وقد قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ [الممتحنة: 4].

وقوله: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: أجرني من الخزي يوم القيامة ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

ثم أورد الحافظ ابن كثير ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعًا، وسيأتي بتمامه إن شاء الله وفيه أن إبراهيم يلقى آزر وعلى آزر قترة فيقول: « **يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ**»(1).

فذكر الحديث، وفيه: «**فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ**(2) **مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**».

ثم قال ابن كثير: وقوله: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾ أي: لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا: ﴿وَلَا بَنُونَ﴾ ولو افتدى بِمَنْ في الأرض جميعًا، ولا ينفعُ يومئذ إلا الإيمانُ بالله، وإخلاص الدين له، والتبري من الشرك؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ أي: سالم من الدنس والشرك.

وأورد أقوالًا في القلب السليم، منها الشرك كما قدمنا، ويلتحق به

(1) انظر البخاري (4768).
(2) الذيخ المتلطخ هو الضبع المتلوث بعذرته.

النفاق وألحق البعض به البدعة.

قلت (مصطفى): وينبغي أن يُزال إشكالٌ قد يرد على البعض من الحديث السابق والآية الكريمة، وهو قول الخليل غ ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

والإشكال حاصله كيف قُذف والد إبراهيم غ في النار، وقد دعا الخليل بقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ وجواب ذلك، والله أعلم، أن والد إبراهيم تحوَّل إلى ذيخ، وهو الضبع الذكر وأُلقى في النار بهذه الصورة الموصوفة في الحديث حتى لا يعرفه أهل النار، حتى لا يقولون هذا والد إبراهيم يعذب معنا، والله أعلم.

NNO PMM

الآيات الواردة في قصة إبراهيم ؑ مع قومه عبدة الأصنام من سورة الصافات

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ
رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً
دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ
﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ
﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ
لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾

[الصافات: 83- 98].

معاني مفردات هذه الآيات:

الكلمة	معناها
﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾	من أهل دينه وملته – من أتباعه وعلى منهاجه وطريقته وسنته – من أنصاره على ما هو عليه من الحق.
﴿أَئِفۡكًا﴾	أكذبًا – والإفك أسوأ الكذب.
﴿دُونَ ٱللَّهِ﴾	غير الله.
﴿سَقِيمٞ﴾	مريض، (قيل بالطاعون).
﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾	فانصرفوا عنه.
﴿مُدۡبِرِينَ﴾	منطلقين – فارّين.

﴿ فَرَاغَ ﴾	فمال- فذهب، وهناك وجه آخر فراغ عنهم (أي عن قومه) ثم ذهب إلى آلهتهم.
﴿بِٱلۡيَمِينِ﴾	باليد اليمنى لقوتها وشدتها.
﴿يَزِفُّونَ﴾	يجرون – يسرعون – يستعجلون.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أقول وبالله تعالى التوفيق معنى الآيات المتقدمة إجمالًا أن إبراهيم غ من شيعة نبي الله نوح ﷺ.

أي: من أتباعه الذين هم على دينه وطريقته وسنته ومنهاجه.

هذا هو قول الجمهور من المفسرين.

قال الطبري $: وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته -والله- لإبراهيمَ خليلَ الرحمن.

وهناك قول آخر ذكره الطبري عن بعض أهل اللغة مُشيرًا إلى تضعيفه ألا وهو أن المراد بقوله: ومن شيعته، أي: ومن شيعة محمد رسول الله ﷺ لإبراهيم غ.

قال الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [يس: 41]، بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم، وقد سبقتهم.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ قال ابن عباس: أي من أهل دينه وقال مجاهد: أي على منهاجه وسننه قال الأصمعي: الشيعة الأعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم فالهاء في ﴿شِيعَتِهِۦ﴾ على هذا لمحمد ﷺ وعلى الأول

لنوح وهو أظهر لأنه هو المذكور أولًا.

هذا، وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وذلك في شأن إبراهيم غ، ومجيئه هذا يحتمل وجوهًا.

أحدها: أنه سيوافي ربَّه يوم القيامة بقلب سليم.

الثاني: أنه عند دعائه إلى توحيد الله وعدم الشرك به.

الثالث: أنه عند إلقائه في النار، والله أعلم.

أما سلامة القلب: فلأهل العلم أقوال في القلب السليم كلها صحيحة.

أولها: سليمٌ من الشرك بالله، خالصٌ لله بالتوحيد، مخلصٌ.

وهذا قول أكثر العلماء.

ثانيها: سليمٌ من الشك.

ثالثها: سليمٌ من النفاق.

رابعها: ما ذكره الطبري بسندٍ صحيح عن عروة قال: يا بني لا تكونوا لعانين، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئًا قط فقال الله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

خامسها: الذي يعلم أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أبوه هو آزر، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾.

وفي الحديث: **«يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ»**(1) وقد تقدم بتمامه.

فقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حاصل معناه -والله تعالى أعلم- واذكر يا رسول الله؛

---

(1) أخرجه البخاري (3350).

إبراهيم غ إذ لم تأخذه في الله لومةُ لائم بل دعا إلى الله وبدأ بأول قريبٍ له وهو أبوه ومعه قومه، فقال لهم: ما تعبدون.

وفي الآية الأخرى: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 52].

أتريدون أن تعبدوا آلهة باطلة غير الله، كذبًا منكم وافتراء على الله؟

أتفترون على الله الكذب بدعوتكم آلهة سواه، وتجعلونها شريكة لله وتريدون عبادتها لذلك؟!

وقوله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: فما الذي تظنونه بربكم أن يفعله بكم وقد عبدتم معه غيره؟

أو ما الذي تتوقعون أن يصنعه بكم ربكم من صور العذاب وقد عبدتم معه غيره؟

وهذا قول الطبري $ ونقله عن قتادة بسندٍ حسن.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قِيلِ إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؟ يقول: فأي شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ثانيها: المراد ما هذا الظن السيئ الذي حملكم على أن عبدتم مع الله إلهًا آخر.

ثالثها: ماذا تظنون بالله ۵، أتظنونه غير قادر؟ أتظنونه غافلًا عنكم؟ أتظنونه سيسوى بين الموحد والمشرك؟! أتظنونه سيكرم من أشرك ؟!! والله أعلم.

وقال السعدي $:

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ أي: أتعبدون من دون الله آلهة كذبًا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادًا وشركاءً.

وقال الطبري $: قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون.

وقوله: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ يقول: أكذبًا معبودًا غير الله تريدون.

هذا، وقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

فقد قال بعض أهل العلم ما حاصله: إن القوم كانوا أهل تنجيم وكانوا ينظرون إليها فيتيامنون أو يتشاءمون فجاراهم على طريقتهم لإبطال ما هم عليه.

أما وجه تعلقه بقول: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، فحاصله أنه رأى نجمًا طلع، وكان القوم يتوهمون أن بعض النجوم إذا طلعت صاحبتها بعض الأمراض، فلما قال لهم: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ تركوه مصدقين له، وكان غ قد أراد أن يتركوه حتى لا يشارك في كفرهم وضلالهم وحتى يتجه إلى الأصنام يصنع بها الذي صنع.

أما المرض الذي ذكره؛ إذ قال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾، فقال أكثر المفسرين: إنه الطاعون، وهذا الذي حملهم على الفرار منه والهرب عنه خشية العدوى، وأما المذكور في كتاب الله ٥ فهو قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ولم يذكر نوع المرض. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: وقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجمًا قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني

مطعون، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها.

وأورد بإسنادٍ ضعيف إلى ابن عباس، قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج، فقال: إني مَطْعُون، فتركوه مخافة الطاعون.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب أنه قال: رأى نجمًا طلع.

وبإسنادٍ حسن عنه (عن ابن المسيب) أيضًا: أنه (أي الخليل غ) رأى نجمًا طلع، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، قال: كايد نبي الله عن دينه، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد(1)، عن أبيه، في قول الله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدًا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

قال ابن كثير $: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أزف خروجُهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها، فقال لهم كلامًا هو حقٌّ في نفس الأمر، فَهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه، ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم: يعني قتادة: أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف.

هذا، وقد يُطرح ها هنا سؤال حاصله: كيف قال الخليل غ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ مع كونه كان صحيحًا؟

وجوابه -والله أعلم-: أن ذلك إحدى الكذبات الثلاث التي صدرت من إبراهيم غ كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من

---

(1) وابن زيد نفسه ضعيف، وهو هنا من رجال الإسناد لكن قد تغفر له روايته عن أبيه.

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ** غ **قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ **وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ**»... الحديث، وسيأتي بطوله(1) إن شاء الله.

قال الطبري $: وقال آخرون: إن قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كلمة فيها معراض، ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر.

وردّ الطبري هذا القول بقوله: والخبر عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله ﷺهو الحق دون غيره. قوله: ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفًا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به.

قلت: وقد أحسن الطبري رحمه الله رحمة واسعة؛ إذ لم يُقدم قولًا على قول رسول الله ﷺ، وفي هذا دلالة عظيمة على إمامته وجلالته؛ إذ لم يقدم على قول رسول الله ﷺ قولًا.

وقال الحافظ ابن كثير $: فأما الحديث الذي رواه ابن جرير ها هنا: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو أسامة، حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لم يكذب إبراهيم** -عليه الصلاة والسلام- **غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله:** ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، **وقوله:** ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ

---

(1) وأخرجه مسلم (2371) مرفوعًا والبخاري موقوفًا (2358) ومرفوعًا مختصرًا (2357) وفي غير موطنٍ.

كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: 63]، وقوله في سارة: هي أختي» فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله -حاشا وكلا- وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزًا، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث(1): «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب».

وأقول -وبالله التوفيق-: فماذا كان من إبراهيم غ لما تعلَّل لقومه بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وامتنع من الخروج معهم؟؟ كان أن انصرفوا لشؤونهم فلما كان ذلك مال إلى آلهتهم -قال البعض: وأتى بطعام فقدمه لها- فقال: ألا تأكلون من هذا؟ على سبيل الاستهزاء والسخرية، ثم قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾، ما لكم لا تتكلمون ولا تجيبون؟!!.

فما كان من إبراهيم غ إلا أنه أقبل عليها يُكسِّرها ويُحطمها وبكل قوة، فقد ضربها بيده اليمنى ضربًا شديدًا فتتها تفتيتًا، وخصت اليد اليمنى بالضرب للدلالة على قوة البطش وشدة التكسير.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير $: ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ أي: إلى عيدهم، ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ ﴾ أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء، ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعامًا قربانًا لتُبرّك لهم فيه.

وقال ابن كثير أيضًا: وإنما ضربهم باليمين؛ لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جذاذًا إلا كبيرًا لهم لعلهم إليه يرجعون.

وقال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضربًا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضربًا بالقوة

(1) قلت: وهو ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده (2/ 1040) بسندٍ ضعيف.

والقدرة، ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوة. وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع: الحلف، ويقول: جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 57].

قلت: فماذا كان من قوم إبراهيم غ لما رجع قومه ووجدوا الأصنام قد كُسِّرت؟

قال الله ٥: ﴿ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾.

والمعنى – والله تعالى أعلم -: أن قوم إبراهيم غ لما رجعوا فوجدوا الأصنام قد كُسِّرت وتحطمت وأصبحت جذاذًا إلا كبيرًا لهم تساءلوا فيما بينهم – كما في الآية الأخرى-: ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 59]، فأجيبوا بقول القائل: ﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾ [الأنبياء: 60، 61]، فالحاصل أنهم ذهبوا إليه مسرعين للإتيان به، فهذا قوله: ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون، فقال لهم – بعد مناقشة بينه وبينهم تضمنت معالمها في سور أُخر -: أتعبدون ما تنحتونه بأيدكم وتصنعونه بأيديكم، وتتركون عبادة الله أو تجعلونها شريكةً لله ٥ ؟!.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ محتملٌ لمعنيين ذكرها العلماء:

أحدها: والله خلقكم وخلق أعمالكم.

الثاني: والله خلقكم وخلق الأشجار والأحجار التي تصنعون منها الأصنام.

أي: كيف تعبدونها والله خالقكم وخالقها؟

فلما عجزوا عن مواصلة النقاش معه وانقطعت بهم الحجج تشاوروا

فيما بينهم كيف نصنع مع إبراهيم غ ؟ فاتجهوا إلى ما يتجه إليه الجبابرة والظلمة عمومًا – ألا وهو البطش بعد انقطاع الحجة والعجز عن المناظرة- فقالوا: ابنوا له بنيانًا، قيل: تنورًا عظيمًا تُوقد فيه النار، وقيل: مبنى عظيمًا هائلًا، وقيل غير ذلك فأضرموا فيه النار، وألقوا إبراهيم فيها، فأرادوا بإبراهيم غ شرًّا وقتلًا وإجرامًا، فأبطل الله سعيهم، ودفع الله كيدهم، وسلَّم خليله إبراهيم غ، وجعلوا هم الأسفلين، فحوججوا وغلبوا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: بعد أن أورد معنى كلمة ﴿يَزِفُّونَ﴾ ووجوه القراءات فيها:

قال: وقد اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يمشون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون.

قال الطبري: وقوله: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر أن يكون بمعنى (الذي) فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله الذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعۡمَلُونَ﴾: بأيدكم.

قلت: (مصطفى): وسنده حسن.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ ابنوا لإبراهيم بنيانًا؛ ذكر أنهم بنوا له بنيانًا يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه ﴿فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ والجحيم عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

وقوله: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدًا، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ﴾ أي فجعلنا قوم إبراهيم ﴿ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ يعني: الأذلين حجة، وغلّبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقال ابن كثير $: قوله ها هنا: ﴿ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾: قال مجاهد وغير واحد: أي: يسرعون.وهذه القصة ها هنا مختصرة، وفي سورة الأنبياء مبسوطة، فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم غ هو الذي فعل ذلك. فلما جاءُوا ليعاتبوه، أخذ في تأنيبهم وعيبهم، فقال: ﴿أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ﴾؟! أي: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يحتمل أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي

تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربْعِيّ بن حراش، عن حذيفة مرفوعًا قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**».

فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ فيه حذف أي قالوا: من فعل هذا بآلهتنا، فقال محتجًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي: أتعبدون أصنامًا أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها، والنحت: البحري والبري، نحته ينحته بالكسر نحتًا أي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (ما) في موضع نصب أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام يعني الخشب والحجارة وغيرهما كقوله: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: 56] وقيل: إن (ما) استفهام ومعناه التحقير لعملهم وقيل: هي نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه، والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدرًا والتقدير: والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق الله ٥ واكتساب للعباد وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**» ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ٥ صَنَعَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(1) فهو الخالق

---

(1) سنده صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (357 و 358) والبخاري في خلق أفعال العباد (117 و 118)، والبيهقي في الأسماء والصفات (37: 57) وغيرهم. وإن =

وهو الصانع سبحانه.

وقال: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا﴾ أي: تشاوروا في أمره لما غلبهم بالحجة حسب ما تقدم في (الأنبياء) بيانه فـ ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا﴾ تملأونه حطبًا فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم.

وقال: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ أي: بإبراهيم والكيد المكر، أي: احتالوا لإهلاكه ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ المقهورين المغلوبين؛ إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم.

NNO PMM

= كان هناك وجهٌ لمن تكلّم في سنده، والله أعلم.

ذكر نبي الله إبراهيم غ من سورة الأنعام

أولًا: ذكر قوله لأبيه ومحاجته له:

قـــــال الله ٥: ﴿۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿أَصۡنَامًا﴾	جمع صنم – تمثال في صورة إنسان أو حيوان.
﴿ءَالِهَةً﴾	معبودة (تعبدها).
﴿ضَلَٰلٖ﴾	بُعدٍ عن الحق وعدولٍ عن الصواب.
﴿مُّبِينٖ﴾	مُظهر (لجهل من فعله).

المعنى الإجمالي:

واذكر يا رسول الله قول إبراهيم غ لأبيه آزر ونصيحته له وعتابه عليه، اذكر لقومك قول الخليل لأبيه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ أي: أتجعل لنفسك أصنامًا تعبدها من دون الله ترجو عندها النفع؟!! تدعوها لكشف الضرّ؟! تركع لها وتسجد؟! وتلجأ إليها وترغب؟!

قال الطبري $: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذي خلقك فسوَّاك ورزقك؟.

قلت: وعن معنى الصنم: **فقد قال الطبري $:** و«**الأصنام**» جمع «**صنم**»، و«**الصنم**» التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك في صورة إنسان، وهو «**الوثن**». وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط وغيره: «**صنم**» و«**وثن**».

ومن سورة الأنعام أيضًا:

ذكر نظر إبراهيم ﻍ في ملكوت السماوات والأرض....

قال الله ﻫ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا
ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ
مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿مَلَكُوتَ﴾	مُلك – خلق – آيات، وقيل: إنها (الشمس والقمر والنجوم) فهي ملكوت السماوات، وملكوت الأرض الجبال والأشجار والبحار.
﴿ٱلۡمُوقِنِينَ﴾	المصدقين تمام التصديق.
﴿جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾	غطَّاه الليل – أقبل عليه الليل – تغشاه الليل وستره.
﴿كَوۡكَبٗاۖ﴾	نجمًا.
﴿أَفَلَ﴾	غاب – ذهب.
﴿بَازِغٗا﴾	طالعًا – ظاهرًا.
﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾	الذين أخطئوا الحق ولم يصيبوا الهدى وهم الذين عبدوا غير الله ﻫ.
﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾	اتجهت بقصدي ونيتي وعبادتي.

﴿فَطَرَ﴾	خلق على غير مثالٍ سابق.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا (عن الشرك إلى التوحيد).

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي وكما أنعمنا عليه بالإيمان والرشد والبصيرة منّا عليه أيضًا ووفقناه للنظر في ملك السماوات والأرض والاستدلال بذلك على وحدانية الله ۵ وعظمته وقدرته.

فقوله: ﴿مَلَكُوتَ﴾ بمعنى ملك، كرحموت بمعنى رحمة وجبروت من الجبر.

هذا، ويدخل في ملك السماوات والأرض ما فيها من الآيات والدلالات كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والبحار وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير $: وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خلقهما، على وحدانية الله ۵ في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، كقوله: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس: 101]، وقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف: 185]، وقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [سبأ: 9].

وقال الطبري $: بعد أن أورد جملة من الآثار[(1)]: وأولى الأقوال في

---

(1) من هذه الآثار ما يلي:

ما أخرجه الطبري بسند حسن عن سلمان، قال: «لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، رأى عبدًا على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. فقال: أنزلوا عبدي لا يُهْلك عبادي!».

=

تأويل ذلك بالصواب: قول من قال: عَنى الله تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أنه أراه ملك السمَاوات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلّى له بواطنَ الأمور وظواهرها، لما ذكرنا قبل من معنى «الملكوت» في كلام العرب، فيما مضى قبل.

أما قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾.

فحاصل معناه - والله تعالى أعلم -: وليكون من المصدقين تمام التصديق، وليكون من المقرين بوحدانية الله وقدرته تمام الإقرار، ومن المطمئنين لذلك تمام الطمأنية.

قال الطبري $: وأما قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ فإنه يَعني أنه أراه ملكوت السماوات والأرض، ليكون ممن يقرّ بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له، وبصّره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم الأصنام واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾. قيل: الواو

= ونحوه عن عطاء، قال: «لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السماوات، أشرف فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فنودي: على رسلك يا إبراهيم، فإنك عبد مستجاب لك، وإني من عبدي على ثلاث: إما أن يتوب إليَّ فأتوب عليه، وإما أن أخرِج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه». وفي سنده بعض الكلام.

وبسند رجاله ثقات، عن أسامة قال:

«عن أسامة: أن إبراهيم خليل الرحمن حدَّث نفسه أنه أرحم الخلق، وإن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم، فلما رآهم يعملون بالمعاصي، قال: اللهم دمِّر عليهم! فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبط، فلعلهم أن يتوبوا إليَّ ويراجعوا وأثر عن ابن عباس في معنى ذلك، لكن سنده ضعيف جدًّا وكلها كما رأيت موقوفات ليس منها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ».

زائدة، تقديره: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون من الموقنين؛ كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 55].

وقيل: بل هي على بابها: أي نريه ذلك ليكون عالمًا موقنًا.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي فلما غطاه الليل وغشيه الليل وستره الليل ﴿رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي فلما غاب النجم وذهب ﴿قَالَ﴾ أي قال إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ أي لا أحب من يذهب ويغيب فمثله لا يصلح أن يكون ربًّا ولا إلهًا، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ أي طالعًا وظاهرًا ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: لئن لم يوفقني ربي للحق والصواب لأكونن من الذين ضلوا طريق الحق وطريق الصواب ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أي أكبر من النجم وأكبر من القمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ أي فلما غربت الشمس وذهبت ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أعلن حينئذٍ عن براءته من كل معبود عُبد من دون الله ٥.

هذا، وعن توجيه قول الخليل غ عن الكوكب هذا ربي ثم إعراضه عن ذلك وقوله عن القمر هذا ربي، ثم إعراضه بعد ذلك وقوله عن الشمس هذا ربي فللعلماء في ذلك أقوال فقد ذهب فريق من أهل العلم إلى حمل هذه الآيات على ظاهرها، وقالوا: إنه تفكَّر في ملكوت السماوات والأرض ونظر فيهما فرأى كوكبًا فقال: هذا ربي ثم أتبعه بصره، أي: استمر في النظر إليه حتى غاب، فلما غاب (أي: أفل) قال: لا أحب الآفلين، أي: لا أحب إلهًا يأتي في وقتٍ ويزول في آخر، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾، لكونه أكبر من الكوكب،وأنور فلما غاب القمر قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أي أكبر من الكوكب والقمر وأنور، فلما غابت الشمس تبرأ من كل ما عُبد

مـــــن دون الله، و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

۞ فحملوا الآيات الكريمات على ظاهرها. وإلى هذا ذهب الطبري ﺥ.

وأورد آخرون قولًا آخر حاصله: إنما قال ذلك إبراهيم ﻍ على وجه الإنكار على قومه، وعلى وجه السخرية من آلهتهم والعيب لآلهتهم وأصنامهم؛ فإذا كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة، وكانت آفلةً زائلة غير دائمة؛ فالأصنام التي هي دونها في الحسن وأصغر منها في الجسم – أحقُّ أن لا تكون معبودة ولا آلهة.

قالوا: وإنما قال ذلك لهم معارضة؛ كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضًا له في قول باطل قال به بباطل من القول، على وجه مطالبته إياه بالفُرْقان بين القولين الفاسدين عنده، اللذين يصحِّح خصمه أحدهما ويدعي فساد الآخر.

وقال آخرون منهم: بل ذلك كان منه في حال طفولته، وقبل قيام الحجة عليه. وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان.

وقال آخرون منهم: إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي: ليس هذا ربي.

وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك، فتحذف «الألف» التي تدلّ على معنى الاستفهام، وزعموا أن من ذلك قول الشاعر:

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيلِدُ، لَا تَرَعْ!   فَقُلْتُ، وَأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ: هُمُ هُمُ؟

يعني: أهم هم؟ قالوا: ومن ذلك قول أوس:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا   شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ

بمعنى: أشعث بن سهم؟ فحذف (الألف)، ونظائر ذلك. وأما تذكير ﴿هَٰذَا﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، فإنما هو على معنى: هذا الشيء الطالع ربِّي.

أورد ذلك الطبري، ولكنه – كما أشرت قريبًا – اختار القول الأول إذ قال:

وفي خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، الدليلُ على خطإ هذه الأقوال التي قالها هؤلاء القوم، وأنّ الصواب من القول في ذلك: الإقرارُ بخبر الله تعالى الذي أخبر به عنه، والإعراض عما عداه.

وأورد الحافظ ابن كثير خ سؤالًا حول ما ذُكر، وأجاب عليه.

فقال في سؤاله – وقد اختلف المفسرون في هذا المقام: هل هو مقام نظرٍ أو مناظرة؟ ثم قال: والحق: أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظرًا لقومه مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم، الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته؛ ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه.

وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل.

وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأشدهنّ إضاءة وأشرفهنَّ عندهم: الشمس، ثم القمر، ثم الزهرة، فبين أولًا صلوات الله وسلامه عليه: أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية؛ لأنها مسخرة مقدرة بسير

معين، لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تملك لنفسها تصرفًا، بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب، حتى تغيب عن الأبصار فيه، ثم تبدو في الليلة القابلة على هذا المنوال، ومثل هذه لا تصلح للإلهية، ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما تقدم في النجم، ثم انتقل إلى الشمس كذلك، فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة، التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، ﴿قَالَ يَـٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ أي: أنا بريء من عبادتهن، وموالاتهن، فإن كانت آلهة فكيدوني بها جميعًا ثم لا تنظرون: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، وكيف يجوز أن يكون إبراهيم ناظرًا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: ﴿۞وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 51، 52] الآيات، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: 120- 123]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161].

وقد ثبت في الصحيحين: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»، وفي صحيح مسلم: عن عياض بن حمار، أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ اللهُ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ»(1)، وقال الله في كتابه العزيز: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: 30]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: 172]، ومعناه على أحد القولين كقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل -الذي جعله الله أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين – ناظرًا في هذا المقام، بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولاريبٍ، ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرًا لقومه فيما كانوا فيه من الشرك لا ناظرًا، قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقال السعدي في تفسيره: قال هذا ربي أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان.

وقال ابن الجوزي (في زاد المسير): قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة(2) عن ابن عباس: قال هذا ربي، فعبده حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدل

---

(1) مسلم (2865).

(2) ضعيف عن ابن عباس فعليٌّ بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ؓ.

على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل.

وهذا القول لا يرتضى، والمتأهِّلون للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال.

فأما قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقولهم: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]؛ ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السماوات والأرض ليكون موقنًا، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟!.

والثاني: أنه قال ذلك استدراجًا للحجة، ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها، ولابد أن يضمر في نفسه: إما على زعمكم، وفيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل: 27]، وإما أن يضمر: يقولون، فيكون كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: 127]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر بن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل بقوم يعبدون صنمًا، فأظهر تعظيمه، فأكرموه وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاورهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال ها هنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعَوُا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا.

والثالث: أنه قال مستفهمًا، تقديره: أهذا ربي؟ أضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34]؟ أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالَا

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ؛ لأن حرف الاستفهام لا يضمر إذا كان فارقًا بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾

أنه إشارة إلى الصانع.

وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مُدبر لا نرى فيه أثر مدبر.

وقال الشنقيطي $: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ الآيات، قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ في المواضع الثلاثة محتمل؛ لأنه كان يظن ذلك، كما روى عن ابن عباس وغيره ومحتمل؛ لأنه جازم بعدم ربوبية غير الله ومراده هذا ربي في زعمكم الباطل، أو أنه حذف أداة استفهام الإنكار والقرآن يبين بطلان الأول، وصحة الثاني.

أما بطلان الأول، فالله تعالى نفى كون الشرك الماضي عن إبراهيم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161]، في عدة آيات، ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يومًا ما.

وأما كونه جازمًا موقنًا بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ إلى آخره «بالفاء» على قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فدل على أنه قال ذلك موقنًا مناظرًا ومحاجًّا لهم، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾ الآية والعلم عند الله تعالى.

قلت (مصطفى): وقول الخليل إبراهيم غ: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

معناه -والله تعالى أعلم-: إني بريء من عبادة الأوثان والأصنام التي تعبدونها، والتي جعلتموها شريكًا لله، وعبدتموها مع عبادة الله، وسألتموها كما تسألون الله ٥.

وهل كان قوم إبراهيم ﻍ يعبدون الله ﻫ ويعبدون معه الأصنامَ والأوثان، أم كانوا يعبدون الأوثان والأصنام فقط؟

الظاهر- والله تعالى أعلم-: أنهم كانوا يعبدون الله ﻫ، ولكنهم يشركون معه آلهة أخرى، فيعبدون معه الأصنام، والأوثان بدليل قوله: ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾، فهذا دالٌّ على أنهم كان يشركون مع الله آلهة أخرى.

وقد أورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: في قول قوم إبراهيم لإبراهيم: تركتَ عبادةِ هذه؟ فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾، فقالوا: ما جئت بشيء! ونحن نعبده ونتوجَّهه! فقال: لا، حنيفًا!! قال: مخلصًا، لا أشركه كما تُشْركون.

أما عن قول الخليل إبراهيم ﻍ: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾.

فمعناه -والله أعلم-: يقول الخليل إبراهيم ﻍ لقومه المشركين الذين اتخذوا مع الله أوثانًا وأصنامًا يعبدونها، مخالفًا لهم فيما هم عليه، ومعلنًا ذلك لهم: إني توجهت بعبادتي لله ﻫ وحده لا شريك له، ذلكم الذي خلق السماوات والأرض على غير مثالٍ سابق، توجهت إليه حنيفًا أي مائلًا عن الأصنام التي تعبدونها مع الله، فلن أعبد إلا الله ﻫ وحده لا شريك له، ولست منكم ولا على طريقكم ولا في سِلْككُم أيها المشركون.

قال الطبري ﺥ: وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن خليله إبراهيم ﻍ: أنه لما تبين له الحق وعرفه، شهد شهادة الحقّ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش في قيل الحقِّ والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله، وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ مع الله الذي خلقني وخلقكم، في عبادته من آلهتكم وأصنامكم، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق

السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويُحْيي ويُميت، لا إلى الذي يَفْني ولا يَبْقَى، ويَزُول ولا يدوم، ولا يضرّ ولا ينفع.

ثم أخبرهم تعالى ذكره: أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة في ذلك لربه على ما يحبُّ من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجِّه له وَجْهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجِّهَه، بل ضارّه ومهلكه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ولست منكم، أي: لست ممن يدين دينكم، ويتّبع ملّتكم أيها المشركون.

محاجة الخليل غ لقومه

قال الله ٥: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ
مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ
أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ
إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ
دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿ وَحَآجَّهُۥ ﴾	جادله.
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾	أتجادلونني في توحيدي لله وإخلاص العمل له دون مَنْ سواه.
﴿هَدَىٰنِ﴾	وفقني لتوحيده – بصَّرني بالحق.
﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾	أحاط ربي علمًا بكل شيء.
﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون – تعتبرون – تنزجرون.
﴿سُلۡطَٰنٗاۚ﴾	حُجةً.
﴿يَلۡبِسُوٓاْ﴾	يخلطوا.
﴿ٱلۡأَمۡنُ﴾	السلامة من عذاب الله.
﴿مُّهۡتَدُونَ﴾	مصيبون للحق – سالكون طريق النجاة.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ أي أن قوم إبراهيم ﻍ جادلوه لما أعلن عن توحيده لله ﮳ وعن إفراده بالعبادة وعن براءته من الشرك وأعلن أيضًا عن هجرانه للأصنام والأوثان وعن اعتزاله لها، فحينئذٍ جادلوه فتعجب من جدالهم فقال متعجبًا: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ أي أتجادلونني في توحيدي لله ﮳ وفي إخلاصي لله ﮳ وقد وفقني الله لعبادته وحده لا شريك له، وهو الذي وفقني لترك أصنامكم وآلهتكم التي عبدتموها مع الله، هداني ووفقني لترك عبادة الأحجار التي عبدتموها مع الله ﮳! فكيف تنكرون عليَّ عبادتي لله ﮳.

فتعجب الخليل من مجادلتهم ومحاجّتهم له فكان من اللائق بهم أن يؤمنوا وأن يُسلموا لما جاءهم بالحجج الدالة على وحدانية الله ﮳، لكن القوم لم يوفقوا لهدايةٍ، بل استمروا على ما هم فيه من الضلال، والشرك وخوّفوه من آلهتهم، خوفوه من أصنامهم اعتقادًا منهم أنها تنفع أو تضر، وأنها ستصيبه بمكروه أو سوء إن أعرض عن عبادتها. فقال إبراهيم ﻍ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ إنني لا أخشى أصنامكم، ولا أوثانكم التي عبدتموها من دون الله، فهي لا تنفع ولا تضر ولا تحيي ولا تميت ولا ترزق ولا تشفي ولا تُمرض.

إنما الذي أخشاه: أن يقدر الله ﮳ شيئًا عليَّ من سوء أو مكروه فالأمر كله لله، لا لأحدٍ سواه، فهو قادر على تقليب قلبي، قادرٌ على إحيائي وإماتتي ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾ قد علم ربي كل شيءٍ وأحاط بكل شيء علمًا وضُرِّي ونفعي فلا تخفى عليه خافية لأنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تعتبرون وتتعظون.

قال الطبري $: قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، يقول: أفلا تعتبرون؟ أيها

الجهلة، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون، من عبادتكم صورة مصورة وخشبة منحوتة، لا تقدر على ضر ولا على نفع، ولا تفقه شيئًا ولا تعقله، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شيء، وبيده الخير، وله القدرة على كل شيء، والعالم بكل شيء.

قلت: ثم يواصل الخليل إبراهيم غ مقولتَهُ ونصيحته لقومه وتعجبه من صنيعهم فيقول لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أي: وكيف أخشى آلهتكم التي لا تنفع ولا تضر ولا تملك دفع الضُّر عن نفسها فضلًا عن غيرها، وأنتم لا تخشون عاقبة شرككم بالله ٥ وعاقبة عبادتكم أصنامًا لم ينزل الله لكم برهانًا بعبادتها ولا إذنًا بعبادتها، فمن منا الذي ينبغي أن يخشى ويخاف؟ المشرك الذي جعل مع الله إلهًا آخر؟!!.

أم من يعبد ربًّا واحدًا أم من يعبد أربابًا كثيرة؟!!.

أم المؤمن الموحد الذي لم يتخذ لله شريكًا؟!! أفيدوني إن كان عندكم علمٌ بالجواب؟! أجيبوني إن كنتم تعلمون صدق مقولتي؟!!.

قال الطبري $: وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسَّه، لذكره إياها بسوء، في نفسه، بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم فعبدتموه من دونه، وهو لا يضُرُّ ولا ينفع؟ ولو كانت تنفع أو تضر، لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله -الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم، وضركم- في إشراككم في عبادتكم إياه، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ﴾، يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حُجّة، ولم يضع لكم عليه برهانًا، ولم يجعل لكم به عذرًا، ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ

ﵟبِٱلۡأَمۡنِۖﵞ، يقول: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربِّي مخلصًا له العبادة، حنيفًا له ديني، بريئًا من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصنامًا لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانًا ولا حجة، ﵟإِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَﵞ، يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم، فقولوا وأخبروني: أيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن.

قال الحافظ ابن كثير $: وقوله: ﵟفَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَﵞ أي: فأيُّ الطائفتين أصوب؟! الذي عبد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة.

هذا، وقوله تعالى: ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَﵞ لأهل العلم في بيان قائل ذلك قولان:

أحدهما: أن قائل ذلك هو الله ٥ فَصَلَ فيه الخصومة بين إبراهيم غ وقومه.

الثاني: أن قائل ذلك هم قومُ إبراهيم، فحاججهم إبراهيم غ فحجَّهم، أي غلبهم بالحجة حتى اضطرهم وألجأهم إلى أن يقولوا ذلك.

وأورد الطبري القولين فقال: اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه: أنه قال هذا القول، أعني: ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍﵞ الآية.

فقال بعضهم: هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله ﷺ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: ﵟوَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَﵞ؟ فقال الله تعالى ذكره، فاصلًا بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصوا له العبادة ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم -يعني: بشرك- ولم يشركوا في عبادته شيئًا ثم جعلوا عبادتهم لله

خالصًا، أحقّ بالأمن من عاقبة مكروه عبادته ربَّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام، فإنهم الخائفون من عاقبة مكروه عبادته، أمَّا في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله.

ثم قال: وقال آخرون: هذا جوابٌ من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم، حين قال لهم: «أي الفريقين أحق بالأمن؟» فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحّدوه أحق بالأمن، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

واختار الطبري خ القول الأول وانتصر له فقال: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن، وفصل قضاءٍ منه بين إبراهيم ﷺ وبين قومه. وذلك: أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها في عبادة الله، لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بَدِيًّا.

هذا، وعن معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك فالظلم هنا – كما ذهب إليه أكثر العلماء في هذا الموطن هو الشرك.

أخرج البخاري من حديث ابن مسعود ف قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم﴾ قال أصحابه وأيُّنا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13](1).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(1) البخاري (4629).

معناه، -والله أعلم-: وهذه التي ذكرناها لك يا رسول الله من محاججة إبراهيم لقومه ومناقشته معهم وغلبه لهم بالحجة لما قال لهم: فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟ أمن عبد إلهًا واحدًا كمن تعددت معبوداته؟! وهزيمتهم أمام قوله هذا.

تلك الحجة فضل من الله تفضل به على إبراهيم غ، ومنقبةٌ أتاه الله إياها فغلب قوله بفضل الله ٥، يرفع الله بهذا العلم وبتلك الحجج من يشاء من خلقه على من جهلوا تلك الحجج والبراهين، وإن سأل سائل لماذا اختص الله إبراهيم غ بذلك، فجواب قوله في ختام الآية الكريمة إن ربك حكيم في تلقينه عباده الصالحين حججهم كي يغلبوا بها أهل الكفر، عليم بمن يستحق الهداية والغلبة بالحجة فقوله: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ قيل: بالعلم، وقيل: بالنبوة، وقيل: هي عامة والله أعلم.

قال الطبري $: فمعنى الكلام إذًا: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ فرفعنا بها درجته عليهم، وشرّفناه بها عليهم في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا، فآتيناه فيها أجره، وأما في الآخرة، فهو من الصالحين، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾، أي بما فعل من ذلك وغيره.

وأما قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾، فإنه يعني: إن ربك، يا محمد، ﴿حَكِيمٌ﴾، في سياسته خلقه، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذّبة لهم، الجاحدة توحيد ربهم، وفي غير ذلك من تدبيره، ﴿عَلِيمٞ﴾، بما يؤول إليه أمر رسله والمرسل إليهم، من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم، وهلاكهم على ذلك، أو إنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ذكره وتصديق رسله، والرجوع إلى طاعته.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأتسِ، يا محمد، في نفسك وقومك المكذبيك، والمشركين، بأبيك وخليلي إبراهيم ﷺ، واصبر على ما ينوبك

منهم صبره، فإني بالذي يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم، وبالتدبير فيك وفيهم حكيم.

قال السعدي $: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ كما رفعنا درجات إبراهيم غ في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه، فوق العباد درجات.

خصوصًا، العالم العامل، المعلم، فإنه يجعله الله إمامًا للناس، بحسب حاله.

ترمق أفعاله، وتقتفي آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشي بعلمه في ظلمة ديجوره.

قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾

[المجادلة: 11]

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللائق بهما، وهو أعلم بذلك المحل، وبما ينبغي له.

NNO PMM

(98) أحمر
أسود

قصة إبراهيم غ مع أبيه
ودعوته إلى الله ٥

الوارد في ذلك من سورة مريم ژ:

قال الله ٥: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ
لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾
يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ
أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي
مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا
﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ
أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿صِدِّيقٗا﴾	كثير الصدق – من أهل الصدق.
﴿نَّبِيًّا﴾	نبأه الله وأوحى إليه.
﴿وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	لا يدفع عنك ضُرًّا.
﴿أَهۡدِكَ﴾	أُرْشدك – أُبصِّرْك.
﴿صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾	طريقًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا ضلال.

﴿عَصِيًّا ﴾	عاصيًا – ذو عصيان.
﴿يَمَسَّكَ ﴾	يُصيبك – يحلُّ بك.
﴿وَلِيًّا ﴾	المراد هنا – شريكًا في العذاب، متوليًا للشيطان ومن ثمَّ فمعذبٌ- قرينًا في النار.
﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ﴾	أمعرضٌ أنت – أمنصرفٌ أنت.
﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾	لأسبَّنك – لأرجمنك بالحجارة.
﴿مَلِيًّا ﴾	زمنًا طويلًا – حينًا طويلًا – دهرًا طويلًا سليم الجسم معافى(1).
﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾	أمانٌ مني لك – سَلِمْتَ من أن أصيبك بمكروه (لأنه لم يؤمر بقتاله).
﴿حَفِيًّا ﴾	لطيفًا (يجيب دعائي – يحتفي بي) ومن لطفه بي أن هداني لعبادته والإخلاص له والحفي كثير البرِّ والإلطاف (يجيبني إذا دعوته).
﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾	أجتنبكم – أتنحى عنكم.
﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾	أعبد ربي مخلصًا العبادة له.
﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾	عسى أن لا يرد دعائي فأشقى بذلك.
﴿مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾	من فضلنا – من رزقنا.
﴿لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	ثناءً حسنًا في الملأ الأعلى، وكذا في الدنيا لأن جميع الملل تثني عليهم.

(1) ومنه الملي: الغني.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

واذكر يا رسول الله لقومك الذين أُرسلت إليهم ولمن بعدهم، اذكر للناس كلهم، اذكر لهم ما في الكتاب الذي أنزل إليك، اذكر لهم ما في هذا القرآن الكريم في شأن إبراهيم ﻍ، فقد عرف القرشيون أنهم من أولاده (أعني أحفاده).

اذكر لهم إبراهيم فإنه كان حنيفًا مسلمًا، وما كان يعبد الأوثان والأصنام، اذكر إبراهيم ﻍ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ كان كثير الصدق، مع الخالق ﻪ ومع الخلق كذلك.

كان صادقًا مع الله ﻪ كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ وَفَّى بالعهود والمواثيق مع الله ﻪ.

اذكر إبراهيم ﻍ فقد كان نبيًّا، نبأه الله ﻪ وأوحى إليه، اذكره واذكر إنكاره على أبيه الذي كان يعبد الصنم والوثن.

وأبوه هو آزر كما قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وكذا في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ**». فذكر الحديث[1].

وأعود فأقول: إن الله ﻪ أمر نبيه محمدًا ﷺ أن يذكر لقومه قول إبراهيم، وإنكار إبراهيم ﻍ على أبيه: إذ قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾.

أي يا أبت ما الحامل لك على عبادة صنم لا يسمع ولا يبصر بل هو جماد من الجمادات لا يدفع عنك ضرًّا ولا يجلب لك نفعًا.

(1) وقد تقدم الحديث بذلك.

ماذا تصنع بعبادته وماذا تستفيد منها.

إنه لا يسمعك إذا دعوته ولا يُبصرك إذا أحطت به، لا يصرف عنك شرًّا!!

وقد تكرر من إبراهيم ﻍ مثل هذا الإنكار على أبيه وقومه.

قال الله ۵ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: 51- 52].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 69- 73].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾.

وأيضًا فقد أعلن إبراهيم ﻍ عن براءته من هذه المعبودات قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾.

فهكذا ذكَّر إبراهيم ﻍ أباه ووعظه ونهاه عن عبادة الأصنام والأوثان!!

وأورد له الدليل على بطلان عبادتها إذ هي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحدٍ شيئًا!!.

ثم تلطَّف إبراهيم ﻍ في دعوته لأبيه وترفَّق بهِ بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ فلم يتكبر ولم يتعالم على أبيه ولم يصف أباه بالجهل والغباء، وإن كان أبوه كذلك، ولم يصف نفسه بالذَّكاء الخارقِ؛ بل حاصل ما قاله إنه قد أتاني من الله ۵ علمٌ لم يأتك ألا وهو الوحي الذي أوحاه الله إليه والحجة التي آتاه الله إياها.

وقوله: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ أي اسلك طريقي الذي يقربني ويقربك

إلى الله ۵ فإني سأدلك على الطريق السوي المستقيم.

ويواصل الخليل إبراهيم غ تحذيره لأبيه آزر بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ وحاصل المعنى: يا أبت لا تطع الشيطان فيما يأمرك به من عبادة الأصنام، ولا تطعه يا أبت في أي شيء فإنه عاص للرحمن ۵، كثير العصيان، ولا يدعو إلا لمعصيةِ الله ۵ والكفر به، لا يدعو إلى طاعة الله أبدًا.

إنك يا أبت بطاعتك للشيطان فيما يدعوك إليه من الكفر ستكون وليًّا من أوليائه وقرينًا من قرنائه ومعذّبًا من المعذبين معه في النار يوم القيامة.

فهذا قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي يوم القيامة﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ قيل: قرينًا في النار مخلدًا فيها معه.

قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [النحل: 63].

وقيل: إن المراد يا أبت لا تكن من أنصار الشيطان فيمسَّك عذاب من الرحمن. والله أعلم.

هذا، وقد قال الطبري خ في معنى ذلك: يقول: يا أبت إني أعلم أنك إن مِتَّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ يقول: تكون له وليًّا دون الله، ويتبرأ الله منك، فتهلك. والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف: 80].

وقال الحافظ ابن كثير خ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي: على شركك وعصيانك لما أمرك به: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ يعني: فلا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا مغيثًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك، كما قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ

أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل: 63].

فماذا كان من آزر أمام هذه الدعوة الموجهة إليه من ابنه الرشيد من خليل الرحمن ‹ ؟؟

لقد قابلها بمنتهى الرفض!! بل وهدد إبراهيم ‹ وتوعده لكونه أعرض عن عبادة الأصنام!!، لكونه أعرض عن عبادة هذه الآلهة الباطلة!!

فقال مُهدِّدًا مُخوفًا متوعِّدًا ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ أي أمعرضٌ أنت عن عبادة آلهتي التي أعبدها يا إبراهيم ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ لئن لم تترك أقوالك هذه، ولئن لم ترجع إلى عبادة آلهتي ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾ قيل: لأرجمنك بالحجارة أي لأقتلنك رجمًا بالحجارة، وقيل: لأقذفنك بأنواع القذف والشتم والسباب والأقوال القبيحة.

قال الحافظ ابن كثير $: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ يعني: إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبِّها وشتمها وعيبها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك، وهو قوله: ﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾.

قلت: ثم إن آزر لم يقف عند هذا الحد بل توعد ولده بالطرد، بل طرده وأبعده عنه بقوله: ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ أي ابتعد عني زمنًا طويلًا فلا أحب أن أراك ولا أن أجالسك.

فهكذا يبتلي إبراهيم ‹ بتكذيب أبيه له وبإعراض أبيه عنه، بل وبتهديد أبيه له!! هكذا يبتلى الخليل من أقرب الأقربين من البشر إليه!! فلله الأمر من قبل ومن بعد!!

فحقًّا إن أمر الإيمان لا يملكه إلا الله سبحانه وتعالى يمنُّ به على من يشاء ويمنعه من يشاء!

هذا، وقد قال العلامة الشنقيطي $ في تفسير الآيات السابقة:(1) بيَّن

(1) وذلك في كتابه أضواء البيان.

الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، وإيضاح الحق والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشيطان خاطبه هذا الخطاب العنيف، وسماه باسمه ولم يقل له: «يا بني» في مقابلة قوله له: «يا أبت».

وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان أي معرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا.

وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة وقيل: باللسان شتمًا، والأول: أظهر.

ثم أمره بهجره مليًّا أي زمانًا طويلًا، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضًا جوابه العنيف بغاية الرفق واللين في قوله: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ الآية.

وخطاب إبراهيم لأبيه الجاهل بقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ قد بين جل وعلا أنه خطاب عباده المؤمنين للجهال إذا خاطبوهم، كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: 63]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: 55]، وما ذكره تعالى هنا من أن إبراهيم لما أقنع أباه بالحجة القاطعة، قابله أبوه بالعنف والشدة بين في مواضع أخر أنه هو عادة الكفار المتعصبين لأصنامهم، كلما أفحموا بالحجة القاطعة لجأوا إلى استعمال القوة، كقوله تعالى عن إبراهيم لما قال له الكفار عن أصنامهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 65]، قال: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: 67] فلما أفحمهم بهذه الحجة لجأوا إلى القوة، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾

[الأنبياء: 68].

ونظيره قوله تعالى عن قوم إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت: 24] الآية، وقوله عن قوم لوط لما أفحمهم بالحجة: ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ ... [النمل: 56] الآية إلى غير ذلك من الآيات.

أعود قائلًا: فماذا كان من خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لما هدده أبوه وتوعده؟

لقد قال له: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾.

أي أمانٌ مني لك فلن يلحقك مني أذى، ولن ينالك مني مكروه، فأنت أبي ثم إني سأطلب من ربي ٥ أن يغفر لك فإن ربي لطيف بي يجيب دعائي.

ويظهر هنا سؤالان يحتاجان إلى جواب:

أولهما: معلوم أنه لا يجوز ابتداء الكافر بالسلام، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وقال النبي ﷺ: **«لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ»**(1).

فكيف إذن قال الخليل لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾؟!

وجوابه: أن المراد بالسلام هنا الأمان وسلام المتاركة ليس المراد به ها هنا التحية التي هي تحية المسلمين.

قال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ لم يعارضه إبراهيم غ بسوء الرد؛ لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

والجمهور: على أن المراد بـ «سلامه»: المسالمة التي هي المتاركة لا

(1) صحيح أخرجه مسلم (14/ 148 مع النووي).

التحية.

قال الطبري: معناه أمنة مني لك.. أما السؤال الثاني: فمعلوم أننا لا نستغفر لأهل الشرك إذا ماتوا على الشرك فالله ๕ يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾... [التوبة: 113] فكيف قال إبراهيم لأبيه، ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؟!

وجوابه: أن إبراهيم غ وعد أباه بالاستغفار له قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].

وقد قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4] فليس لنا أن نتأسى بإبراهيم غ في قوله لأبيه المشرك لأستغفرن لك.

وأعود -قائلًا-: إن الخليل غ قال لأبيه وقد قرر اعتزاله واعتزال آلهته الباطلة التي يعبدها من دون الله ๕، قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾.

قيل: إن الدعاء هنا بمعنى العبادة ولا يمنع أن يدخل فيه دعاء المسألة أيضًا، فقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: وما تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي سوى الله ๕ فقال بعض أهل العلم: إن القوم كانوا يعبدون الله ๕ ويعبدون معه الأصنام والأوثان وهذا هو الشرك بالله، فقرر إبراهيم غ اعتزال الأصنام والأوثان، ولم يكن عبدها من قبل، لكن أكَّد على تركها، ولم يعتزل عبادة الله ๕ فقوله: ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ أي وأعبد ربي، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ومن العلماء من قال: إن قوله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أي أسأل ربى أن يرزقنى بالذرية الصالحة يعوضنى بها ما فاتنى من صحبة قومي، ويؤنسنى بها من وحشتى وغربتى مع قومى.

وقول الخليل ع: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾: معناه: والله تعالى أعلم؛ عسى أن لا يشقيني ربي بالرد والحرمان فإن المحروم الذي رُدَّ دعاؤه يشقى بهذا الرد والحرمان.

قال الطبري خ: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي ويعطيني ما أسأله.

قال القرطبي $: قيل: أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلًا وولدًا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه.

ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ أي آنسنا وحشته بولد؛ عن ابن عباس وغيره.

وقيل: ﴿عَسَىٰٓ﴾ يدل على أن العبد لا يقطع بأنه يبقى على المعرفة أم لا في المستقبل.

وقيل: دعا لأبيه بالهداية. فـ ﴿عَسَىٰٓ﴾ شك لأنه كان لا يدري هل يستجاب له فيه أم لا؟ والأول أظهر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيًّا﴾.

أي فلما اعتزل إبراهيم ع أباه وقومه وآلهتهم الباطلة التي يعبدونها من دون الله، تفضلنا عليه بأن رزقناه منا رزقًا حسنا، فقد رزقناه بإسحاق ع، وهو نبيٌّ كريم، وبشرناه بأن إسحاق سيرزق بيعقوب ع، وهو نبي كذلك ووهبنا لهؤلاء جميعًا ﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ من رحمتنا، أي من رزقنا وفضلنا ماوهبناهم إياه من الإيمان والتصديق والقوة في البدن والبصيرة

والسداد، كما قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ أي الأقوياء العلماء ﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ﴾ أي فضلناهم بفضيلة، وميزناهم بميزة، وهي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴾ أي كثرة تذكرهم للدار الآخرة فهذا يحملهم على مزيد من الطاعة والاجتهاد في العبادة والزهد في الدنيا، وكذا يورثهم شجاعة في إيمانهم وصلابةً في دينهم ثم إن الله أنعم عليهم أيضًا إذ قال: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا ﴾ أي يوم القيامة وكذا عندنا في الدنيا ﴿لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ﴾ الذين اصطفيناهم واجتبيناهم، ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ جمع خيِّر وهو من يفعل الخيرات ويكثر من فعلها.

فأعود قائلًا: إن الله ۵ منَّ على إبراهيم بإسحاق وبشر إبراهيم بأن إسحاق سيرزق بيعقوب، ومنَّ عليهم كما سبق بالنبوة والرحمة من عنده ثم إن الله ۵ جعل لهم لسان صدقٍ عليًّا.

والمراد به الثناء الحسن على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، والذين منهم إسحاق ويعقوب.

ثناءٌ حسن في حياتهم من أهل الإيمان وكذا ثناء حسن بعد موتهم، ومن ذلك قولنا في التشهد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

وكذا: كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

وفي أذكار الصباح والمساء: أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين.

وقد قدمت كثيرًا من ذلك في وجوهِ اصطفاء إبراهيم وآل إبراهيم على العالمين.

هذا، وقد دعا الخليل ربَّه ۵ بهذا الذي منَّ الله ۵ عليه به، إذ قال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ ﴾ أي ثناءً حسنًا في الذين يأتون من بعدي،

فاستجاب الله له إذ قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

فكثير أهل الملل يثنون عليهم.

وكذا الملائكة في الملإ الأعلى يثنون عليهم. والله أعلم.

هذا، وقد قال الطبري $ في تفسيره لبعض ما ذُكر: يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ يقول: وجعلناهم كلهم، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء، وقال تعالى ذكره: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فوحَّد، ولم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كل.

قال الحافظ ابن كثير خ: يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾ الخليل -أباه وقومه- في الله، أبدله الله من هو خير منهم، ووهب له إسحاق ويعقوب، يعني ابنه وابن إسحاق، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: 72] وقال: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] ولا خلاف أن إسحاق والد يعقوب، وهو نص القرآن في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: 133] ولهذا إنما ذكر هاهنا إسحاق ويعقوب، أي جعلنا له نسلًا وعقبًا أنبياء، أقر الله بهم عينه في حياته، ولهذا قال: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فلو لم يكن يعقوب قد نبئ في حياة إبراهيم، لما اقتصر عليه، ولذكر ولده يوسف؛ فإنه نبي أيضًا، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته(1)، حين سئل عن خير الناس، فقال: «**يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ يَعْقُوبَ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ إِسْحَاقَ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ**» وفي اللفظ الآخر: «إِنَّ

(1) البخاري (4689)، ومسلم (2378).

الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يوسفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»(1).

قلت (مصطفى): هذا، وسيأتي مزيدٌ لمحاورات إبراهيم غ مع أبيه وقومه في مواطن شتى من الكتاب العزيز سنوردها في محلها إن شاء الله.

(1) البخاري (3382).

إبراهيم غ يتبرأ (1) من أبيه وقومه

وكذا تبرأ من الأصنام وعبادتها

قال الله ٥: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

معنى مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿بَرَآءٌ﴾	مُتخل – رافض – تارك.
﴿فَطَرَنِى﴾	خلقني.
﴿سَيَهْدِينِ﴾	سيوفقني ويرشدني ويُسددني.
﴿عَقِبِهِۦ﴾	ذريته - نسله.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

المعنى -والله تعالى أعلم-: واذكر قول إبراهيم غ خليل الرحمن إذ قال لأبيه آزر ولقومه المشركين الذين أشركوا بالله وعبدوا معه آلهة أخرى من أوثان وأصنام وغير ذلك إذ قال لهم إبراهيم غ: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي: متبرئٌ من عبادتكم ومن آلهتكم التي تعبدونها لكن ربي ٥ الذي خلقني فإني لا أتبرأ منه فإنه خالقي وسيهديني ويوفقني ويسددني ويرشدني، وهذه الآية في معناها قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟

---

(1) وليس المراد التبرؤ من النسب فهو أبوه، ولكن المراد التبرؤ من كفرهم الذي هم عليه والتبرؤ منهم لكفرهم وأنه إذا أصابهم شيء من العذاب فليس بمسؤول عنهم.

﴿لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4].

فعلى ما ذُكر يكون الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ استثناء متصل، ووجهه أن القوم كانوا يعبدون الله ۵ وكانوا يعبدون معه آلهة أُخرى فتبرأ إبراهيم ؑ من آلهتهم التي هي دون الله ۵ ولم يتبرأ من عبادة الله ۵.

قال قتادة(1): كايدهم، كانوا يقولون إن الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: 25]، فلم يتبرأ من ربه، والذي قال: إنه منقطع، قال: معناه لكن الذي فطرني فإنه سيهدين.

قال القرطبي: ويجوز أن يكون منقطعًا أي: لكن الذي فطرني فهو يهدين، قال ذلك ثقةً بالله وتنبيهًا لقوله أن الهداية من ربه ۵.

والآية كقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: 78].

NNO PMM

(1) أخرجه الطبري (30814)، بسندٍ حسنٍ.

الأمر بالتأسي بإبراهيم غ في التبرؤ من الكفر والكافرين والنهي عن التأسي به في استغفاره لأبيه المشرك الذي قد مات على الشرك

قال الله ٥: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ
لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ
ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

معاني مفردات الآيات السابقة:

الكلمة	معناها
﴿أُسْوَةٌ﴾	قدوة (تقتدون به).
﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾	متبرئون.
﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾	أنكرناكم – أنكرنا أن تكونوا على حق – جحدنا أفعالكم وكذَّبناها – كفرنا بما تعبدون من الأوثان.
﴿وَبَدَا﴾	ظهر – بان.
﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾	ما أدفع عنك من عذاب الله من شيء – لا أغني عنك شيئًا.
﴿تَوَكَّلْنَا﴾	اعتمدنا.

﴿أَنَبْنَا﴾	رجعنا عما كنا فيه من الكفر والمعاصي.
﴿ٱلْمَصِيرُ ﴾	المرجع والمآب.
﴿يَتَوَلَّ﴾	يُعرض عن الإسلام والإيمان، ويوالي الكفار.
﴿مَّوَدَّةً﴾	محبةً وولاء.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

قد كانت لكم يا أهل الإسلام قدوة تقتدون بها قدوتكم إبراهيم ‎غ والذين معه فهو لكم قدوة وأسوة، وكذا الذين معه فيهم قدوةٌ لكم.

أما الذين معه فقد قال بعض أهل العلم: إنهم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وقال آخرون: إنهم أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه.

لكم فيهم أسوة حسنة وقدوة حسنة تقتدون بهم فيها لكم فيهم أسوةٌ إذ أعلنوا لقومهم عن براءتهم منهم ومن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ‎5 لكم فيهم قدوة في إنكارهم على قومهم وفي قولهم لهم: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾.

وإيضاحه – والله أعلم- جحدناكم وأنكرنا كونكم على صواب وأنكرنا وجحدنا ما أنتم عليه من الكفر والشرك، وظهرت عداوتنا لكم واستبان أيضًا عداوتكم لنا ولن نودكم ولن نحبكم حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك والكفر.

قال الطبري: وقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ يقول جل ثناؤه مخبرًا عن قول أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على

كفركم بالله وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، حتى تؤمنوا بالله وحده، يقول: حتى تصدقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة.

أما قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

فمعناه -والله تعالى أعلم-، لكم أسوة حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إلا في قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، فلا تتأسوا بإبراهيم في ذلك.

فقد مات أبوه على الكفر.

وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾.

قال الطبري $: وقوله: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ يقول تعالى ذكره: قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينته الكفار، ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ فلأنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوٌّ لله، فلما تبين أنه عدّو الله تبرأ منه، يقول تعالى ذكره: فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرءوا من أعداء الله من المشركين به ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويبرءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء.

وأورد بإسنادٍ حسن[1] عن قتادة قال: ائتسوا به في كل شيءٍ ما خلا قوله لأبيه: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ فلا تأتسوا بذلك منه فإنها كانت عن موعدةٍ وعدها إياه.

---

(1) الطبري (33943).

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله ٥ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ليس لكم في ذلك أسوة، أي في الاستغفار للمشركين. هكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل بن حبان، والضحاك، وغير واحد.

وقال عطية بن سالم في تتمته لـ «أضواء البيان»: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ فهذا القول من إبراهيم ليس موضع التأسي، وموضع التأسي المطلوب في إبراهيم غ هو ما قاله مع المتقدم جملة، وما فصله تعالى في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ وهذا التبرؤ جعله باقيًا في عقبه، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ الآية، لم يبين هنا سبب هذا الاستثناء، وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا؟

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ

إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ فكان قد وعده ووفّى بعهده، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه، لما تبين له أنه عدو لله.

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم غ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ وفي هذه الآية وما قبلها أقوى دليل على أن دين الإسلام ليست فيه تبعية أحد لأحد، بل ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة، منها موقف نوح غ من ابنه لما قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فلما تبين له أمره من قول له تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ الآية: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية، فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه.

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية.

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتبرأت الزوجة من زوجها، وهذا التأسي قد بين تمام البيان معنى قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ أي ولا آباؤكم ولا أحد من أقربائكم، يوم القيامة يفصل بينكم، وقول

(118) أحمر
أسود

إبراهيم لأبيه: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ بينه ما قدمنا من أن الإسلام ليس فيه تبعية، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وكل نفس بما كسبت رهينة.

وقولـــــــه: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.

تكرير الأمر بالتأسي بإبراهيم ۏ وبالذين معه والتأكيد على ذلك

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾.

أي من كان يرجو لقاء الله وثواب الله والنجاة في اليوم الآخر فليتأس بإبراهيم والذين معه وليقتد بهم.

أما قوله تعالى: ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

فمعناه: والله أعلم، عسى الله أن يجعل عداوتكم لهم وبغضكم إياهم سببًا في هدايتهم للإسلام ومن ثَمَّ حصول المودة بينكم وبينهم.

قال الطبري $: يقول تعالى: عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا أولياء وأحزابًا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ قال هؤلاء المشركون: قد فعل قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح.

ثم قال الطبري $: وقوله: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ يقول: والله ذو قدرة على أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منها، رحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها.

هذا، وقول أهل الإيمان ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لأهل العلم فيه أقوال:

أحـدها: لا تنصـرهم علينـا فيظنـوا أنهـم علـى حـقٍّ ونحـن علـى باطـل فيصرفوا عن الإسـلام، ويقولـون: لـو كـان هـؤلاء علـى حـقٍّ مـا انتصـرنا عليهم.

القول الثاني: لا تظهرهم علينا فيفتنوننا بذلك ويصرفوننا عن ديننا.

القول الثالث: لا تعذبنا بعذاب من عندك فيشمتوا فينا.

ذِكر الوارد عن إبراهيم غ

من سورة العنكبوت وشيء من قصته مع قومه

أولاً الآيات الواردة في ذلك:

يقول الله ٥: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا
فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ
النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن
يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا
كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ
النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ
أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[العنكبوت: 16- 27].

ثانيًا: معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿وَٱتَّقُوهُۖ﴾	اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية.
﴿أَوۡثَٰنًا﴾	أصنامًا.
﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾	تقولون كذبًا – تصنعون كذبًا – تصنعون أصنامًا تصرفون بها الناس عن عبادة الله ﷻ.
﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾	اطلبوا الرزق من عند الله.
﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	تبليغ ما أمره الله بتبليغه تبليغًا واضحًا ظاهرًا مظهرًا الحقائق.
﴿يُبۡدِئُ﴾	يخلق لأول مرة.
﴿يُعِيدُهُۥٓۚ﴾	يبعثه يوم القيامة.
﴿ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾	البعث الآخر يوم القيامة.
﴿تُقۡلَبُونَ﴾	ترجعون.
﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾	بفائتين – بهاربين.
﴿وَلِيّٖ﴾	مَن يتولاكم ويرعاكم.
﴿نَصِيرٖ﴾	من ينصركم.
﴿يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي﴾	انقطع أملهم في حصول الرحمة بهم.
﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾	توادًا بينكم ومجاملةً من بعضكم لبعض تطلبون بذلك رضا بعضكم على بعض.
﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم﴾	يجحد بعضكم قدرة بعض على إنقاذه، يجحد بعضكم عبادة بعض وطاعة بعض وصداقة بعض،

﴿بِبَعْضٍ﴾	تلك التي كانت بينهم في الدنيا.
﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾	تارك بلادي وذاهب إلى بلاد أخرى لعبادة ربي ٥.

ثالثًا: المعنى الإجمالي للقصة من سورة العنكبوت:

يُذكِّرُ الله ٥ نبيه محمدًا ﷺ والعباد بما كان من إبراهيم غ مع قومه، فإبراهيم قدوة وأسوة حسنة يُقتدى به ويُتأسى به فيقول تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أي واذكر يا رسول الله، واذكروا يا عباد الله نبي الله إبراهيم غ، وقوله لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أخلصوا له العبادة، ولا تشركوا معه شيئًا ولا تعبدوا إلهًا غيره، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بتوحيدكم وصلاتكم وغير ذلك من الطاعات ذلكم التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له خيرٌ لكم من الشرك والكفر إن كنتم تعلمون. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر أيضًا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن، إذ قال لقومه: اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الأوثان والأصنام، فإنه لا إله لكم غيره، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يقول: واتقوا سخطه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

قال ابن كثير $: يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء: أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له، وتوحيده في الشكر، فإنه المشكور على النعم، لا مُسْدِ لها غيره، فقال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: أخلصوا له في العبادة والخوف، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة، واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة.

قلت: (مصطفى): ثم يواصل الخليل إبراهيم غ تذكيره قائلًا: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

والمعنى -والله أعلم-: إن الذي تعبدونه من دون الله إنما هي أصنام لا تنفع ولا تضر، وإنكم تصنعون كذبًا وتنحتون أصنامًا وتعبدونها وتختلقون الكذب أنها آلهة مع الله، ألا فاعلموا أن تلك الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا تملك لكم رزقًا، فاطلبوا الرزق من الله فهو الرزاق ذو القوة المتين، وأخلصوا لله في عبادته، فاعبدوه وحده لا شريك له، وقدموا له شكرًا على نعمه التي لا يحصيها إلا هو فإلى الله مرجعكم ومآبكم يوم القيامة وسيجازي كلًّا بعمله، والله أعلم.

قال الطبري $: وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ يقول: فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، تدركوا ما تبتغون من ذلك ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾ يقول: وذلوا له ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾ على رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم، يقال: شكرته، وشكرتُ له، أفصح من شكرته. وقوله: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يقول: إلى الله تُرَدّون من بعد مماتكم، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعمه تتقلبون، ورزقه تأكلون.

قلت (مصطفى): وقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ففي تعيين قائل وجهان:

أحدهما: أنه إبراهيم غ، قاله لقومه.

والثاني: أنه قول الله سبحانه وتعالى قاله لأهل الكفر المكذبين برسول الله ﷺ.

والظاهر -والعلم عند الله-: أنه استطراد في القول من إبراهيم غ.

والمعنى -والله أعلم-: أن إبراهيم غ قال لقومه بعد أن بيَّن لهم بطلان ما هم عليه من الكفر وعبادة الأصنام، قال: وإن تكذبوا فلستم بأول من كذب، ولكم عبرةٌ بالذي حلَّ بالمكذبين من قبلكم فقد أهلكناهم ودمرناهم كما صنعنا بقوم نوحٍ وعادٍ وثمود، فانتظروا أن يحلَّ بكم مثل ما حلَّ بهم، أما رسولنا ﷺ فما عليه إلا أن يبلغكم ما أمر بتبليغه، يبلغكم إياه بلاغًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، بلاغًا يبين لكم أن ما أنتم عليه باطل، وأن الذي يدعوكم إليه هو الحق.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: وإن تكذِّبوا أيها الناس رسولنا محمدًا ﷺ فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم، والبراءة من الأوثان، فقد كَذّبت جماعات من قبلكم رسلَها فيما دعتهم إليه الرسل من الحقّ، فحلّ بها من الله سخطه، ونزل بها منه عاجل عقوبته، فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يقول: وما على محمد إلا أن يبلِّغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أَمَره بأدائه إليكم ربُّه. ويعني بالبلاغ المبين: الذي يُبِين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به.

وقال ابن كثير $: وقوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء.

وقال قتادة في قوله: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ قال: يُعزي

نبيه ﷺ. وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول، واعترض بهذا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾. وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضًا.

والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل غ يحتج عليهم لإثبات المعاد؛ لقوله بعد هذا كله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فمعناه -والله أعلم-، أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث المنكرون للقيامة والثواب والعقاب، أولم ينظروا إلى أنفسهم وما حولهم من المخلوقات فيستدلوا بها على قدرة الله ۵ على إحيائهم بعد إماتتهم وعلى بعثهم بعد فنائهم، أنهم يرون أمام أعينهم كيف يُبدئ الله الخلق، إذ الله يخلقهم من نطفة من منيٍّ يُمنى ثم من علقة ثم من مضغة ثم يخرجهم طفلًا ثم يقوي أمرهم ثم يعودون ضُعفاء ثم يموتون ويصبحون ترابًا، فالذي خلقهم وأماتهم قادر على بعثهم وإعادتهم، وكذا خلق سائر المخلوقات دجاجة تبيض بيضة ثم يخرج من البيضة فرخ صغير وينمو ويكبر ثم تموت تلك الدجاجة وتفنى، وكذا سائر المخلوقات فالذي فعل بها ذلك قادرٌ على البعث بعد الموت فهو (أي البعث) أيسر عليه وأسهل. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلًا صغيرًا، ثم غلامًا يافعًا، ثم رجلًا مجتمعًا، ثم كهلًا، يقال منه: أبدأ وأعاد وبدأ وعاد، لغتان بمعنى واحد. وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ يقول: ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه، كما بدأه أوّل مرّة خلقًا جديدًا، لا يتعذّر عليه ذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل كما كان يسيرًا عليه إبداؤه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُۥٓ﴾: بالبعث بعد الموت.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن الخليل غ، أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته؛ فإنه سهل عليه يسير لديه.

وقال القرطبي $: وقيل: المعنى أولم يروا كيف يبدئ الله الثمار فتحيا ثم تفنى ثم يعيدها أبدًا وكذلك يبدأ خلق الإنسان ثم يهلكه بعد أن خلق منه ولدًا وخلق من الولد ولدًا وكذلك سائر الحيوان أي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد فهو القادر على الإعادة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لأنه إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون. انتهى.

قلت: ثم يتواصل الحثُّ على النظر والتفكر والتدبر والاعتبار فيقول الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾.

قل: سيروا أيها الناس ويا منكري القدرة على البعث ويا منكري الجزاء ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وانظروا إلى قدرة الله ٥ في مخلوقاته التي خلقها، انظروا كيف بدأ خلقها ولم تك شيئًا، انظروا إلى عموم ما خلق الله من دواب تدب على الأرض ومن أسماك وحيتان في البحر، وإلى تلك الطيور السارحة، والنباتات ذات الشكل البهيج، وكذا السماوات والأرض والجبال وغير ذلك مما تستدلون به على قدرة الله، فإن الله خلقه ولم يك شيئًا، ثم إن الله ٥، ينشؤكم مرة أخرى يوم القيامة كما أنشأكم في الدنيا فهو ٥ على كل شيء قدير. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري $: وقوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب: ﴿

﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ﴾ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها؛ وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذّر عليه إحداثها مُبدئًا، فكذلك لا يتعذّر عليه إنشاؤها معيدًا ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ يقول: ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه كهيئته قبل فنائه، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شيء أراده.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي قل لهم يا محمد: سيروا في الأرض ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم وانظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾.

قلت: وقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ أي: يعذب من يشاء يوم القيامة ويرحم من يشاء وإليه المرجع والمآب وثَمَّ معنى آخر وهو يعذب من يشاء في الدنيا ويرحم من يشاء فيها وإليه مرجع الناس كلهم ومُنقلبهم جميعًا ثم يحاسبهم ويجازي المحسن ويُعاقب المسيء، والله أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

فمعناه -والله أعلم-: وما أنتم أيها البشر بفائتين من الله **٥** فلن تستطيعوا هربًا في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من وليٍّ يتولاكم، ولا نصير ينصركم.

ويمكن أيضًا أن يقال: وما أنتم يا أهل الأرض بهاربين من الله، وكذا

أنتم يا أهل السماء لستم بهاربين.

وأخرج الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: لا يُعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السماوات في السماوات إن عصوه، وقرأ: ﴿مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

معناه -والله أعلم-: والذين جحدوا آيات الله وأنكروها وأنكروا البعث والثواب والعقاب أولئك سييأسون من رحمتي يوم القيامة ولهم آنذاك عذاب مؤلمٌ موجعٌ.

فماذا كان جواب قوم إبراهيم على إبراهيم غ لما دعاهم إلى ما دعاهم إليه من الإخلاص والتوحيد ولما نهاهم عن الشرك بالله وعبادة الأوثان؟!!

ماذا كان منهم لما ذكرهم بالأمم التي سبقتهم والتي دمرها الله ٥ وأبادها وأفناها؟!!.

وماذا كان منهم لما ذكَّرهم بالبعث والحساب؟!

وماذا كان منهم لما ذكرهم بعجزهم عن الفرار من الله؟

وماذا كان منهم لما ذكَّرهم وخوفهم بعذاب الله؟!!

لقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

والمعنى -والله أعلم-: أن إبراهيم غ لما وعظ قومه بالمواعظ المتقدم ذكرها، وذكَّرهم بأنواع التذكير ما كان جوابهم له إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوا إبراهيم غ أو أوقدوا له نارًا فألقوه فيها فيحترق، ففعلوا ذلك به ولكن الله جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا وأنجاه من النار إن في ذلك الإنجاء

لإبراهيم غ لدلالات لقوم يصدقون بقدرتنا ونصرنا لأوليائنا.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ إلا أن قال بعضهم لبعض: ﴿ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، ففعلوا، فأرادوا إحراقه بالنار، فأضرموا له النار، فألقوه فيها، فأنجاه الله منها، ولم يسلطها عليه، بل جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا.

وقوله:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إنجائنا لإبراهيم من النار، وقد ألقي فيها وهي تَسَعّر، وتصييرها عليه بردًا وسلامًا لأدلة وحججًا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج إذا عاينوا ورأوا.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم، ودفعهم الحق بالباطل: إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان، وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات: 97، 98]، وذلك أنهم حَشَدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحَوّطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عَنَان السماء: ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا.

ولهذا وأمثاله جعله الله لِلناس إمامًا. فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان.

وقوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: سَلَّمه منها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فقد أشار الطبري إلى ثلاث وجوهٍ للقراءات في قوله ﴿مَّوَدَّةَ﴾.

أحدها: (مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ) بفتح التاء المربوطة مع تنوينها وفتح النون من بينكم بغير إضافة.

الثاني: ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ بفتح التاء المربوطة وكسر النون من قوله بينِكم.

الثالث: (مودةُ بَيْنِكُمْ) بضم التاء المربوطة وخفض النون.

أما عن المعاني فكلها متقاربة، وحاصله: أن أهل الكفر كان بعضهم يجامل بعضًا بعبادتهم الأصنام والتقرب إليها، أي أنهم يعبدون الأوثان ويتفانون في خدمتها مجاملة من بعضهم لبعض أما بشيء من التفصيل:

فأقول -وبالله التوفيق-:

الوجه الأول، حاصله -والله أعلم-: إن الأوثان التي اتخذتموها آلهة تعبدونها من دون الله إنما كان اتخاذكم لها ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ أي: تواصلًا بينكم وصداقةً وترابطًا بينكم، فكنتم تتواصلون بذلك وتتوادون بذلك، يتودد بعضكم لبعض بذلك.

الثاني: قريب المعنى من الأول، وحاصله – والله أعلم – إنما اتخذتموها مودة بينكم تتحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فالمقرب منكم من يخدمها ويوقرها.

أما الوجة الثالث: فصل فيه البعض بأن قالوا: إن كلمة ﴿إِنَّمَا﴾ مشتملة على حرفين ﴿إِنَّ﴾ و﴿مَا﴾ فيكون المعنى -والله أعلم- إن الذي اتخذتم من

دون الله أوثانًا إنما هو مودتكم في الدنيا، وليست بنافعتكم شيئًا في الآخرة، والله أعلم، وكما أسلفت فالمعاني متقاربة.

قال ابن كثير $: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يقول لقومه مقرِّعًا لهم وموبخًا على سوء صنيعهم، في عبادتهم الأوثان: إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا، صداقة وألفة منكم، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا، وهذا على قراءة من نصب ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ على أنه مفعول له، وأما على قراءة الرفع فمعناه: إنما اتخاذكم هذا يُحَصّل لكم المودة في الدنيا فقط.

وعن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

فمعناه -والله أعلم-: ثم إنكم يا من جامل بعضكم بعضًا باتخاذ الأصنام آلهة يتبرأ بعضكم من بعض يوم القيامة، ويجحد بعضكم بعضًا ويلعن بعضكم بعضًا، أي أن المجاملات التي كانت من بعضكم لبعض ليست بنافعة لكم يوم القيامة بل مصيركم الذي تصيرون إليه ومأواكم الذي تأوون إليه هو النار، وما لكم من نصير ينصركم ولا ولي يتولاكم.

قال الطبري $: وقوله: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم يوم القيامة أيها المتوادّون على عبادة الأوثان والأصنام، والمتواصلون على خدمتها عند ورودكم على ربكم، ومعاينتكم ما أعدّ الله لكم على التواصل، والتوادّ في الدنيا من أليم العذاب، ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ يقول: يتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضُكم بعضًا.

وقوله: ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يقول: وما لكم أيها القوم

المتخذو الآلهة، من دون الله ﴿مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم نار جهنم، فينقذونكم من عذابه.

وقال ابن كثير $: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنًا، فـ: ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ أي: يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ **[الأعراف: 38]**، وقال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ **[الزخرف: 67]**، وقال ها هنا: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار، وما لكم من ناصر ينصركم، ولا منقذ ينقذكم

هجرة إبراهيم غ من بلاده بعد أن دعا أهلها إلى الله ۵ فرفضوا دعوته إلا أن لوطًا غ آمن له

أقول -وبالله التوفيق-: لقد دعا إبراهيم قومه إلى الله ۵ ولكن ما آمن معه إلا القليل منهم، كما قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾
وكان من هؤلاء القليل لوط غ، فهو من الذين آمنوا بالله وصدقوا إبراهيم غ واتبعوه، ولكن، وبعد أن امتنع قومه عن الإيمان وقد رأوا من الآيات ما رأوا، رأوه قد نجا من النار، ومع ذلك لم يؤمنوا، قرَّر إبراهيم الهجرة من

البلاد ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

والمعنى -والله تعالى أعلم-: فصدَّق لوطٌ غ نبي الله إبراهيم غ وآمن به وبما جاء به من عند الله، واتبعه، وقال إبراهيم غ: إني مهاجر من بلادي إلى بلاد أخرى أعبد فيها ربي ٥ كما قال في آية أخرى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99].

أما قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فمعناه الذي لا يغلب.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في كل شيء وفيما يشرع ويقضي ويقدِّر. والله أعلم.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره: فصدّق إبراهيم خليل الله لوط: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾.

يقول: وقال إبراهيم: إني مهاجر دار قومي إلى ربي، إلى الشام.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يقول: إن ربي هو العزيز الذي لا يذِلّ من نَصَره، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء، وإليه هجرته، الحكيم في تدبير خلقه، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن إبراهيم: أنه آمن له لوط، يقال: إنه ابن أخي إبراهيم، يقولون هو: لوط بن هاران بن آزر، يعني: ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة الخليل.

وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ يحتمل عود الضمير في قوله: ﴿وَقَالَ﴾، على لوط؛ لأنه أقرب المذكورين، ويحتمل عوده إلى إبراهيم -قال ابن عباس، والضحاك: وهو المكني عنه بقوله: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ أي: من قومه.

ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم، ابتغاء إظهار الدين

والتمكن من ذلك؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: له العزة ولرسوله وللمؤمنين به، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية.

قلت: وقد يُطرح سؤال حاصله: من أي بلدة هاجر إبراهيم غ وإلى أي بلدة ذهب؟

قال بعض أهل العلم: هاجر من بلاد الكوفة إلى الشام، وهذا قول قتادة فقد أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي: فصدقه لوط ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ قال: هاجرا جميعًا من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى الشام.

قلت: كذا قال قتادة $، ولم أقف في الباب على خبر عن رسول الله ﷺ.

قلت: ويتأكد القول بأن إبراهيم غ هو الذي قال: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ بأمور:

أحدها: أن السياق كله قبل وبعد الآية في شأن إبراهيم غ.

الثاني: قوله في آية آخرى: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99].

الثالث: قوله بعد الآية الكريمة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، وهذا في إبراهيم.

هذا، وبعد أن هاجر إبراهيم غ منَّ الله ٥ عليه بالذرية الصالحة التي كان منها الأنبياء الذين أرسلهم الله ٥ وأنزل عليهم كتبًا وجعل للخليل غ منزلةً عليه في الآخرة قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

المعنى – والله أعلم -: ومننا على إبراهيم غ بأن رزقناه بإسحاق غ، وذلك عند كبره إذ قد قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: 39] وكذا بشرناه بحفيده يعقوب بن إسحاق ث، وهو نبي كريم أيضًا، وجعلنا كل الأنبياء من بعد إبراهيم من

ذريته عليه الصلاة والسلام، إلى أن جاء عيسى غ، مبشرًا برسول الله محمد ﷺ الذي هو من نسل إسماعيل غ وكذا جعلنا الكتب التي أنزلناها من عندنا تنزل على ذرية إبراهيم غ، وأعطيناه في الدنيا حسنة، وأجرًا عظيمًا: منه صلاتنا عليه في كل صلاة نصليها، وتبريكنا عليه ومنها أن كل الفرق تحب إبراهيم غ وترغب في نسبته إليها، وجعلنا له ثناءً حسنًا عليه في الناس من بعده، فقد أجبنا دعوته إذ دعانا قائلًا: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84].

ومع ذلك كله فأجره مدخرٌ عند الله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ورزقناه من لدنا إسحاق ولدًا ويعقوبَ من بعده وَلَدَ وَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ بمعنى الجمع، يراد به الكُتُب، ولكنه خُرّج مَخْرج قولهم: كثر الدرهم والدينار عند فلان.

وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مع ذلك ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فله هناك أيضًا جزاء الصالحين، غير منتقص حَظُّه بما أُعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة.

وقيل: إن الأجر الذي ذكره الله ۵ أنه آتاه إبراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن، والولد الصالح.

وقال ابن كثير $: وقوله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: 49] أي: إنه لما فارق قومه أقرّ الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح في حياة جده، وكذلك قال الله: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ﴾

[الأنبياء: 72].

أي: زيادة، كما قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] أي: ويولَد لهذا الولد ولد في حياتكما، تقر به أعينكما. وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن، وثبتت به السنة النبوية، قال الله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

وفي الصحيحين (1): «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يوسفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ».

ثم قال ابن كثير $: وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾، هذه خِلْعَة سَنية عظيمة، مع اتخاذ الله إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم غ، إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم غ: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيُّ والمنزل الرَّحْب، والمورد العذب، والزوجة الحسنة الصالحة، والثناء الجميل، والذكر الحسن، فكل أحد يحبه ويتولاه، كما قال

(1) البخاري (4688).

ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، مع القيام بطاعة الله من جميع الوجوه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: 37]، أي: قام بجميع ما أمر به، وكمل طاعة ربه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النحل: 120- 122].

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي منَّ الله عليه بالأولاد فوهب له إسحاق ولدًا ويعقوب ولد ولد وإنما وهب له إسحاق من بعد إسماعيل ويعقوب من إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ فلم يبعث الله نبيًّا بعد إبراهيم إلا من صلبه، ووحد الكتاب لأنه أراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والإنجيل والفرقان فهو عبارة عن الجمع فالتوراة أنزلت على موسى من ولد إبراهيم والإنجيل على عيسى من ولده والفرقان على محمد من ولده ﷺ وعليهم أجمعين ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يعني اجتماع أهل الملل عليه قاله عكرمة، وروى سفيان عن حميد بن قيس قال: أمر سعيد بن جبير إنسانًا أن يسأل عكرمة عن قوله جل ثناؤه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ فقال عكرمة: أهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منا فقال سعيد بن جبير: صدق. وقال قتادة هو مثل قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: 122]، أي عاقبة وعملًا صالحًا وثناء حسنًا وذلك أن أهل كل دين يتولونه وقيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ أن أكثر الأنبياء من ولده ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ليس ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ داخلًا في الصلة وإنما هو تبيين وقد مضى في (البقرة) بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بإبراهيم في الصبر على الدين الحق.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان): قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ

﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه آتى إبراهيم أجره، أي: جزاء عمله في الدنيا، وإنه في الآخرة أيضًا من الصالحين.

وقال بعض أهل العلم: المراد بأجره في الدنيا: الثناء الحسن عليه في دار الدنيا من جميع أهل الملل على اختلافهم إلى كفار ومؤمنين، والثناء الحسن المذكور هو لسان الصدق، في قوله: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: 50]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، لا يخفى أن الصلاح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة، وسائر الطاعات، وأنه في الآخرة يظهر بالجزاء الحسن، وقد أثنى الله في هذه الآية الكريمة على نبيّه إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسلام، وقد أثنى على إبراهيم أيضًا في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿۞وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: 124]، وقوله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: 120-122].

قدوم إبراهيم غ إلى مصر مع زوجته سارة ژ

أقول -وبالله التوفيق-: ذكر بعض أهل العلم أن إبراهيم غ، وبعد أن ترك بلاد العراق ذهب إلى مصر مع زوجته سارة وتعرضت هنالك زوجته سارة لابتلاء سلمها الله منه وحفظها، وخرجت من عند الجبار وقد أعطاها الجبار ملك البلاد آنذاك هاجر كهدية لها وبعد ذلك أهدتها سارة لإبراهيم غ، فحملت منه بإسماعيل غ، وقد أيد البعض هذا بأن هاجر كانت مصرية فالعلم عند الله ٥.

وهذا هو الحديث الذي يوضح مقدم إبراهيم إلى أرض الجبار ويوضح الكذبات الثلاث التي صدرت من إبراهيم غ عمومًا.

بيان الكذبات الثلاث التي كذبها إبراهيم غ

قال الإمام البخاري $(1)**:** حدثنا سَعيدُ بْنُ تَلِيدٍ الرُّعَيْنِيُّ أَخْبَرَنا ابْنُ وَهْبٍ قالَ: أَخْبَرَني جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ أَيُوبَ عَنْ مُحمدٍ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ فَقالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ».**

قال الإمام مسلم $(2)**:** وحدثني أبو الطاهر: أخبرنا عبد الله بن وهب:

---

(1) البخاري (3357)، وقد رواه البخاري مطولًا موقوفًا على أبي هريرة (3358).

(2) مسلم (2371). هذا، وقد روى الحديث موقوفًا على أبي هريرة عند البخاري من طريق حماد بن زيد عن أيوب، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري معلقًا على ذلك: وقد أورده المصنف من وجهين عن أيوب وساقه على لفظ حماد بن زيد عن أيوب، ولم يقع التصريح برفعه في روايته، وقد رواه في النكاح عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد فصرح برفعه لكن لم يسق لفظه، ولم يقع رفعه هنا في رواية النسفي ولا كريمة، وهو المعتمد في رواية حماد بن زيد، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر غير مرفوع، والحديث في الأصل مرفوع كما في رواية جرير بن حازم وكما في رواية هشام بن حسان عن ابن سيرين عند النسائي والبزار وابن حبان وكذا تقدم في البيوع من رواية الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا، ولكن ابن سيرين كان غالبًا لا يصرح برفع كثير من حديثه.

هذا، وقد وردت زيادة في بعض الطرق على هذه الكذبات الثلاث، وهي قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، وقد حكم بعض أهل العلم بشذوذها قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (6/ 450): وقد أورد على هذا الحصر ما رواه مسلم من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة في حديث الشفاعة الطويل فقال في قصة إبراهيم: وذكر كذباته، ثم ساقه من طريق أخرى من هذا الوجه وقال في آخره: وزاد في قصة إبراهيم وذكر قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وقوله لآلهتهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ انتهى. قال القرطبي: ذكر الكوكب يقتضي أنها أربع، وقد جاء في رواية ابن سيرين بصيغة الحصر فيحتاج في ذكر الكوكب إلى تأويل. قلت: الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله في الكوكب بدل قوله في سارة، والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب، وكأنه لم يعدّ مع أنه أدخل من ذكر سارة لما نقل أنه قاله في حال الطفولية فلم يعدّها لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف وهذه طريقة ابن إسحاق، وقيل: إنما قال ذلك بعد البلوغ لكنه قاله على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ، وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه تنبيهًا على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية وهذا قول الأكثر أنه قاله توبيخًا لقومه أو تهكمًا بهم وهو المعتمد، ولهذا لم يعدّ ذلك في الكذبات وأما إطلاقه الكذب =

أخبرني

= على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبًا لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض، فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون أراد إني سقيم أي سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرًا، ويحتمل أنه أراد إني سقيم بما قدر عليّ من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبًا لا تصريحًا ولا تعريضا، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قال القرطبي: هذا قاله تمهيدًا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة وقطعا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوَّز فيه في الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنه مشترط بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب. وعن الكسائي أنه كن يقف عند قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ أي فعله من فعله كائنا من كان ثم يبتديء كبيرهم هذا وهذا خبر مستقل ثم يقول: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ إلى آخره، ولا يخفى تكلفه، وقوله: «**هَذِهِ أُخْتِي**» يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام كما سيأتي واضحًا، قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام يعني إطلاق الكذب على ذلك إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم، فإن الكذب وإن كان قبيحًا مخلًّا لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها.

قوله: «**ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ**» خصهما بذلك لأن قصة سارة وإن كانت أيضًا في ذات الله لكن تضمنت حظًّا لنفسه ونفعًا له بخلاف الثنتين الأخيرتين فإنهما في ذات الله محضًا، وقد وقع في رواية هشام بن حسان المذكورة «**إن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله**» وفي حديث ابن عباس عند أحمد «**وَاللَّهِ إِنْ جَادَلَ بِهِنَّ إِلاَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ**».

وقال الحافظ ابن حجر أيضًا: قوله: «**فَأَرْسل إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: من هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي. فَأَتَى سارةً فَقَالَ: يَا سارة، لَيْسَ على وَجه الأَرْض** إلخ» هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولا ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده، وفي رواية هشام بن حسان أنه قال لها: «**إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلاَمِ ، فَلَمَّا دخل أرضه رَآهَا بعض أهل الْجَبَّار أَتَاهُ فَقَالَ: لقد قدم أَرْضك امرأةٌ لاَ يَنْبَغِي لَهَا أَن تكون إِلَّا لَك، فَأَرْسل** =

جرير بن حازم، عن أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: « **لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ع قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا**

= **إِلَيْهَا»** الحديث فيمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أحس بأن الملك سيطلبها منه فأوصاها بما أوصاها، فلما وقع ما حسبه أعاد عليها الوصية. واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختًا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل، ويحتاج إلى تتمة وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخًا فإن الغيرة حينئذٍ تكون مِنْ قِبَل الأخ خاصة، لا مِنْ قِبَل الملك فلا يُبالي به. وقيل إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق، والتقرير الذي قررته جاء صريحًا عن وهب بن منبه فيما أخرجه ابن حميد في تفسيره من طريقه. وقيل: كان من دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من غيره فلذلك قال: هي أختي اعتمادًا على ما يعتقده الجبار فلا ينازعه فيها، وتعقب بأنه لو كان كذلك لقال: هي أختي وأنا زوجها فلم اقتصر على قوله: هي أختي؟ وأيضًا فالجواب إنما يفيد لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا أن يغتصبها نفسها. وذكر المنذري في «حاشية السنن» عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأى الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم: هي أختى، لأنه إن كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالمًا خلص من القتل، وليس هذا ببعيد مما قررته أولًا، وهذا أخذ من كلام ابن الجوزي في «مشكل الصحيحين» فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به.

قوله: «**لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ وَغَيْرِي غَيْرُكِ**» يشكل عليه كون لوط كان معه كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾، ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض، الأرض التي وقع له فيها ما وقع ولم يكن معه لوط إذ ذاك.

فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ غ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ(1). قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ غ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ(2)؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(3).

وأخرج الإمام مسلم(4) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوم القِيَامَةِ... » فذكر الحديث، وفي بعض طرقه... وزاد في قصة إبراهيم غ فقال: وذكر قوله في الكوكب: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾، وقوله لآلهتهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾...

NNO PMM

(1) أي: أعطاها هاجر هدية منه لها لتخدمها. وكأمة من الإماء تكون في حوزتها.
(2) مهيم: أي ما الخبر.
(3) قوله: «فتلك أمكم يا بني ماء السماء» قال الحافظ ابن حجر: كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعي دوابهم. قلت (مصطفى): كأنه يعني أنه لا ماء في بلادهم إلا ماء المطر، والله أعلم.
(4) مسلم في طرق حديث (194).

3+

قصة ذهاب إبراهيم غ بهاجر وابنها إسماعيل ث

إلى مكة وحفر زمزم ورفع القواعد من البيت

قال الإمام البخاري $ (1): حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر (2) عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة – يزيد أحدهما على الآخر – عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: **«أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ** (3)**، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ**

---

(1) البخاري (3364).

(2) تكلم البعض في رواية معمر عن أيوب لكنه متابعٌ ها هنا وقد استثنى البعض ما أخرجه البخاري من رواية معمر عن أيوب.

(3) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قوله: «**أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ**» بكسر الميم وسكون النون وفتح الطاء هو ما يشد به الوسط، ووقع في رواية ابن جريج النطق بضم النون والطاء وهو جمع منطق، وكان السبب في ذلك أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقا فشدت بها وسطها وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة، ويقال: إن إبراهيم شفع فيها وقال لسارة: حللي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها وكانت أول من فعل ذلك. ووقع في رواية ابن علية عند الإسماعيلي«**أَوَّلُ مَا أحدث الْعَرَبُ جَرَّ الذُّيُولِ عَنْ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ**» وذكر الحديث. ويقال: أن سارة اشتدت بها الغيرة فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك. وروى ابن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وغيره «**أن الله لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير وأمه، قال وحملوا فيما حدثت على البراق...**».

قلت (مصطفى): وليس هناك دليل على ما ذكره الحافظ رحمه الله في هذه الآثار.

هذا وفي الرواية التي ستأتي «...**فلما كان بين إبراهيم وأهله ما كان...**» فهذا يُفيد أنه قد حدثت بعض الأمور بين إبراهيم وسارة عليهما السلام. ولابد هنا من الإشارة إلى فضل سارة عليها السلام حتى لا يذهب شخص بظنونه السيئة إلى الطعن فيها فمن فضائلها ژ.. أن رب
=

حَتَّى وَضعَهُمَا عِنْدَ البَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ(1) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضعَهُمَا هُنَالِك، وَوَضعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37]. وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ(2) حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

= العزة جل وعلا قال في شأنها وزوجها.. ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾. وأنها داخلة في آل إبراهيم الذين نصلي عليهم في كل صلاة.

وأن الله ٥ أكرمها بالولد وهي عجوز وأن الله ٥ سلمها من الجبار الطاغية الذي أراد أن ينالها بسوء. وأخدمها هذا الجبار هاجر.

(1) الدوحة: هي الشجرة الكبيرة. قاله الحافظ ابن حجر $.

(2) المجهود الذي أصابه الجهد.

قال ابن عباس قال النبي ﷺ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا». فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهٍ (1)-تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ، -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ-، حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ-: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا»(2). قَالَ: «فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ(3)، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ(4)، -أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ-، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا (5)، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ(6)، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا، -قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ-، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي

---

(1) قال الحافظ ابن حجر $ كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي، وفي رواية إبراهيم بن نافع وابن جريج فقالت: أغثني إن كان عندك خيرٌ.

(2) (عينًا معينًا) أي ظاهرًا جاريًا.

(3) الضيعة أي الهلاك.

(4) قال الحافظ ابن حجر: جُرهم هو ابن قحطان.

(5) عائفًا: أي يحوم حول الماء ويتردد ولا يمضي عنه.

(6) المراد أرسلوا شخصًا أو شخصين يجريان للبحث عن سبب طيران الطائر فالطائر لا يطير إلا حول الماء.

المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَلْفَى(1)، ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الأُنْسَ» فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ(2)، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ(3)، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا(4)، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ(5) فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ(6). فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟

---

(1) ألفى: أي وجد وصادف.

(2) أعجبوا بنفاسته وكثرت رغبتهم فيه.

(3) يطالع تركته أي: يتفقدهم.

(4) أي يطلب لنا الرزق ويعمل ابتغاء الرزق.

(5) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (6/ 404) في حديث أبي جهم فقال لها: هل من منزل؟ قالت: لا ها الله إذن قال: فكيف عيشكم؟ قال: فذكرت جهدًا فقالت: أما الطعام فلا طعام، وأما الشاء فلا تحلب، إلى المصر – أي الشخب – وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ.

(6) كناية عن المرأة قاله الحافظ، وقال: سماها بذلك لما فيها من الصفات لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء.

قَالَتِ اللَّحْمُ، قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ المَاءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ».قَالَ: «فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ». قَالَ: «فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ(1)، ثُمَّ قَالَ يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ(2)فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]، قَالَ: فَجَعَلاَ يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127]».

وقال البخاري أيضًا(3): حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر عبد

---

(1) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك، قاله الحافظ.

(2) يعني والله أعلم هذا الحجر الذي كان إبراهيم ﷺ يقف عليه ويبني أعلى الكعبة، وهو مقام إبراهيم ﷺ، أما الحجر الأسود فله شأن آخر (انظره فتح الباري 6/ 406).

(3) حديث (3365).

الملك ابن عمرو قال: حدثنا إبراهيم بن نافع عن كثير بن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﭭ قال: «لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ، خَرَجَ بِإِسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللهِ قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا فَنَظَرَتْ، وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أَحَدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَتِ المَرْوَةَ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، -تَعْنِي الصَّبِيَّ-، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ، لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإِذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أَغِثْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإِذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ: «لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا». قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا».

قَالَ: «فَمَرَّ نَاسٌ مِنْ جُرْهُمَ بِبَطْنِ الوَادِي، فَإِذَا هُمْ بِطَيْرٍ، كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا ذَاكَ، وَقَالُوا: مَا يَكُونُ الطَّيْرُ إِلَّا عَلَى مَاءٍ، فَبَعَثُوا رَسُولَهُمْ فَنَظَرَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَأَتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ، فَأَتَوْا إِلَيْهَا فَقَالُوا: يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَكُونَ مَعَكِ، أَوْ نَسْكُنَ مَعَكِ، فَبَلَغَ ابْنُهَا فَنَكَحَ فِيهِمُ امْرَأَةً، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْنَ

إسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، قَالَ: قُولِي لَهُ إِذَا جَاءَ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: أَنْتِ ذَاكِ، فَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، قَالَ: فَجَاءَ، فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتْ: أَلاَ تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ، فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا الماءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: «بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ» قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ بَدَا لِإِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِنِّي مُطَّلِعٌ تَرِكَتِي، فَجَاءَ فَوَافَقَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ، فَقَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا، قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ، قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ، أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَ فَقَامَا فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ وَيَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: 127]».

(152) أحمر
أسود

%+

قصة إبراهيم غ مع الملائكة

ما ورد في ذلك من سورة هود غ:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا
لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا
بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا
إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿رُسُلُنَآ﴾	ملائكتنا.
﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾	البشري بإسحاق غ (أي أنه سيرزق بإسحاق غ).
﴿فَمَا لَبِثَ﴾	فما أبطأ – فما تأخر.
﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾	بعجل مشويّ – وقيل: ناضج على الأحجار الساخنة دون أن تمسه النار – وقيل: نضيج.
﴿نَكِرَهُمْ﴾	استنكر أمرهم واستغربه.
﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	خاف منهم ولكنه أضمر الخوف في نفسه.
﴿قَآئِمَةٌ﴾	قائمة بخدمة الأضياف، وقيل: قائمة من وراء

	الستر تستمع.
﴿فَضَحِكَتۡ﴾	ضحكت تعجبًا قيل: تتعجب من أن قوم لوط سيهلكون وهم في غفلة وقيل: ضحكت أي: حاضت، وقيل: ضحكت لكونها وزوجها يخدمان والملائكة لا تأكل.
﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾	كلمة أصلها الدعاء على النفس، لكن ها هنا هي كلمة تجري على الألسن دون إرادة معناها، وكأنها تريد التعجب.
﴿عَجُوزٞ﴾	كبيرة السن.
﴿بَعۡلِي﴾	زوجي.
﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾	البركة النمو والازدياد، والمراد كثرة الخير فيهم، فالأنبياء من ذرية إبراهيم غ.
﴿حَمِيدٞ﴾	محمود في أقواله وأفعاله وفي تفضله عليكم وإنعامه.
﴿مَّجِيدٞ﴾	ذو مجد وعزة وثناء كريم، يمجده خلقه بثنائهم عليه. وهو ممجد في نفسه كذلك فهو أهل الثناء والمجد.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أقول وبالله التوفيق:

هذا والله تعالى أعلم شيءٌ من ذكر نبي الله إبراهيم غ وزوجته سارة ژ وما كان من أمرهما مع ملائكة الله الكرام الذين كانوا في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط بما فعله هؤلاء القوم من الرذيلة، فمرت الملائكة

الكرام و -بإبراهيم وزوجته- ث، وبشروه أثناء هذا المرور ببشارة عظيمة وهي أنه سيرزق من سارة ڑ، بغلامٍ وكانا قد تقدما في السِّن عليهما سلام من الله- ولم يرزق منها بذريةٍ أكثر حياتهما، كما قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: 39] فالبشارة هنا البشارة بإسحاق غ فأمه هي سارة ڑ.

وقيل: إن البشارة هي البشارة بإهلاك قوم لوطٍ، وإنجاء لوطٍ غ والمؤمنين به.

فالحاصل: أنهم (أي: الملائكة) أتوا إبراهيم غ فقالوا: سلامًا، أي سلموا عليه سلامًا وكذا قالوا قولًا طيبًا، فردَّ عليه الخليل غ بما هو أكمل فقال: (سلامٌ).

وما أبطأ إبراهيم غ، وما تأخر عن ضيافتهم، بل أسرع وجاء بأطيب ما عنده من الطعام وطهاه بأحسن طريقة من طرق الطهي، وجاء مُسرعًا بعجل نضيج -مشويٍّ كذلك على الحجارة الساخنة، قيل: دون أن تمسه النار، وكان عجلًا سمينًا كما في الآية الأخرى فجمع بين سرعة إكرام الضيف وجودة الطعام المقدم وحسن الطهي، وكذا حسن التلطف في الخطاب إذ قال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ [الصافات: 91].

ولكن تسرَّب التعجب إلى إبراهيم غ، وكذا فقد اعتراه الخوف منهم لعدم أكلهم عنده فكأن عدم أكل الأضياف في زمانهم كان مُقلقًا، وهكذا هو عند كثيرين من العرب إذا لم يأكل ضيفهم ظنوا أنه يريد بهم شرًّا، فإنه يبعد عندهم أن يأكل الشخص من طعامهم ثم يؤذيهم أو يغدر بهم، فالحاصل أن إبراهيم غ لما رآهم لا يأكلون خاف منهم ولكنه أضمر هذا الخوف في نفسه فطمأنوه، وهكذا ينبغي أن يطمئن المؤمن أخاه إذا رآه

خائفًا(1)، إنا لا نريدك ولا نريد أهل بيتك بسوءٍ ولا مكروهٍ، ولكننا نريد قوم لوط المكذبين له المعاندين مرتكبي الرذائل والفواحش، فإننا ذاهبون إليهم لتدميرهم وإهلاكهم.

قالوا له ذلك، وامرأته سارة ژ قائمة من وراء الستر، وقائمة على خدمتهم فضحكت، قيل: ضحكت تعجبًا مما يحدث، فقوم لوطٍ في غفلة والعذاب مقبلٌ عليهم، وقيل: ضحكت بمعنى حاضت، وقيل: ضحكت تعجبًا مما يحدث فهي وزوجها تكلفا، وأتيا بأطيب الطعام، واجتهدا في إكرام الأضياف ومع ذلك فالأضياف لا يأكلون، فكأن الضحك هنا للتعجب، فبشروها حينئذٍ بأنها سترزق بإسحاق، وإسحاق سيرزق بيعقوب، وكلاهما نبيٌّ كريم كما قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: 112] فقالت: وازداد تعجبها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ وهي كلمة أصل معناها الدعاء على النفس بالهلاك، كأن معناها يا ويلي تعال وأنزل وحلَّ فهذا مقامك وأوانك ولكنها لم تُرد هذا المعنى، إنما هي كلمة تجري على الألسن لا يُراد بها معناها، وأقرب ما تكون إلى التعجب والاستغراب، ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ كبيرة السن، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى﴾ زوجي ﴿شَيْخًا ۖ﴾ طاعنًا في السِّن هو الآخر عن هذا لشيء يثير التعجب فضلًا عن كونه عجيب في نفسه فقالوا لها: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ يعنون أن الله ۵ قادر على كل شيء يفعل ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

ثم دَعوا لإبراهيم وزوجته قائلين رحمة الله وبركاته، أي: ونعمه المتكاثرة وفضائله المتعددة المتنوعة عليكم يا أهل هذا البيت.

(1) قال الخصوم الذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام لما رأوه خائفًا: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ وقال ﷺ لأبي بكر ڤ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾، هذا، وقد أورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: «وكانت العرب إذا نزل بهم ضيفٌ فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يُحدِّث نفسه بشرٍّ».

وقيل: إنه إخبار، أي: أن الله ٥ منحكم يا أهل هذا البيت وأسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة، فالأنبياء أكثرهم من ذريتكما ورزق الله يأتيكما ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الله ٥، ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على نعمه، وآلائه وفضائله وإحسانه وامتنانه ﴿مَّجِيدٌ﴾ في نفسه وممجدٌ من خلقه يثني عليه خلقه وهو للثناء أهل.

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما سبق:

قال الحافظ ابن كثير $: يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾ وهم الملائكة، ﴿إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾قيل: تبشره بإسحاق، وقيل: بهلاك قوم لوط. ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود: 74]، ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ أي: عليكم.

قال علماء البيان: هذا أحسن مما حَيّوه به؛ لأن الرفع يدل على الثبوت والدوام(1)، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ أي: ذهب سريعًا، فأتاهم بالضيافة، وهو عجل: فتى البقر، حَنِيذ: وهو مَشْوي شيًّا ناضجًا على الرّضْف، وهي الحجارة المُحْماة.

ثم قال: وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ﴾ تنكرهم، ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام، ولا يشتهونه، ولا يأكلونه؛ فلهذا رأى حالهم معرضين عما جاءهم به، فارغين عنه بالكلية فعند ذلك نكرهم ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾.

---

(1) قال القرطبي $: «قال سلام» في رفعه وجهان:
أحدهما: على إضمار مبتدأ أي هو سلام، وأمري سلام. والآخر بمعنى سلام عليكم إذا جعل بمعنى التحية؛ فأضمر الخبر. وجاز سلام على التنكير لكثرة استعماله، فحذف الألف واللام كما حذفت من لاهم في قولك: اللهم. وقرئ: «سلم» قال الفراء: السلم والسلام بمعنى؛ مثل الحل والحلال.

ثم قال في: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ أي: بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل؛ فإن يعقوب ولد إسحاق، كما قال في آية البقرة: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

ومن ها هنا استدل من استدل بهذه الآية، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده. ووعد الله حق لا خُلْفَ فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه، ولله الحمد.

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ حكى قولها في هذه الآية، كما حكى فعلها في الآية الأخرى، فإنها: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ وفي الذاريات: ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ [الذاريات: 29]، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب. ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: قالت الملائكة لها، لا تعجبي من أمر الله، فإنه إذا أراد شيئًا أن يقول له: «كن» فيكون، فلا تعجبي من هذا، وإن كنت عجوزًا كبيرة عقيمًا، وبعلك وهو زوجها الخليل غ، وإن كان شيخًا كبيرًا، فإن الله على ما يشاء قدير.

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ أي: هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله محمود، ممجد في صفاته وذاته.

قال السعدي $: أي: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾ من الملائكة الكرام، رسولنا ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الخليل ﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك

قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۚ﴾ أي: سلموا عليه، ورد ف.

ففي هذا مشروعية السلام، وأنه لم يزل من ملة إبراهيم غ، وأن السلام قبل الكلام، وأنه ينبغي أن يكون الرد، أبلغ من الابتداء، لأن سلامهم بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية، الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية.

﴿فَمَا لَبِثَ﴾ إبراهيم لما دخلوا عليه ﴿أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ أي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلًا مشويًّا على الرضف سمينًا، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾ أي: إلى تلك الضيافة ﴿نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾ وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم، فـ ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ أي: إنا رسل الله، أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ وامرأة إبراهيم ﴿قَآئِمَةٞ﴾ تخدم أضيافه ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبًا.

﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ فتعجبت من ذلك. و﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ فهذان مانعان من وجود الولد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصًا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك.

﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ أي: لا تزال رحمته وإحسانه وبركاته، وهي: الزيادة من خيره وإحسانه، وحلول الخير الإلهي على العبد ﴿عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ

ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ أي: حميد الصفات، لأن صفاته صفات كمال، حميد الأفعال لأن أفعاله إحسان، وجود، وبر، وحكمة، وعدل، وقسط.

مجيد، والمجد: هو عظمة الصفات وسعتها، فله صفات الكمال، وله من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعمها.

مجادلة إبراهيم غ للملائكة
في شأن قوم لوط
وتذكيرهم له بأن يعرض عن هذا الجدل في شأنهم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿ٱلرَّوْعُ﴾	الخوف – الفزع.
﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾	يراجع ملائكتنا في شأن قوم لوط يطلب تأخيرهم، وقيل: يُذكرهم بأن فيها لوط غ وهو مؤمن.
﴿لَحَلِيمٌ﴾	بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة.
﴿أَوَّٰهٌ﴾	متضرع خاشع متذلل منكسرٌ لله ٥ .
﴿مُّنِيبٌ﴾	رجَّاع – مكثر من التوبة والرجوع والاستغفار.
﴿غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾	غير مدفوع، بل لابد من وقوعه.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أقول -والعلم عند الله ٥-: فلما ذهب عن إبراهيم غ الخوف والفزع اللذان قد اعترياه لما دخلت عليه الملائكة وامتنعت من الأكل، لما ذهب عنه هذا الخوف واطمأن إلى أن العذاب ليس المقصود به إبراهيم غ وجاءته البشرى بإسحاق غ، إذا به يجادل الملائكة في شأن قوم لوط، أي:

كيف تدمرون مدائنهم وفيهم من هو مؤمن كلوط غ، وذلك كما في الآية الأخرى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ [العنكبوت: 32].

ثم إن الله ٥ يثني على نبيه إبراهيم غ بين يدي توجيهه وإخباره، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾. أي: بطيء الغضب لا يُعاجل بالعقوبة، ﴿أَوَّٰهٞ﴾ خاشع لربه متذلل له متضرع خائف وجل ﴿مُّنِيبٞ﴾ رجَّاع إلى الله مكثرٌ من الاستغفار.

ثم يوجه إبراهيم غ فتقول له الملائكة عليهم السلام: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ أي: عن هذا الجدل ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ قضاء الله ٥ قد حان وقته، وقد أمر بإهلاك قوم لوطٍ في وقت لا يتأخر ولا يتغيَّر ولا يتبدل، وإن قومه آتيهم عذاب غير مدفوع، لن يصرفه عنهم صارف، ولن يدفعه عنهم دافع ولن يُرد هذا العذاب عنهم بل هو واقع بهم لا محالة.

قال السعدي $: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ الذي أصابه من خيفة أضيافه ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد، التفت حينئذ، إلى مجادلة الرسل في إهلاك قوم لوط، وقال لهم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين.

﴿أَوَّٰهٞ﴾ أي: متضرع إلى الله في جميع الأوقات، ﴿مُّنِيبٞ﴾ أي: رجَّاع إلى الله بمعرفته ومحبته، والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، فلذلك كان يجادل عمن حتَّم الله بهلاكهم.

فقيل له: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ فلا فائدة في جدالك.

قصة إبراهيم غ مع الملائكة من سورة الحِجر

قال الله ٥:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ
وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي
عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن
مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾	أخبرهم – بلّغهم.
﴿وَجِلُونَ﴾	خائفون.
﴿لَا تَوْجَلْ﴾	لا تخف.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم.
﴿مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾	تقدمت في العُمر، كبرت سني.
﴿ٱلْقَٰنِطِينَ﴾	اليائسين من رحمة الله.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أقول، وبالله التوفيق عن المعنى الإجمالي، يقول تعالى ذِكره لرسوله محمد ﷺ: وأخبر عبادي يا رسول الله عن ضيوف نبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، أخبرهم بضيوف إبراهيم لما دخلوا عليه فسلموا عليه سلامًا، وحيّوه بتحية الإسلام السلام، فقرب إليهم طعامًا فرآهم لا يأكلون فخافهم كما في آيات أخر فقال لهم حينئذٍ: إنا منكم وجلون، أي: خائفون، قالوا: مطمئنين له لا توجل، لا تخف إنا جئناك ببشارة من عند

الله ٥: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ سيكون عالمًا مُعلِّمًا، وهو إسحاق غ، وذلك لقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: 71].

فعندها، أي: عند هذه البشارة، قال الخليل غ: أبشرتموني على أن مسني الكبر، أبشرتموني، وقد تقدم سني وبلغت من الكبر مبلغًا؟!!

يتعجب غ من هذه البشارة، وهو على هذه الحال من الكبر، وامرأته كانت عاقرًا كذلك فقد مكث إبراهيم زمانًا طويلًا من عمره لم يرزق بالذرية، كما تقدم في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39].

ففي هذا تصبير لمن تأخرت عنه الذرية، فالحاصل أن إبراهيم غ تعجب هو وزوجته من سارة ژ من هذه البشارة وأبدى للملائكة الكرام الذين هم أضيافه تعجبه بقوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قالوا مجيبين: ﴿بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالبشارة الحق التي هي من عند الله ٥: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾ الآيسين من رحمة الله، ومن رزق الله ٥.

فعندها قال الخليل غ: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾، أي: ومن ييأس من رحمة الله ويستبعدها إلا من بعد عن الحق والصواب والهدى والرشاد، الذي أخطأ الطريق طريق الإيمان وحاد عنه.

بعض أقوال أهل العلم في معنى الآيات:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم: يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ يقول: فقال الضيف لإبراهيم: سلامًا ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ﴾ يقول: قال إبراهيم: إنا منكم خائفون، وأما قوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ وهو يعني به الضيف، فجمع الخبر

عنهم، وهم في لفظ واحد، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل، فلذلك جمع خبره، وهو لفظ واحد. وقوله: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ يقول: قال الضيف لإبراهيم: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة الذين بشَّروه بغلام عليم ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ يقول: فبأي شيء تبشرون.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحقّ يقين، وعلم منَّا بأن الله قد وهب لك غلامًا عليمًا، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فييأسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البُشرى.

وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى: وخبرهم يا محمد عن قصة ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ والضيف: يطلق على الواحد والجمع، كالزور والسُّفْر - وكيف ﴿دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون.

وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم ضيافة، وهو العجل السمين الحنيذ.

﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28] وهو

إسحاق غ كما تقدم في سورة هود.

ثم قال متعجبًا من كبره وكبر زوجته ومتحققًا للوعد: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقًا وبشارة بعد بشارة، ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ وقرأ بعضهم: **(القنطين)** فأجابهم بأنه ليس يقنط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ضيف إبراهيم: الملائكة الذين بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم ذكرهم وكان إبراهيم غ يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد وسمي الضيف ضيفًا لإضافته إليك ونزوله عليك وقد مضى من حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ جمع الخبر لأن الضيف اسم يصلح للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر ضافه وأضافه أماله ومنه الحديث **«وَحِينَ تَضَيَّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ»** وضيفوفة السهم والإضافة النحوية ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: سلموا سلامًا ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ أي: فزعون خائفون وإنما قال هذا بعد أن قرب العجل ورآهم لا يأكلون على ما تقدم في هود وقيل: أنكر السلام ولم يكن في بلادهم رسم السلام ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾ أي قالت الملائكة لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي: حليم قاله مقاتل وقال الجمهور: عالم وهو إسحاق ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أن مصدرية أي: على مس الكبر إياي وزوجتي وقد تقدم في هود وإبراهيم حيث يقول: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب وقيل: استفهام حقيقي.

ثم قال: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بما لا خلف فيه وأن الولد لابد منه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أي: من الآيسين من الولد وكان قد

أيس من الولد لفرط الكبر.

وقال في قوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾:

أي: المكذبون الذاهبون عن طريق الصواب يعني أنه استبعد الولد لكبر سنه لا أنه قنط من رحمة الله تعالى.

وقال الشنقيطي $: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أولئك الضيف الكرام الذين هم ملائكة بشروا إبراهيم بغلام موصوف بالعلم ونظير ذلك قوله تعالى أيضًا في الذاريات: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ وهذا الغلام بين تعالى أنه هو إسحاق كما يوضح ذلك قوله في الذاريات .. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الذاريات: 28- 30]؛ لأن كونها أقبلت في صرة أي: صيحة وضجة وصكت وجهها أي: لطمته قائلة إنها عجوز عقيم يدل على أن الولد المذكور هي أمه كما لا يخفى ويزيده إيضاحًا تصريحه تعالى ببشارتها هي بأنها تلده مصرحًا باسمه واسم ولده يعقوب وذلك في قوله تعالى في هود في القصة بعينها: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ [هود: 71- 72]، وأما الغلام الذي بشر به إبراهيم الموصوف بالحلم المذكور في الصافات في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: 99- 102]، فهو إسماعيل وسترى إن شاء الله تعالى في سورة الصافات دلالة الآيات القرآنية على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق على وجه قاطع للنزاع.

الخليل إبراهيم غ يسأل الملائكة عن وجهتهم

قال الله ٥ : ﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ
مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ
قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾.

معنى مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾	فما شأنكم.
﴿قَدَّرۡنَآ﴾	حكمنا وكتبنا (عليها).
﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب.

المعنى إجمالاً:

والله أعلم: أن إبراهيم غ سأل الملائكة و سؤالًا بعد أن اطمأن إليهم واستأنس معهم وبهم، وبعد أن بشروه بالبشارة التي بشروه بها، قال: فما خطبكم، أي: فما شأنكم وما وجهتكم أيها المرسلون، يا ملائكة الله الكرام يا من أرسلكم الله؟!!

فأجابوه بقوله: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ﴾ أرسلنا الله ٥ لتدمير بلادهم ولإهلاكهم وتعذيبهم واختبارهم وابتلائهم واستدراجهم، أرسلنا إلى قوم مجرمين اجترموا الكفر والكبائر واكتسبوها وتمادوا فيها ولم ينتفعوا بنصح ولا بتذكير، أرسلنا لتدمير وإهلاك قوم لوط الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا واجترموا الجرائم العظيمة بفعلة شنيعة لم تكن موجودة من قبل في أسلافهم، ألا وهي إتيان الذكران من العالمين.

أرسلنا إليهم لتدمير بلادهم ولتعذيبهم، فعندما قالوا ذلك لخليل الرحمن

إبراهيم غ ذكرهم بمن فيها من أهل الفضل والصلاح، كما في آية أُخرى إذ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: 32] فأجابوه بقولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾، وهنا قالوا لإبراهيم غ: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ﴾، قضينا عليها بالهلاك والبقاء في العذاب مع المعذبين، مع الهلكى الذي سيهلكون، وذلك بأمر الله لنا بذلك.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم: ما أمرُكم أيُّها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، إلا آل لوط: يقول: إلا أتباع لوط على ما هو عليه من الدِّين، فإنا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذّب به قوم لوط، سوى امرأة لوط قدّرنا إنها من الغابرين. يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي مهلكة بعد.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم غ، لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى: إنه شرع يسألهم عما جاؤوا له، فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط. وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من المهلكين؛ ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين المهلكين.

قصة إبراهيم ﵇ مع الملائكة من سورة العنكبوت

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أقول -وبالله التوفيق-...

المعنى والله أعلم: ولما جاءت ملائكتنا إبراهيم ﵇ في صورة البشر تبشره بأنه سيرزق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب أي أن إسحاق سيرزق بيعقوب هو الآخر ﵇ قالوا له: إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﵇ لإهلاكهم ولتدمير قريتهم عليهم، فإن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم باخسين لها حقها لشركهم وفعلهم القبائح.

وكانوا ظالمين أيضًا لغيرهم من العباد فقد كانوا يقطعون الطرق على العباد ويفعلون معهم الفواحش والعياذ بالله فلما أخبرت الملائكة عليهم السلام إبراهيم ﵇ بذلك قال لهم: إن فيها لوطًا ﵇، وهو مؤمن فأجابته الملائكة بقولهم.. نحن أعلم منك بمن في هذه القرية من المؤمنين وغير المؤمنين، وسننجي لوطًا ﵇ وننجي أهله معه إلا امرأته فلم تكن بمؤمنة، وقد قضى الله أن تكون من الباقين في العذاب، من الهالكين.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري ﵀: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية، قرية سَدُوم، وهي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ يقول: إن أهلها كانوا ظالمي

أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله ﷺ.

وقال أيضًا: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للرسل من الملائكة إذ قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ فلم يستثنوا منهم أحدًا، إذ وصفوهم بالظلم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعة له، فقالت الرسل له: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطًا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتطاولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها.

وقال الحافظ ابن كثير $: لما استنصر لوط غ الله عليهم، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم غ، في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همَّة لهم إلى الطعام نكِرَهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة – وكانت حاضرة – فتعجبت من ذلك، كما تقدم بيانه في سورتي «هود» و«الحجر». فلما جاءت إبراهيم البشرى، وأخبروه بأنهم أُرسلوا لهلاك قوم لوط، أخذ يدافع لعلهم يُنظَرون، لعل الله أن يهديهم، ولما قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم. ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان.

قصة إبراهيم غ مع الملائكة من سورة الذاريات

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤
إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ
بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ
قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ
وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ
ٱلۡعَلِيمُ ٣٠ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ
مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾	ألم يأتك -قد أتاك.
﴿حَدِيثُ﴾	قصة -خبر.
﴿ضَيۡفِ﴾	ضيوفٌ -أَضْيافٌ.
﴿ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾	الذين أكرموا (أكرمهم إبراهيم غ وأكرمته زوجته) -والمكرمين عند الله -بدليل قوله تعالى: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26].
﴿سَلَٰمٞ﴾	سلام عليكم.
﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾	قوم غير معروفين لدينا -قوم غرباء لا نعرفهم.
﴿فَرَاغَ﴾	عدل إلى أهله -رجع إلى أهله (في خفاء وسرعة (1) قال بعض العلماء: ولا يكون الرواغ إلا أن تخفى

(1) **قال القرطبي $:** ويُقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على =

	ذهابك ومجيئك.
﴿بِعِجۡلٍ﴾	عجلٌ من البقر[1].
﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةً﴾	أحس في نفسه خوفًا منهم[2] -أضمر خوفًا في نفسه.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم (إذا كبر) ذي علم كثير[3].
﴿فِي صَرَّةٍ﴾	في صيحةٍ -رنةٍ[4].
﴿فَصَكَّتۡ﴾	ضربت جبهتها بيدها تعجبًا -لطمت.
﴿عَقِيمٌ﴾	لا تلد -ليس لها ولد.
﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ﴾	لننزل عليهم -لنرجمهم.
﴿مُّسَوَّمَةً﴾	مُعلّمة -مختومة، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله -الكافرين -وقيل: ﴿لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور

= ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(1) أورد الطبري (32193) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر.

(2) **قال بعض العلماء:** ومن أخلاق الناس أنهم إذا أكلوا عند قوم أمنوه، ولم يخشوه.

(3) روى ذلك الطبري (32198) بإسنادٍ حسن عن قتادة. وقد قيل إن هذه الصرخة هي قولها: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾، والله أعلم.

(4) ومنه صرير الباب أي صوته.

	بإتيانهم الذكور.

المعنى الإجمالي للقصة المباركة:

يُخبر الله ۵ نبيه محمدًا ﷺ بما كان من أمر نبيه إبراهيم غ مع أضيافه من الملائكة تصبيرًا وتثبيتًا للنبي ﷺ وبيانًا لكون العسر تبعه يسرٌ إن شاء الله، فيقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ أي ضيوف إبراهيم عليه وعليهم السلام، وهم الملائكة المكرمون عند الله ۵، والذين قد أكرمهم إبراهيم غ لما نزلوا في ضيافته، فقد جاءوا إبراهيم غ في صور بشرٍ، قيل: في صورة شباب في غاية من الحسن والجمال، ولذا فقد طمع فيهم قوم لوط لما أتوه كما سيأتي بيانه في قصة لوط غ إن شاء الله.

فهؤلاء الأضياف من الملائكة أتوا إبراهيم غ فدخلوا عليه فسلموا عليه قائلين ﴿سَلَٰمًا﴾ فردَّ عليهم خليل الرحمن غ بما هو أبلغ في الرد قائلًا ﴿سَلَٰمٌ﴾(1).

وقال الخليل مع ردِ التحية ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم فأنتم قوم منكرون لدينا لا نعرفكم.

هذا، ولم ترد للملائكة هؤلاء أسماءٌ في الكتاب العزيز ولا في السنة المباركة، والحاصل أن إبراهيم غ رد عليهم السلام بطريقة أكمل وأفضل مما ابتدؤه به وأخبرهم أنه لا يعرفهم، رجاء أن يعرِّفوه بأنفسهم.

ثمَّ إن إبراهيم غ ذهب في خفةٍ وخفاء وسرعة إلى أهله كي يكرم الأضياف على وجه السرعة، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي فذهب في سرعة وخفةٍ وخفاء إلى زوجته ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ عجلٍ من البقر سمين عظيم الشأن، أتى به وقد ذبحه وطبخه وطهاه بأجود أنواع الطهي ففي

---

(1) **قال الحافظ ابن كثير $:** فردُّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ فالخليل اختار الأفضل.

الآيـة الأخـرى ﴿بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ﴾ فقولـه: ﴿سَمِينٍ﴾ وصـف للعجـل، وقولـه: ﴿حَنِيذٍ﴾ وصف لطريقة الطهي أي مشوى على الحجارة وتلك أجود صورة للطهي، وقد قدمنا معناها من قبل ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي قرَّب الخليل إبراهيم غ العجل السمين إليهم مشويًّا ﴿قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي قائلًا لهـم مرحبًا بهـم ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ألا تتفضلون علينا بالأكل من طعامنا؟ وفارق بين أن تقول لشخص تعال أُطعمك، وبين أن تقول له: هل تتفضل عليَّ بتشريفي وبالأكل من طعامي؟!!

ولكن الخليل غ وبعد أن أتى بالعجل السمين وطهاه بأحسن صورة من صور الطهي إذا بالقوم لا يأكلون لا تمتد أيديهم إلى الطعام مع كونه تكلَّف لهم واجتهد في إكرامهم فخاف إبراهيم غ منهم، قال تعالى: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ﴾ دخل الخوف في نفسه منهم لكونهم لا يأكلون ففي الآية الأخرى من سورة هود قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ﴾.

فمن المعهود عند العرب كما قال بعض العلماء – أن الرجل إذا دخل عند قومٍ فأكل عندهم اطمأنوا إليه واستأنسوا به أما إذا لم يأكل فكأنه يُضمر لهم شرًّا ويبيت بهم غدرًا ولكن الملائكة لم تكن تُضمر شرًّا لإبراهيم غ ولكن لكونهم ملائكة فإنهم لا يأكلون!.

فلما رأته الملائكة عليهم السلام خائفًا طمأنوه بقولهم ﴿لَا تَخَفۡۖ﴾ بل اطمئن، وأخبروه بأنهم رسلٌ من عند الله ۵ أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوطٍ غ، لتدمير هؤلاء القوم وإبادتهم لما كانوا يصنعونه من الموبقات والجرائم.

ولكنهم وهم في طريقهم إلى مدائن قوم لوط مرُّوا بإبراهيم غ يسلمون عليه ويخبرونه بوجهتهم، وبما سيكون عن قريب، وبشّروه أيضًا وبشروا

زوجته سارة ژ بغلام سيكون له شأن غلامٍ سيكون عالمًا، بل سيكون نبيًّا كريمًا، قال تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ژ لرؤية هؤلاء الأضياف من الملائكة المقربين فأكدوا لها البشارة، بل وزادوها كما في الآية الأخرى ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أي أنك سترزقين بإسحاق، وإسحاق سيرزق بيعقوب(1).

لقد أقبلت امرأة إبراهيم غ حين أقبلت ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ أي في صيحة ورنَّةٍ، تعجبًا من الملائكة ومما جاءت به من البشارات ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ضربت وجهها بيدها تعجبًا لا تسخطًا ولا اعتراضًا على القدر، إنما قد تفعل المرأة ذلك حياءً وتعجبًا واستبشارًا، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي أنا عجوز ولا ألد فكيف يأتيني الولد على هذه الحال، كما في الآية الأخرى ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

فقالت الملائكة -عليهم السلام لها- ها هنا في سورة الذاريات: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي هكذا قال الله أنك سترزقين بالولد، هكذا قضى الله ۵ وقدَّر، وإذ قضى الله أمرًا فلابد وأن يكون كما قال الله ۵ وكما قدَّر لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما يقضي ويشرع ويقدر، والحكيم في كل شيء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكما وبنواياكما وبدعائكما وبأحوالكما والعليم بخلقه عمومًا والعليم بعواقب الأمور وابتدائها والعليم بكل شيء.

هذا، وقد كان الخليل غ يدعو ربَّه ۵ بالذرية الصالحة إذ كان يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وقال لما رزق بالولدين: (إسماعيل وإسحاق): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ ففيه دلالة على أن الخليل كان يدعو بالذرية الصالحة.

---

(1) وفي هذا إشارة إلى أن الذي أُمر إبراهيم بذبحه هو إسماعيل، وذلك لأن إبراهيم قد بُشر بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فكيف يؤمر بذبح إسحاق؟!!.

ومعلوم أن إسماعيل ولدته هاجر ڑ.

وإسحاق ولدته سارة ڑ.

ثم إن الخليل إبراهيم غ سأل الملائكة و عن وجهتهم التي يتجهون إليها، وسألهم عن شأنهم ومرادهم قائلًا لهم ﴿فَمَا﴾ فما شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ يا رسل الله الكرام، فأجابوه قائلين ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ﴾ أي بالعذاب، ﴿إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ قد اجترموا الذنوب والكبائر واقترفوا المعاصي، والفواحش ألا وهم قوم لوط، أرسلنا إليهم ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ حجارة من طين متحجر قوي كما في الآية الأخرى ﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ أي متتابع سريع.

وهذه الحجارة مُعلمة كل حجر عليه اسم من سيقتل به ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الذين أسرفوا على أنفسهم بارتكاب الفواحش والجرائم.

فهكذا أخبرت الملائكة عليهم السلام إبراهيم ﷺ بما سيكون وكل ذلك بإذن الله ۵ ، هذا وقد تقدم تمام القصة في سور أخرى عما قريب والحمد لله.

NNO PMM

قصة الذبيح

رؤيا الخليل غ أنه يذبح ولده وامتثاله وولده أمر الله ٥ ، ثم فداء الابن بذبح عظيم

الآيات الواردة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ
الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ
إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)
وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
(١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)
وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ
مُبِينٌ﴾[الصافات: 99 - 113].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾	مهاجر إلى أرضٍ أعبد فيها ربي ٥.
﴿سَيَهْدِينِ﴾	سيوفقني ويسددني ويدلني على الطريق الأرشد والأمثل.

﴿هَبۡ لِي﴾	ارزقني – امنحني – تفضَّل عليَّ.
﴿حَلِيمٖ﴾	يتجاوز عن الإساءات – صبور – لا يعاجل بالعقوبة.
﴿بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾	استطاع المشي والعمل وقدر عليهما- بلغ حدًّا يستطيع فيه أن يعمل مع أبيه ويساعده.
﴿أَسۡلَمَا﴾	استسلما لأمر الله – شهدا أن لا إله إلا الله.
﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾	طرحه على وجهه ليذبحه من قفاه والجبين ما على جنبتي الجبهة فللوجه جبينان، والجبهة بينهما.
﴿ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾	الاختبار العظيم – الامتحان الشديد.
﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	تركنا عليه ثناءً حسنًا في الذين جاءوا من بعده.
﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾	جعلنا الخير فيه ثابتًا ومتناميًا.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات مع بيان القصة:

لما أنجى الله سبحانه وتعالى إبراهيم ع من النار وحفظه وسلمه منه وكان من أسباب ذلك قوله: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ فلما سلمه الله من النار ومع ذلك، وقد رآه قومه وقد نجا من النار ولم يؤمنوا ولم تؤثر فيهم هذه المعجزة قرر الخليل ع ترك البلاد والهجرة منها ومفارقة هؤلاء القوم كما قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾.

فهاجر الخليل إبراهيم ع.

وإلى أين هاجر؟ الله أعلم إلى أين هاجر وقد قال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ

﴿وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ فقيل: إلى الأرض المقدسة وقيل: إلى حران، وقيل غير ذلك.

وقد ذهب بعض العلماء مذهبًا آخر أراه شاذًّا في تفسير الهجرة التي عناها إبراهيم غ بقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فقد ذهب قتادة $ إلى أن المعنى ذاهب بعمله وقلبه ونيته أخرج ذلك عنه الطبري بإسناد حسن.

قلت (مصطفى): وهذا غريب وبعيد عن المعنى والسياق، وكذا يرده ما ورد في سورة العنكبوت من قوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: 26].

هذا، وقد أخرج الطبري بإسنادٍ صحيح إلى سليمان بن صرد، وهو من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: (أي: سليمان بن صرد) قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أن أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقى في النار؛ فلما ألقي فيها، قال: حسبي الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قيل: فقال الله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عنقًا من النار فأحرقته(1).

قلت مصطفى: وهذا مصيرٌ منه إلى أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ لما أخذوه لإلقائه في النار.

قال القرطبي $: وفي قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ على هذا القول تأويلان، أحدهما: سيهدين إلى الخلاص منها، والثاني: إلى الجنة.

وفي هذا القول، والذي قبله بعدٌ، والصواب -والله أعلم- في قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أنه ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: 26]، أي: تارك البلاد

(1) وهذا موقوف كما هو واضح.

بما فيها ومتجه إلى حيث أعبد ربي ٥.

وهذا رأي أكثر أهل العلم، واختيار الطبري $.

إذ قال: وقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ يقول: وقال إبراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله.

قال الطبري: وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك؛ لأن الله -تبارك وتعالى- ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجَّاه مما حاول قومه من إحراقه قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت: 26] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ لأنه قوله: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾، وقوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ يقول: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن خليله إبراهيم: إنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم.

وقال القرطبي $: هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك إبراهيم غ وذلك حين خلصه الله من النار ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه ﴿سَيَهْدِينِ﴾ فيما نويت إلى الصواب.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير في شأن هجرة إبراهيم غ في (قصص الأنبياء):

ذكر هجرة الخليل غ إلى بلاد الشام ودخوله الديار المصرية واستقراره بالأرض المقدسة:

قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ

﴿٢٦ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: 26 - 27].

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 71- 73].

لما هجر قومه في الله، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقرًا لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، بل معه ابن أخيه لوط بن هران بن آزر، وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء، من بعده، فعلى أحد نسله وعقبه، خلعة من الله وكرامة له، حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه ۵ ودعوة الخلق إليه.

والأرض التي قصدها بالهجرة أرض الشام. وهي التي قال الله ۵: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71].

قاله أبي بن كعب وأبو العالية وقتادة وغيرهم.

وروى العوفي عن ابن عباس(1) قوله: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ مكة، ألم تسمع إلى قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 96]، وزعم كعب الأحبار أنها «حران».

وقد قدمنا عن نقل أهل الكتاب: أنه خرج من أرض بابل هو وابن أخيه لوط، وأخوه ناحور، وامرأة إبراهيم سارة، وامرأة أخيه «ملكا» فنزلوا

(1) عطية العوفي ضعيف والسند ضعيف.

حران، فمات تارخ أبو إبراهيم بها(1).

هذا، وبعد أن قرر إبراهيم غ ترك الديار والهجرة إلى ربه ٥، وكان لا يولد له قبل ذلك سأل ربَّه ولدًا صالحًا يكون أنيسًا، فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: ولدًا ويكون من أهل الصلاح والفضل.

قال الطبري $: وقوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهذه مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولدًا يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولايفسدون.

وقال: من الصالحين، ولم يقل: صالحًا من الصالحين، اجتزاء بمن ذكر المتروك، كما قال ٥: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف: 20]. بمعنى زاهدين من الزاهدين.

وقال ابن كثير $: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني: أولادًا مطيعين عوضًا من قومه وعشيرته الذين فارقهم.

قلت: هذا، وقد شكر إبراهيم غ ربَّه ٥ وحمده على ما منَّ به عليه وأكرمه بالذرية الصالحة إذ قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

فقد استجيب لإبراهيم غ، استجاب الله له لما سأله ودعاه ورجاه والتجأ إليه قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ أي أن هذا الغلام سيكون حليمًا في كبره فكأنه بُشِّر ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك فكانت البشرى على ألسنة الملائكة.

هذا، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبراهيم غ بُشِّر أكثر من مرة، وكل بشارة تختلف عن الأخرى قال ذلك بعض أهل العلم، وقالوا:

---

(1) وهذا لا يثبت به سندٌ عن النبي ﷺ.

البشارة الأولى: بشارة بإسماعيل ﷺ.

البشارة الثانية: بشارة بإسحاق ﷺ.

البشارة الثالثة: بشارة بأن إسحاق غ سيكون نبيًّا.

أما عن أدلة هذه الأقوال.

فأدلة البشارة الأولى: (بإسماعيل غ) – وهذا عند فريق من العلماء، فهي قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾.

والبشارة الثانية: (بإسحاق غ) دليلها: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: 71].

والبشارة الثالثة: بأن إسحاق سيكون نبيًّا، دليلها: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

مع أن بعض المذكور فيه بعض الخلاف، سيأتي بيانه إن شاء الله.

أعود فأقول هكذا استجاب الله ۵ دعاء خليله غ وعوَّضه بدلًا من قومه الذين هجرهم لله وفارقهم لله، أبدله بغلام حليم وكان هذا الغلام نجيبًا صالحًا وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ فيه للعلماء قولان:

أحدهما: فلما قوي إسماعيل(1) غ واستطاع العمل مع والده إبراهيم غ وانتفع به أبوه.

فالسعي هنا سعي إبراهيم غ، أي: فلما استطاع إسماعيل غ أن يساعد أباه في علمه.

الثاني: أن السعي سعي إسماعيل غ، والمعنى فلما استطاع إسماعيل غ أن يسعى ويمشي وتقوَّى على ذلك، أي: فلما مشى مع إبراهيم غ.

وقوله: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قاله الخليل إبراهيم غ لابنه غ وهذا من إبراهيم غ يُعد توطئة لولده إسماعيل على قبول الأمر الذي هو من الله ۵، وأيضًا اختبارٌ لصبر إسماعيل غ ولجلادته يقول

---

(1) وسيأتي تحرير القول في الابن الذي أُمر إبراهيم غ بذبحه بعد قليل إن شاء الله.

له أبوه: يا بني إني رأيت رؤيا منامية أني أذبحك، فما رأيك في هذا؟.

هذا، ولم يكن إبراهيم غ متوقفًا في ذبح ولده حتى يعطيه ولدُهُ الإذن بذلك وإنما أراد أن يختبر صبر ولده، وكذا أراد لولده أن يُثاب باستسلامه لأمر الله ۵، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾.

قال الطبري $: فإن قال قائل: أو كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله، والانتهاء إلى طاعته؟ قيل: لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله، ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك أم لا وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت ما يأمرك به ربك من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يقول: ستجدني إن شاء الله صابرًا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: افعل الأمر الذي تؤمره، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(إني أرى في المنام افعل ما أمرت به)**.

وقال ابن كثير $: وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله ۵. وصدق، صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾

[مريم: 54 – 55].

أعود، فأقول: فماذا كان من هذا الابن الحليم الرشيد الصابر؟ ماذا كان منه عندما أخبره أبوه غ خبر ما رأى لقد قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾.

فحقًّا إنه جواب عجيب!!

جواب رشيد!!

فليس فقط «اذبحني» ولكن كل ما يأمرك الله ۵ به افعله يا أبت ولا تتردد!.

فهو يحث أباه على امتثال أمر الله ۵، فقال له: يا أبت افعل ما يأمرك الله به، ففضلًا عن كونه استسلامًا لأمر الله ۵ فإنه أيضًا حثٌّ للأب على الصبر وتذكيرٌ له بالامتثال لأمر الله.

فحقًّا إنها أسرة كريمة مكرمة، وهكذا إسماعيل غ، وتلك أمه هاجر التي قالت لإبراهيم حين تركها وولدها إسماعيل عند البيت الحرام: «**آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا!!**».

ولقد وفى إسماعيل غ بقوله ووعده لأبيه إذ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

دلَّ على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾.

وقوله تعالى:﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنبياء:85]

وقوله تعالى في شأن إسماعيل غ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: 54- 55].

هذا، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾.

معناه: والله تعالى أعلم فلما استسلم إبراهيم غ واستسلم ولده إسماعيل غ لأمر ربه ۵ ورضيا بما قضاه الله وقدَّره وأمر به وأضجع إبراهيم غ

ولده إسماعيل على الأرض ووجهه على الأرض حينئذ ناداه ربُّه ٥ أن يا إبراهيم ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ قد امتثلت ما أُمرت به في رؤياك.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كذلك نوفق المطيعين لنا كما وفقناك لمزيدٍ من طاعتنا وامتثال أمرنا نوفق من أطاعنا وامتثل أمرنا ونجازيه.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حاصل معناه، وكما جازيناك بإكرامك بالذبح العظيم تفديةً لولدك وأنجيناك من هذه الشدة وذاك الكرب الذي كنت فيه، فإننا أيضًا نجازي أهل الإحسان على الدوام فنكافؤهم على ما أطاعونا.

إن هذا لهو البلاء المبين، قيل: الاختبار الشديد المظهر لحقائق ما عليه الأشخاص، وقيل: إن هذا هو النعيم، وإن هذه لهي النعمة العظيمة عليك، وقد تأتي كلمة البلاء على المعنيين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: 17].

وهذه بعض أقوال العلماء في المسألة:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله.

وقوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ يقول: وصرعه للجبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي وكبه لفيه وأخذ الشفرة ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ حتى بلغ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ وهذا جواب قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ ومعنى الكلام: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم؛

وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: 73]، وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقيها.

ويعني بقوله: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ الَّتِي أَرَيْنَاكَهَا فِي مَنَامِكَ بِأَمْرِنَاكَ بِذِبْحِ ابْنِكَ.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزي الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة، وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح إلى ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه ﴿صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾: ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه، وهو الشر وليس من بلاء الاختبار.

وقال ابن كثير $: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: ﴿أَسۡلَمَا﴾، استسلما وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمرَ الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم.

ومعنى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه.

وقال: وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ أي: قد حصل المقصودُ من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح.

(188) أحمر
أسود

وقال: وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: 2- 3].

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافًا لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذَبْحَ ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولًا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلمًا لأمر الله، منقادًا لطاعته؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37].

هذا، وقد يطرح هنا سؤال حاصله هل رؤيا الأنبياء وحيٌ أم لا؟

والحامل على هذا السؤال إقدام إبراهيم غ على ذبح ولده بناءً على الرؤيا المنامية التي رآها.

وجواب ذلك بداية أن ما رآه إبراهيم غ كان وحيًا بلا شك ولا ريب وقد أثنى الله عليه إذ صدَّق الرؤيا بقوله: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾.

هذا، وقد ورد في الباب باب هل رؤيا الأنبياء وحيٌ أم لا؟ حديث ضعيف من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: **«رؤيا الأنبياء في المنام وحي»**.

وهو ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ فرواية سماك عن عكرمة ضعيفة مضطربة.

وفي الحديث عللٌ أُخر.

أما عن رؤيا الأنبياء، وهل هي وحيٌ أم لا؟

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن رؤيا الأنبياء وحيٌ، وذلك لقول

الخليل إبراهيم غ لولده: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾.

وقول ولده له: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾.

ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: 27] وعند البخاري في حديث صلح الحديبية الطويل أن عمر ف قال لرسول الله ﷺ: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: «لا». قال (أي رسولُ الله ﷺ): «**فإنك آتيه ومطوف به**»(1).

وقد تحققت هذه الرؤيا بفضل الله.

هذا، وقد صح عن قتادة(2) عند الطبري أنه قال: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئًا فعلوه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية $(3): ورؤيا الأنبياء وحيٌ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة(4)، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل ث بالرؤيا، وأما رؤية غيرهم فتعرض على الوحي فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه ليست كل رؤيا للأنبياء وحيٌ مستدلين بحديث(5) عائشة ف قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**أُريتك في**

---

(1) البخاري (2731).
(2) الطبري (23/ 78).
(3) مجموع الفتاوي (4/ 30).
(4) دعوى الاتفاق فيها نظر.
(5) البخاري (5125).

المنام يجيء بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت وجهك فإذا أنت هي، فقلت: إن يك من عند الله يُمضه».

قول الحافظ ابن كثير في قصة الذبيح من كتابه قصص الأنبياء(1):

قال خ بعد أن أورد الآيات السابقة يذكر تعالى عن خليله إبراهيم أنه لما هاجر من بلاد قومه، سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا، فبشره الله بغلام حليم، وهو إسماعيل غ، لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل. وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل، لأنه أول ولده وبكره.

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ أي شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه. قال مجاهد: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ أي شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل.

فلما كان هذا، رأى إبراهيم غ في المنام أنه يؤمر بذبح ولده هذا، وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعًا: «**رؤى الأنبياء وحي**»(2) قاله عبيد بن عمير أيضًا.

وهذا اختبار من الله ٥ لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر، وقد طعن في السن، بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر، وواد ليس به حَسِيس ولا أنيس، ولا زرع ولاَضرْع. فامتثل أمر الله في ذلك، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلًا عليه، فجعل الله لهما فرجًا ومخرجًا ورزقهما من حيث لا يحتسبان.

ثم لما أُمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه، وهو بكره ووحيده الذي ليس له غيره، أجاب ربه وامتثل أمره، وسارع إلى طاعته.

---

(1) صـــ 188 فما بعدها.

(2) ضعيف جدًّا، وقد أعلَّ بالوقف وانظر الطبري (12/ 90) والطبراني في الكبير (12/ 12302) والحاكم (2/ 432) وغيرهم.

ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسرًا ويذبحه قهرًا: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾.

فبادر الغلام الحليم، سُر والده الخليل إبراهيم، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ قيل: «أسلما» أي استسلما لأمر الله وعزا على ذلك. وقيل: وهذا من المقدم والمؤخر، والمعنى: ﴿تَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾أي ألقاه على وجهه. قيل: أراد أن يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه، قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك. وقيل: بل أضجعه كما تضجع الذبائح وبقى طرف جبينه لاصقًا بالأرض «وأسلما» أي سمّى إبراهيم وكبّر، وتشهّد الولد للموت، قال السدي وغيره: أمرَّ السكين على حلقه فلم تقطع شيئًا، ويقال: جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس. والله أعلم.

فعند ذلك نودي من الله ٥: ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك إلى أمر ربك، وبَذْلُكَ ولدك للقربان، كما سمحت ببدنك للنيران، وكما مَالُكَ مبذولٌ للضيفان! ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر البين.

وقوله: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ أي وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه.

ثم أورد ابن كثير $ طائفةً من الأحاديث والآثار ضعيفة الأسانيد بل وضعيفة جدًّا.

أعرضت عن إيرادها عن عمد.

بحثٌ في الذبيح من هو

(الغلام الذي أُمر إبراهيم غ بذبحه).

اختلف أهل العلم في تعيين الغلام الذي أُمر إبراهيم غ بذبحه، هل هو إسماعيل غ أم إسحاق غ والذي يبدو لي، والعلم عند الله ٥ أنه إسماعيل غ وهذا الذي تشهد له الأدلة.

وقبل أن أفصِل في المسألة، أُورد هذه التنبيهات:

أولًا: لم يثبت في هذا الباب خبرٌ صحيح عن رسول الله ﷺ.

والحديث الذي هو «**أنا ابن الذبيحين**» متكلم فيه ولا يصح.

ثانيًا: وأيضًا فالآيات لم يُنص فيها على تحديد اسم الذبيح، وإنما فُهم من مضمونها ما فُهم.

ثالثًا: لم يتفق الصحابة فيما بينهم على شيء، ثم إن كثيرًا من الأسانيد إليهم فيها ضعف.

رابعًا: نحن كمسلمين ولله الحمد نعتقد تمام الاعتقاد ونؤمن تمام اليقين أن كلًّا من إسماعيل وإسحاق ث له فضل، فكلاهما نبي كريم.

ثم هذا شيء من التفصيل:

بعض أدلة القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسماعيل غ:

أولًا: تقدم إسماعيل غ في الذِّكر الحكيم كتقدمه في ثناء إبراهيم غ على ربّه ٥ وحمده له بقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: 39].

وكذا في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [النساء: 163]، وفي قول يعقوب غ لبنيه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ

إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [البقرة: 133].

ثانيًا: أن امرأة إبراهيم ؑ (وهي سارة ؓ) لما بُشِّرت بإسحاق بشرت معه بيعقوب ؈، فلم تكن لتبشر بحفيدٍ ثم يؤمر بذبح ولد الابن الذي منه الحفيد قبل أن يتزوج هذا الابن؟

فمن أين يتأتى الحفيد؟ وقد ذُبح أبوه وهو غلام؟!!

أما كونها بشرت بهما معًا ففي قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71].

فلا يتصور أن يبشر الشخص بولد وحفيد من هذا الولد ثم يؤمر بذبح الولد قبل أن يتزوج!!

ثالثًا: إن سياق الآيات التي معنا في هذه السورة المباركة سورة الصافات دعا إبراهيم ؑ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فبشر كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: مع هذا الغلام الحليم، ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ثم بعد ذلك قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهذا في السياق بعد ذِكر الغلام الحليم وما كان من شأنه في القصة.

أما قول من قال: إنه نبئ بعد ذلك، أي: أن الذبيح عنده هو إسحاق ثم بشر إبراهيم بأن ولده إسحاق سيكون نبيًّا فقول بعيد.

فقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾، المراد منه – والله أعلم -: أن ذلك في أصل البشرى بإسحاق وأنه سيولد.

رابعًا: أن الغلام الذي أُمر إبراهيم ؑ بذبحه، قال لأبيه إبراهيم ؑ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقد كان ذلك في شأن إسماعيل ؑ ووصف إسماعيل ؑ بذلك، إذ الله قال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85].

بعض استدلالات القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق ؑ:

أقوى استدلال لهذا الفريق من العلماء هو: أن إبراهيم ؑ لما قرر ترك بلاد الكفر: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بُشّر بالغلام الحليم في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، فبالنظر إلى ذلك وإلى قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: 49]، يتضح أن الذي بشر به بعد اعتزال قومه هو إسحاق ويعقوب، وكذا قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: 26- 27] قد يُفهم منه أنه رزق بهما بعد هجرته.

هذا فيما أرى أقوى استدلالٍ للقائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق ؑ.

وأقول -وبالله التوفيق-: إن هذا الاستدلال يمكن توجيهه بأن يقال: نعم إن إبراهيم بُشّر بإسحاق ويعقوب ؊ بعد هجرته، ولا نختلف في ذلك، ولكن الأمر بعد الهجرة واسع.

فيمكن أن يقال: إن إبراهيم لما هاجر بشر بالغلام الحليم إسماعيل ؑ (من هاجر) وبُشّر أيضًا بعدها بإسحاق (من سارة) والله أعلم.

هذا، وقد وردت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذا الصدد، أذكر منها أهم ما أورده الإمام الطبري ؒ تعالى معلقًا عليه بإذن الله.

قال الطبري ؒ:

وقوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من

الذبح.

واختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

وأورد الطبري بإسنادين فيهما ضعفٌ(1) عن العباس بن عبد المطلب ڤ: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال: هو إسحاق.

وأورد بسندٍ صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: الذي أُمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

قلت: وهذا مخالف لما هو أثبت وأصح وأوثق عن ابن عباس من طرق متعددة من أن الذبيح هو إسماعيل غ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله(2): ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

وأبو الأحوص هو عوف بن مالك، وهو ثقة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح أن كعبًا(3) قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحد منهم أبدًا، فتمثل الشيطان لهم رجلًا يعرفونه، فأقبل حتى إذا

---

(1) أما الإسناد الأول، ففيه يحيى بن يمان، وهو ضعيف، وكذا فيه مبارك بن فضالة، وفيه كلام، والحسن البصري مدلس، وقد عنعن.
والسند الثاني: فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

(2) وعبد الله هو ابن مسعود.

(3) وكعب هو كعب الأحبار مكثرٌ من رواية الإسرائيليات، وفيما يبدو أن هذا منها، والسند إلى كعب صحيح، لكن ما قاله كعب غالب ظني أنه متلقى من الإسرائيليات، والله أعلم.

خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديًا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال:زعم أن ربه أمره بذلك، قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديًا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى؛ قال: لم؟ قال:زعم أن ربه أمره بذلك؛ قال إسحاق: فو الله لئن أمره بذلك ليطيعنه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديًا بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك؛ قال: فو الله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن؛ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك؛ وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها؛ قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا فأدخله الجنة.

وأورد الطبري آثارًا أُخر في هذا الصدد يبين أن الذبيح إسحاق، وفيها مقال. ثم قال:

وقال آخرون: الذي فدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم إسماعيلُ.

وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: الذبيح إسماعيل.

وأورد بأسانيد قوية متعددة عن ابن عباس. تصح(1) بلا ريب عنه: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال إسماعيل: وفي بعض الروايات عن ابن عباس: المفدى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وأورد بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن (وهو البصري) قال: هو إسماعيل.

وأورد جملة أسانيد أخر في هذا الصدد.

واختار الطبري $ أن الذبيح هو إسحاق.

وإن كنت لا أوافقه على هذا الاختيار وقد خالفه كثيرون من أهل العلم، إلا أنني أورد قول الطبري وقول غيره من أهل العلم.

قال الطبري $: وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فإذا كان المفدي بالذبح من ابنيه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71]، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنى به إسحاق، كان بينًا أن تبشيره إياه بقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام

---

(1) ومنها الصحيح في غاية الصحة استقلالًا، ومنها ما في سنده مقال ويشهد له غيره.

الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به. واما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزًا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله: ﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا﴾ ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقًا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.

قلت: وهذه طائفة أُخرى من أقوال العلماء.

قال الحافظ ابن كثير $:

قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل غ، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم غ وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلِدَ ولإبراهيم غ ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمْر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى

أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة: بكْره، فأقحموا ها هنا كذبًا وبهتانًا «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحَرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عنك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضًا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضًا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلمًا من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: 53]. وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرًا، وإسماعيل وصف ها هنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام.

وقال الحافظ ابن كثير $ أيضًا:

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل $: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل. ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل، غ. قال: وروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد

بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل.

وقال البغوي في تفسيره: وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهو رواية عن ابن عباس، وحكاه أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء.

وجنح القرطبي إلى أن الذبيح إنما هو إسحاق غ ونقل ذلك عن الأكثر وقال: وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، وقال: وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

قلت (مصطفى): أما عن رسول الله ﷺ فلم يصح عنه في الباب خبرٌ، أما الآثار فقد تقدمت الإشارة إليها.

ثم قال القرطبي $ مُدعمًا ما جنح إليه من أن الذبيح إسحاق، ومُفندًا الأقوال الأخر:

واحتجوا بأن الله ٥ قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99] أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: 49] ولأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم وإنما بشر بإسحاق لأنه قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ وقال هنا: ﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ

﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85] وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: 54]، لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولأن الله تعالى قال: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبيًّا وأيضًا فإن الله تعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71] فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب وأيضًا ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح إسماعيل ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع أما قولهم: كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبيًّا فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان قاله ابن عباس وسيأتي ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب ويقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح وهذا مذهب ثالث.

وصف الذبح العظيم الذي فُدِّي به إسماعيل ﻍ

أقول -وبالله التوفيق-: لم يُذكر في الكتاب العزيز، ولا في السُّنة المباركة بيانٌ للذبح العظيم ولا وصف له أكثر من قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه كبش.

وقد صحَّ ذلك عن ابن عباس ﭭ من وجوه متعددة عنه أخرجها الطبري وغيره.

ومما أورده الطبري طريق ابن خثيم (وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم) عن سعيد عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم ﻍ هو

الكبش الذي مَرَّ به ابن آدم فتُقبل منه.

ولا أرى عبد الله بن عثمان يتحمل مثل هذا المتن ولم يوافق عبد الله بن عثمان عليه.

&+

مزيد بيان للابتلاءات (الاختبارات) التي ابتلى بها إبراهيم غ

آيات من سورة البقرة وردت في ذلك مع بيان معانيها وتفسيرها

قـــال الله ٥: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

معاني مفردات هذه الآيات:

الكلمة	معناها
﴿ٱبۡتَلَىٰٓ ﴾	امتحن – اختبر.
﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾	شرائع وأوامر ونواه وتكاليف.
﴿فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾	قام بهن وعمل بهن وأدى جميع ما كلِّف به.
﴿إِمَامٗاۖ﴾	قدوة يُقتدى بدينك وهديك وسنتك، والإمام هو الذي يؤتم به، ومنه قيل للطريق: إمام كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾.
﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	لا يكن إمامًا لي ظالم.

المعنى الإجمالي لهذه الآيات:

واذكر يا رسول الله، واذكر أيها المسلم، ويا أيها الإنسان، اذكروا جميعًا أن الله ٥ اختبر نبيه إبراهيم غ، بأوامر ونواه وتكاليف وشرائع فقام بهن خير قيام وأداهن أحسن الأداء، أدى ما كُلِّف بـه وانتهـى عما نهاه الله ٥ عنه كما

قال سبحانه: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾فمن ثمَّ أكرمه الله ٥ بالإمامة فقال:﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ جاعلك قدوةً للناس وإماما في الدين يقتدي بك المؤمنون ويتأس بك المتقون، فسأل الخليل غ لذريته الإمامة ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ وهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أنه دعاء، والمعنى واجعل اللهم من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا؟

والثاني: أنه استفهام بمعنى، وهل تجعل يا رب من ذريتي أئمة كما جعلتني إمامًا؟

فكان الجواب سواء كان جوابًا على السؤال، أو كان ردًّا على الدعاء ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

أي ليس لظالم عندي عهدٌ أن يكون إمامًا.

وكما سلف فإن الإمامة هنا هي الإمامة في الدين فلا يكون إمامًا في الدين يأمرنا الله ٥ بالاقتداء به إلا وهو صالح كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ [لقمان: 15].

ومن العلماء من قال: لا ينال عهدُ الله في الآخرة ظالمًا، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأمن به وأكل وعاش.

قلت: وهذا مبني على تفسير العهد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 124] فارجع إليه.

هذا، وعن الكلمات التي ابتلى الله ٥ بها إبراهيم غ فيدخل فيها فضلًا عن الأوامر والنواهي والتكاليف الشرعية ما ذكره أهل العلم إذ أوردوا منها ما يلي:

۞ فراق إبراهيم غ قومه في الله حين أمر بفراقهم.

ومحاججته للنمرود كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ

إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 258] (1).

ومنها:

- صبره على قذفه في النار.
- ما أمره الله به من إكرام الضيف وصبره على ذلك.
- وما ابتلي به من أمره بذبح ولده ث وصبره على ذلك وامتثاله ما أمره الله به ويدخل في ذلك أيضًا ما ذكره العلماء وفيه:
- أن الله ٥ ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظافر، وحلق العانة والختان، ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء.
- ويدخل فيها أيضًا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة.
- ويدخل فيها أيضًا ما ذكره بعض أهل العلم حيث قال: الإسلام ثلاثون سهمًا منها عشر آيات (2) في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إلى آخر الآية [التوبة: 112]، وعشر آيات (3) في أول سورة قد أفلح المؤمنون

---

(1) فتكلَّم كلمة الحق عند السلطان الجائر.

(2) يقصد عشر صفات وهي: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112].

(3) يعني عشر صفات أيضًا وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 1- 9].

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: 1] وعشر آيات (1) في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35] فأتمهن كلهن فكتب له براءة قال الله: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37] إلى غير ذلك من التكاليف التي كُلِّف بها إبراهيم غ.

اختتان إبراهيم غ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم

قال الإمام البخاري $: حدّثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعيدٍ حَدَّثَنا مُغيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ الْقُرَشيُّ عَنْ أَبي الزِّنَاد عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ف قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: **«اخْتَتَنَ إبْرَاهيمُ غ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُّومِ»** (2). تَابَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ عَنْ أَبي سَلَمَةَ.

NNO PMM

---

(1) يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: 35].

(2) البخاري (3356) ومسلم (2370).

والقدوم آلة النجار المعروفة. وفي هذا دلالة على حسن امتثال الخليل غ لأوامر الله ه وتحمله الأذى الشديد ابتغاء مرضات الله ه.

ذِكر إبراهيم غ من سورة إبراهيم وفيه دعاء الخليل غ لمكة ولأهلها ولذريته وسؤاله ربه الثبات على التوحيد والابتعاد عن الأصنام والثبات على إقامة الصلاة وسؤال الله القبول والمغفرة

أولاً: الآيات الواردة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا
وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ
فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ
مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ
يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ
إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ
وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: 35- 41].

ثانيًا: معنى مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿ٱلۡبَلَدَ﴾	المراد مكة والحرم.
﴿ءَامِنٗا﴾	سالمًا من السوء والمكروه ومحفوظًا من الشر

	مؤمنًا لا يُعتدى على أهله.
﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾	باعدني – اصرفني.
﴿ٱلۡأَصۡنَامَ﴾	الأوثان التي تعبد من دون الله (حجارة وأشجار يعبدونها) من دون الله.
﴿أَضۡلَلۡنَ﴾	تسببن في انصراف الناس عن الحق.
﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾	فإنه على سنتي وطريقتي.
﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾	بواد ليس فيه زرع ولا ثمر.
﴿أَفۡـِٔدَةٗ﴾	قلوبًا.
﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾	تميل إليهم وتذهب إليهم – تحبهم وتوقرهم.
﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾	وأنا كبير السن.
﴿وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾	تقبل عبادتي – استجب دعائي.
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾	يوم القيامة الذي فيه حساب العباد.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يُذكِّر الله ٥ رسوله محمد ﷺ وسائر المؤمنين بل والخلق أجمعين بما كان من إبراهيم غ إذ قال سائلًا الله ٥ لمكة والحرم أن تكون آمنة مطمئنة فيقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ﴾ يعني مكة البلد الحرام ﴿ءَامِنٗا﴾ من السوء والمكروه وآمنًا بكل ما يقتضيه معنى الأمان، وكذا أن تكون حرامًا ومن معاني ذلك ألا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا تلتقط لقطتها.

فاستجاب الله ٥ دعاءه، فقد قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾. وكما قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ

ﯓﮑﮒ ﴾ وهي مكة.

ثـم يواصـل الخليـل إبـراهيم غ دعــاءه قــائلًا: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ أي وباعدني يا رب وباعد ذريتي عن عبادة الأصنام، وقد كـان الخليل غ بعيدًا عن عبادتها ولكنه سأل الله الثبات علـى الابتعـاد عنهـا والله أعلم.

ثم يبين الخليل إبراهيم خطر الأصنام وعبادتها فيقول: ﴿ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮠ﴾ أي بسببهن ضلَّ كثيرٌ من الناس عن طريق الحق والصـواب وعن طريق التوحيد والإخلاص ﴿ﮡ ﮢ﴾ من سلك الطريق معي إليك يـا رب واتبع ما أنا عليه من التوحيد والإخلاص فـآمن بـك ووحـدك وأخلـص لك ﴿ﮣ ﮤﮥ﴾ مستنٌّ بسنتي عامل بطريقتـي، ﴿ﮦ ﮧ﴾ أي فإنـك قـادر على هدايته ومن ثمَّ ﴿ﮨ ﮩ﴾ له ﴿ﮪ﴾ به وبالتائبين إليك.

فتوجيـه قـول الخليل إبـراهيم غ إذ قـال: ﴿ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ﴾ مع أن الله ﻷ لا يغفر أن يشرك به، من وجهين:

أحدهما: أن يُقال، ومن عصاني فإنك يا رب قادرٌ على هدايته ومـن ثـمَّ تغفر له وترحمه.

والثاني: أنه قال ذلك قبل أن يعلم أن الشرك بالله لا يغفر، كما قال تعالى: ﴿ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑﮒ﴾ [التوبة: 114]. والله أعلم.

هذا، وبنحو ما ذكر قال أهل العلم....

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ﴿ﮉ﴾ اذكر يا محمد ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ﴾ يعني: الحَرَم، بلدًا آمنًـا أهلـه وسكانه ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ﴾ يقال منه: جَنَبْته الشرَّ فأنا أَجْنُبُه جَنْبًا وجَنَّبتـه الشـر، فأنـا أجَنِّبُه تجنيبًا، وأجنبته ذلك فأنا أُجبه إجنابًا.

ثم قال: ومعنى ذلك: أبعدْني وبني من عبادة الأصنام، والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر.

وقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يقول: يا ربّ إن الأصنام أضللن: يقول: أزلن كثيرًا من الناس عن طريق الهُدى وسبيل الحق حتى عبدوهن، وكفروا بك.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: الأوثان.

وقوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ يقول: فمعنى تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستنّ بسنتي، وعامل بمثل عملي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: ومن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنك غفور لذنوب المذنبين الخَطائين بفضلك، ورحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ اسمعوا إلى قول خليل الله إبراهيم لا والله ما كانوا طَعَّانين ولا لعَّانين، وكان يقال: إنّ من أشرّ عباد الله كلّ طعان لعان، قال نبيّ الله ابن مريم غ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: 118].

وأورد الطبري بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: 118]، فرفع يده ثم قال: **«اللَّهُمَّ أُمَّتِي، اللَّهُمَّ أُمَّتِي»**، وبكى، فقال الله تعالى: **«يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ»** وَرَبُّكَ أَعْلَمُ **«فَاسْأَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟»**، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ: **«فَقَالَ**

اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ فَلَا نَسُوءُكَ»(1).

قال ابن كثير $: يذكر تعالى في هذا المقام محتجًّا على مشركي العرب، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بسببه، آهلة، تبرأ ممن عبد غير الله، وأنه دعا لمكة بالأمن فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ وقد استجاب الله له، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: 67]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: 96، 97]، وقال في هذه القصة: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ فعرفه كأنه دعا به بعد بنائها؛ ولهذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ [إبراهيم: 39]، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة، فأما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة، فإنه دعا أيضًا فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: 126]، كما ذكرناه هنالك في سورة البقرة مستقصى مطولًا.

وقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته، ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه بريء ممن عبدها، ورد أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كما قال عيسى غ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، وليس في هذا أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى، لا تجويز وقوع ذلك.

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ

---

(1) وأخرجه مسلم بنحوه (346).

ﵟءَامِنٗاﵞ يعني: مكة ﵟوَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَﵞ أي: اجعلني جانبًا عن عبادتها، وأراد بقوله: ﵟوَٱجۡنُبۡنِيﵞ بنيه من صلبه وكانوا ثمانية، فما عبد أحد منهم صنمًا وقيل: هو دعاء لمن أراد الله أن يدعو له. وقرأ الجحدري وعيسى **(وأجنبني)** بقطع الألف والمعنى واحد، يقال: جنب ذلك الأمر، وأجنبته وجنبته إياه فتجانبه واجتنبه أي: تركه. وكان إبراهيم التيمي يقول في قصصه: من يأمن البلاء بعد الخليل حين يقول: ﵟوَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَﵞ كما عبدها أبي وقومي. قوله تعالى: ﵟرَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖﵞ لما كانت سببًا للإضلال أضاف الفعل إليهن مجازًا، فإن الأصنام جمادات لا تفعل. ﵟفَمَن تَبِعَنِيﵞ في التوحيد. ﵟفَإِنَّهُۥ مِنِّيﵞ أي: من أهل ديني. ﵟوَمَنۡ عَصَانِيﵞ أي: أصر على الشرك. ﵟفَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞﵞ قيل: قال هذا قبل أن يعرفه الله إن الله لا يغفر أن يشرك به. وقيل: غفور رحيم لمن تاب من معصيته قبل الموت. وقال مقاتل بن حيان: ﵟوَمَنۡ عَصَانِيﵞ فيما دون الشرك.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان): قوله تعالى: ﵟوَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَﵞ الآية، لم يبين هنا هل أجاب دعاء نبيه إبراهيم هذا، ولكنه بين في مواضع أُخر أنه أجابه في بعض ذريته دون بعض، كقوله: ﵟوَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞﵞ [الصافات: 113]، وقوله: ﵟوَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦﵞ الآية [الزخرف: 28].

قوله تعالى: ﵟفَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞﵞ الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم قال: إن من تبعه فإنه منه وأنه رد أمر من لم يتبعه إلى مشيئة الله تعالى إن شاء الله غفر له؛ لأنه هو الغفور الرحيم، وذكر نحو هذا عن عيسى ابن مريم في قوله: ﵟإِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُﵞ [المائدة: 118]، وذكر عن نوح وموسى التشديد في الدعاء على قومهما، فقال عن نوح إنه قال: ﵟرَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًاﵞ إلى قوله: ﵟفَاجِرٗا كَفَّارٗاﵞ [نوح: 26، 27]، وقال عن

موسى إنه قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]، والظاهر أن نوحًا وموسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ما دعوا ذلك الدعاء على قومهما إلا بعد أن علما من الله أنهم أشقياء في علم الله لا يؤمنون أبدًا، أما نوح فقد صرح الله تعالى له بذلك في قوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: 36]، وأما موسى فقد فهم ذلك من قول قومه له: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 132]، فإنهم قالوا هذا القول بعد مشاهدة تلك الآيات العظيمة المذكورة في «الأعراف» وغيرها.

قلت (مصطفى): ثم يواصل الخليل إبراهيم ﻍ دعاءه قائلًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

والمعنى -والله أعلم-: يا ربنا إني أسكنت بعض ذريتي وهو إسماعيل ﻍ، وكانت معه أمه هاجر ﺭ (أم إسماعيل) عند وادٍ لا زرع فيه ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ أي عند المسجد الحرام بمكة، فيا ربنا اجعلهم يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها، وثَمَّ معنى آخر لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يا ربنا قد أسكنتهم عند بيتك المحرم ليصلوا هنالك وقوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ أي: قلوبًا ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ تذهب إليهم في هذا المكان وتحبهم وتحب سكنى هذا البلد الحرام ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ كي يقدموا شكرًا لك وحمدًا لك.

هذا، ولقد استجاب الله دعوة خليله إبراهيم ﻍ، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: 125] أي: جعلنا الناس يثوبون إليه، يرجعون إليه بعد أن ينصرفوا عن محبة فيه، ولذلك نرى من اعتمر وحجَّ يُحب أن

يرجع إليه ثانية للاعتمار والحج.

وهذه بعض أقوال العلماء:

قال ابن كثير $: وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عندما ولى عن هاجر وولدها، وذلك قبل بناء البيت، وهذا كان بعد بنائه، تأكيدًا ورغبة إلى الله 5 ؛ ولهذا قال: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابن جرير: هو متعلق بقوله: ﴿ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ أي: إنما جعلته محرمًا ليتمكن أهله من إقامة الصلاة عنده.

﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد ابن جبير: لو قال: «أفئدة الناس» لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم، ولكن قال: ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاختص به المسلمون.

وقوله: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: ليكون ذلك عونًا لهم على طاعتك وكما أنه وادٍ غير ذي زرع فاجعل لهم ثمارًا يأكلونها. وقد استجاب الله ذلك كما قال: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: 57]، وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته: أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة، وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها، استجابة لخليله إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

وقال الشنقيطي (أضواء البيان): قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الآية، بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام دعا لذريته الذين أسكنهم بمكة المكرمة أن يرزقهم الله من الثمرات، وبين في «سورة البقرة» أن إبراهيم خص بهذا الدعاء المؤمنين منهم، وأن الله أخبره أنه رازقهم جميعًا مؤمنهم وكافرهم ثم يوم القيامة يعذب الكافر، وذلك بقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ

﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ الآية [البقرة: 126]، قال بعض العلماء: سبب تخصيص إبراهيم المؤمنين أنه دعا لذريته أولًا أن يجعلهم الله أئمة، ولم يُخصص بالمؤمنين، فأخبره الله أن الظالمين من ذريته لا يستحقون ذلك، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، فلما أراد أن يدعو لهم بالرزق، خص المؤمنين بسبب ذلك فقال: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ فأخبره الله أن الرزق ليس كالإمامة، فالله يرزق الكافر من الدنيا، ولا يجعله إمامًا، ولذا قال له في طلب الإمامة: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولما خص المؤمنين بطلب الرزق، قال له: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ الآية [البقرة: 126].

قال السعدي $: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

وذلك أنه أتى بـ «هاجر» أم إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي -إذ ذاك- ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء فقال -متضرعًا متوكلًا على ربه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام وباقي بنيه كذلك وإنما أسكن في مكة إسماعيل وذريته، وقوله: ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ أي: لأن أرض مكة لم يكن فيها ماء.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة لأن إقامة الصلاة من أخص وأفضل العبادات الدينية فمن أقامها كان مقيمًا لدينه، ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: تحبهم وتحب الموضع الذي هم ساكنون فيه.

فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدًا ﷺ حتى دعا ذريته

إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا لـه وصـاروا مقيمي الصلاة.

وافترض الله حج هذا البيت الـذي أسكن بـه ذرية إبـراهيم وجعل فيـه سرًّا عجيبًا جاذبًا للقلوب، فهي تحجه ولا تقضي منه وطرًا على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه وعظم ولعه وتوقه وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ فأجـاب الله دعـاءه، فصـار يجبـي إليه ثمرات كل شـيء، فإنـك تـرى مكـة المشـرفة كل وقـت والثمـار فيهـا متوفرة والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.

وقال ابن الجوزي (زاد المسـير): فـإن قيـل: مـا وجـه قولـه: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ ولـم يكـن هنـاك بيـت حينئـذ، إنمـا بنـاه إبـراهيم بعـد ذلـك بمـدَّة؟ فالجواب من ثلاثة وجوه:

أحدها: أن الله تعالى حرَّم موضع البيت منذ خلق السماوات والأرض، قاله ابن السائب.

والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرفَع أيام الطوفان.

والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث ها هنا.

ثم يواصل الخليل إبراهيم غ دعاءه ومناجاته لربِّه ๥ فيقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

وحاصله أن الخليل غ يقول: يا ربنا إنك تعلم ما نخفيه في صدورنا ولم نبح به لأحد تعلم يا رب نيتي من إقامة أهلي عند بيتك المحرم، وتعلم يا

رب ما نظهره من أعمالنا، لا يخفي يارب عليك شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

فهذا توسل من إبراهيم ﷺ بثنائه على الله وإقراره بعلم الله ﷻ، وكذا توسلٌ من إبراهيم بصالح نواياه ﷺ، أي: يارب أنت تعلم نيتي وقصدي وأنه خيرٌ فيا رب لا تخذلني، ويا رب استجب دعائي، ثم يُقدِّم حمدًا لله بعد الثناء على الله، قائلًا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ رزقني على كبر سني- فقد كان لا يولد له ﷺ – إسماعيل وإسحاق ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ في هذا دليل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو الله ﷻ بالذرية الصالحة، ثم يسأل إبراهيم ﷺ ربَّه ﷻ أن يعينه على المحافظة على إقامة الصلاة وعدم التخلي عنها، يسأل الله ذلك لنفسه ولذريته، قائلًا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ محافظًا عليها مداومًا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ أي: واجعل من ذريتي من هو مقيم للصلاة مداومًا عليها محافظًا.

هذا وقوله: «من» في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ إما أن تكون زائدة لتقوية الكلام، أي: واجعل ذريتي مقيمة للصلاة، أو تكون بمعنى (في) ويكون المعنى، وفي ذريتي إقامة الصلاة، وهذا إحسانًا للظنِّ بإبراهيم ﷺ إذ لا يتصور أنه يدعو ربَّه أن تكون بعض ذريته مقيمة للصلاة دون البعض. والله أعلم.

هذا، وقد قال تعالى عن إبراهيم وإسحاق ﷺ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾[الصافات: 113]، والله أعلم.

أما قوله: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ فمحتمل لأمرين:

أحدهما: وتقبل عبادتي وقرباتي التي أتقرب بها إليك.

والثاني: واستجب دعائي.

ثم يدعو إبراهيم ﷺ بالمغفرة بادئًا بنفسه ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى ﴾ ثم لوالديه

بقوله: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ وهذا قبل أن يعلم أن أباه عدوٌّ لله. أمَّا أمه فلم يرد أنه نُهي عن الدعاء لها، فالظاهر أنها كانت مسلمة ثم عمَّم الدعاء للمؤمنين بقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ أي: يوم القيامة عندما تحاسب الناس.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري $: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ الآية وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما تخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد، لأنك مدبره وخالقه، فكيف يخفى عليك.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

يقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر من السنّ ولدًا إسماعيل وإسحاق ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به، وقولي ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وغير ذلك من دعائي ودعاء غيري، وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

يقول: ربّ اجعلني مؤدّيا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها عليّ من الصلاة. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ يقول: واجعل أيضًا من ذريتي مقيمي الصلاة

لك.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ يقول: ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك. وهذا نظير الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ الدُّعاءَ هُوَ العِبَادَةُ**» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

وهذا دعاء من إبراهيم، صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما، وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن ﴿ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 114].

وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وللمؤمنين بك ممن تبعني على الدين الذي أنا عليه، فأطاعك في أمرك ونهيك. وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ يعني: يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهومًا معناه.

(220) أحمر
أسود

إبراهيم غ والبيت الحرام (1)

قال الله ٥: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿مَثَابَةً﴾	مرجعًا (يثوبون أي: يرجعون) -مجتمعًا- مكان يثابون عنده.
﴿وَأَمْنًا﴾	من الأمن أي: أمنًا من العدو فكان الرجل يلقى قاتل أبيه ولا يتعرض له بسوء في الحرم.
﴿وَعَهِدْنَآ﴾	أمرنا -أوحينا.
﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	المصلون.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

واذكر إذ جعلنا البيت، الذي هو البيت الحرام والذي منه مكة ومنى ومزدلفة، والذي منه أصالةً الكعبة إذ الله ٥ قال: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ...﴾، وقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

---

(1) وقد تقدمت بعض مباحث ذلك.

وفي معنى ﴿مَثَابَةً﴾ أقوال:

أحدها: أن معنى مثابة مرجعًا والمعنى يثوبون إليه أي: يرجعون إليه، والمعنى أنه جعله محلًّا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، فلا يكادون يقضون منه وطرًا حيث إنهم يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه فلا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطرًا.[1]

الثاني: مثابة أي مجتمعًا لاجتماع الناس عليه في الحج والعمرة.

الثالث: من الثواب أي أنهم يُثابون عنده وكل ذلك صحيح.

فالنفوس تتوق إلى المسجد الحرام الذي هو مجتمع للناس ثم إنهم يثابون هنالك فالعمرة والحج لهما عظيم الأجر والثواب، والصلاة هنالك بألف صلاة فيما سواه والطائف مأجورٌ على طوافه.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾ أي يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ وهذا خبرٌ ومعناه الأمر، والمعنى أمِّنوا أيها الناس من دخل الحرم ولا تعتدوا عليه ويحتمل أيضًا وصف الحال الذي آل إليه أمر الحرم وأمر الناس بعد تحريم الله له، فبعد أن عظم الله ۵ حرمة هذا البيت امتنع الناس عن ارتكاب المآثم فيه، ومن ثمَّ حلَّ الأمن والأمان قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾.

(1) من قولهم ثاب فلان إلى رشده أي رجع إلى عقله وإلى الرشيد من أمره.

مقام إبراهيم غ
والأمر باتخاذه مُصلى

قال الله ٥ : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾.

أما عن المراد بمقام إبراهيم غ الذي أُمر الناس أن يتخذوه مُصلى فللعلماء فيه أقوال:

الأول: أن المراد بمقام إبراهيم غ هو الحرم كله.

الثاني: أن المراد بمقام إبراهيم غ الحج كله (الطواف بالبيت والوقوف بعرفة وبمزدلفة وبمنى ورمي الجمار والسعي بين الصفا والمروة)، والمراد أن الناس أمروا أن يتخذوا الأماكن التي قام بها إبراهيم ودعا بها مواطن يصلُّون (أي: يدعون الله) فيها كما فعل إمامهم إبراهيم غ.

الثالث: وهو الصحيح: أن المراد بمقام إبراهيم غ هو الحجر الذي كان إبراهيم غ يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل غ به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار وكلما كمل ناحية انتقل إلى الناحية الأخرى يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها، وهكذا حتى تم جدران الكعبة.

كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير $ واختار هذا القول(1) وقال: وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه ولم يزل هذا معروفًا تعرفه العرب في جاهليتها ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبةً … على قدميه حافيًا غير ناعل

---

(1) **وزاد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:** أن هذا الحجر كان ملصقًا بالكعبة وأن الذي أخره إلى موطنه الذي هو فيه الآن هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ف، وأورد بعض الأسانيد بذلك وقال: فهذه الآثار متعاضدة على ما ذكرناه.

وقد أدرك المسلمون ذلك فيه كما قال عبد الله بن وهب: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك(1) حدثهم قال: رأيت المقام فيه أصابعه ﻍ وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

قلت: ويتأيد ما ذكره الحافظ ابن كثير ﺥ من أن المقام هو الحَجَر ما أخرجه البخاري(2) من حديث عمرو بن دينار قال: سألنا ابن عمر ﭭ أيقع الرجل على امرأته في العمرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة؟ قال: «قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت ثم صلى خلف المقام ركعتين وطاف بين الصفا والمروة».

وأخرج مسلم(3)ﺥ من حديث جابر بن عبد الله ﭭ في وصف حجة النبي ﷺ وفيه... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم ﻍ فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: 125] فجعل المقام بينه وبين البيت.

فقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ أمرٌ من الله ﻷ لعباده أن يصلوا خلف مقام إبراهيم ﻍ.

وعن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ فقد أخرج البخاري(4) من حديث أنس ﭬ قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصلى فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: 125]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب، واجتمع

---

(1) إسناده صحيح إلى أنس ﭬ.
(2) أخرجه البخاري (حديث 1623).
(3) أخرجه مسلم (حديث 1218).
(4) البخاري حديث (402).

نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5]، فنزلت هذه الآية.

هذا، وعند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ أورد الطبري[1] بإسناد حسن عن قتادة قال: أمروا أن يصلوا عنده[2].

ومن العلماء من قال: إن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125] أي: مُدعى يدعون عنده، وصليت هنا بمعنى: دعوت، قال ابن جرير الطبري $: وقائلوا هذه المقالة هم الذين قالوا: إن مقام إبراهيم هو الحج كله، فكان معناه في تأويل هذه الآية: واتخذوا عرفة والمزدلفة والمشعر والجمار وسائر أماكن الحج التي كان إبراهيم يقوم بها مداعي تدعوني عندها وتأتمون بإبراهيم خليلي غ فيها فإني قد جعلته لمن بعده من أوليائي وأهل طاعتي إمامًا يقتدون به وبآثاره فاقتدوا به.

وأما تأويل قائلي القول الآخر فإنه: اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده عبادة منكم وتكرمة مني لإبراهيم، وهذا القول هو أولى بالصواب لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب[3]، وجابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ.

وترد هنا بعض المسائل والتنبيهات:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ معطوف على ماذا؟

وجوابه: أنه قد قيل: إنه معطوف على قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ

---

(1) أخرجه الطبري (أثر رقم 2000) وعنده زيادة: ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

(2) أخرجه الطبري (2005) بإسناد حسن عن قتادة.

(3) يعني قول عمر ﺏ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، وقد أخرجه الطبري بإسناد صحيح رقم (1985) وهو في الصحيح كذلك.

﴿أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 122]، فالمعنى: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، والله أعلم.

وقيل: عطف على قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: 124]، قال الرازي: والمعنى: أنه لما ابتلاه بكلمات وأتمهن قال له جزاء لما فعله من ذلك: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: 124]، وقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: 125]، ويجوز أن يكون أمر بهذا ولده إلا أنه تعالى أضمر قوله: (وقال)، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف: 171].

وقيل: إن هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم غ وكأن وجهه ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ﴾ [البقرة: 125] أنتم ﴿مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾، والتقدير أنه لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنًا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم....، والله أعلم.

الثاني: ركعتا الطواف هل هما فرضٌ أم سُنَّة؟

وجوابه: إذا كان الطواف تطوعًا فركعتاه تطوعًا أيضًا، وإذا كان الطواف فرضًا فللعلماء في ركعتيه قولان:

أحدهما: أنها (أي: الركعتان) فرض لكون النبي ﷺ صلاهما، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»**(1).

والثاني: أنهما نفلٌ كذلك، لأن النبي ﷺ لما سأله الأعرابي عن الصلوات قال: **«خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»**، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها، قال: **«لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعْ»** قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص فقال النبي ﷺ: **«أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ »**، والله تعالى أعلم.

(1) أخرجه البخاري (حديث 1598)، ومسلم (حديث 1329).

(226) أحمر
أسود

تنبيه: لا يشرع مسح مقام إبراهيم غ إذ لم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا نقل -فيما علمت- بإسناد صحيح عن أحدٍ من أصحابه، وأما ما تقدم عن أنس أنه قال: رأيت المقام فيه أصابعه غ وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

فليس فيه أن أنسًا فعل ذلك ولا أن هؤلاء الناس فعلوا ذلك بأمر من رسول الله ﷺ.

وقد قال قتادة $ كما روى عنه ذلك بسند حسن عند ابن جرير الطبري $: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: 125] إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، وقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ما تكلفته الأمم قبلها.

NNO PMM

أمر الله ٥ إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

حاصل معناه وأمرنا إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا المسجد الحرام للطائفين والعاكفين والركع السجود!

فإن طُرح ها هنا سؤال حاصله:

هل كان هناك شيء عند البيت مما أمر إبراهيم بتطهير البيت منه؟

فأقول ذكر بعض أهل العلم أنه كان عند البيت بقايا أصنام كان يعبدها قوم نوح ومن بعدهم فأمر إبراهيم غ أن يطهر البيت منها كما فعل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة حيث طهرها من الأصنام التي كانت بها، وقد أخرج البخاري(1) من حديث ابن مسعود ف قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81] و﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49]»، وأخرجه مسلم(2).

وأخرج البخاري(3) من حديث ابن عباس ق أن النبي ﷺ لما رأى الصُّور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل ث بأيديهما الأزلام فقال: **«قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلاَمِ قَطُّ»**.

فعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: 125]

---

(1) حديث (4720).
(2) مسلم (حديث 1781).
(3) البخاري (3352).

طهره مما به من بقايا الأصنام والأوثان.

وثمَّ قول آخر وهو: ابنيا بيتي مطهرًا من الشرك، وأسساه على التوحيد كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[التوبة: 109].

وقول ثالث: امنعا من أراد أن يشرك بالله عند البيت أو أن يقول الزور عنده كما جاء فيما رواه البخاري(1) من حديث أبي هريرة ف قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

وقول رابع: طهراه مما به من أذى وقذر ودنس وأوساخ يحدثها الناس فيه ونظفاه من هذا كله.

وينتظم معنى الآية الكريمة كل ما ذُكر، والله تعالى أعلم.

أما الطائفون الذين أمر إبراهيم ع بأن يطهر البيت لهم فعلى الصحيح هم الذين يطوفون بالبيت، ومن العلماء من قال: إن الطائفين هم الذين أتوا إلى البيت من غَرْبةٍ، والقول الأول أولى بالصواب.

أما العاكفون فهم المعتكفون فيه، ومن العلماء من قال: إن المراد بالعاكفين أهل البلد الحرام «وهم المجاورون للبيت الحرام»، والقول الأول أولى بالصواب، والله أعلم.

أما الركع السجود(2) فهم المصلون، والله تعالى أعلم.

---

(1) البخاري (4655) ومسلم (1347).

(2) أخرجه الطبري (2025) بإسنادٍ حسن عن قتادة أنه قال: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ هم أهل الصلاة، الله أعلم.

هذا، ولم يذكر القيام لأنه لا ركوع إلا بعد قيام وأيضًا فسيأتي إن شاء الله في سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

ومما ورد في البيت والمقام أيضًا من سورة آل عمران

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾.

وعن معاني مفردات الآيات فها هي:

الكلمة	معناها
﴿بِبَكَّةَ﴾	قيل: إن بكة هي مكة، وقيل: إن بكة هي الكعبة وما حولها من المسجد، وأما مكة فهي عموم البلد الحرام، وقيل: إنه قيل لبكة بكة من الازدحام الذي يكون حول الحرم.
﴿مُبَارَكٗا﴾	البركة هي ثبوت الخير في الشيء، وتطلق على النمو والازدياد.

المعنى الإجمالي، والله أعلم، إن أول مسجدٍ وضع للناس كي يعبدوا ربهم ﻷ عنده ويعتكفون عنده ويطوفون حوله للبيت الحرام (الكعبة) التي هي بمكة.

ففي الحديث عن أبي ذر ﭬ أنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ عَلَى الأَرْضِ أَوَّلا؟ قَالَ: **«الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»**. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»**، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: **«أَرْبَعُونَ سَنَةً»**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **«ثُمَّ حَيْثُ أَدْرَكَتْ الصلَاةَ فَصَلِّ، فَكُلُّهَا مَسْجِدٌ»**(1).

(1) أخرجه البخاري (3425) ومسلم (520).

ومن وجوه بركته مضاعفة ثواب الصلاة فيه فالصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجد.

۞ **ومنها:** الأجر الذي أُعد للطائفين والحاجين والمعتمرين.

۞ **ومنها:** تواجد زمزم، فماؤها طعام طعم وشفاء سقم.

۞ **ومنها:** ما دعا به إبراهيم الخليل لمكة أن يبارك الله في ثمارها ومدها وصاعها، إلى غير ذلك، والله أعلم.

أما عن وجوه الهداية فيه فمنها أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم.

أن به دلائل وآيات تدل على الخالق سبحانه وتعالى.

أنه هدى للعالمين إلى الجنة.

أما المراد بالعالمين هنا فهم البشر فيما يظهر والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ أي دلالات وعلامات واضحات، فهي دلالات وعلامات على قدرة الله ۵، ودلالات وعلامات على أن الذي بناه إنما هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أما الآيات البينات فمنها مقام إبراهيم غ، والمراد به هنا الصخرة التي كان إبراهيم غ يقف عليها حتى يتمم بناء الكعبة من أعلى، فكان فيه أثر قدم إبراهيم غ (1)، وهذا مما يدل على أن الذي بناه إبراهيم غ.

ثم من الآيات البينات تعظيم الله ۵ لمن دخل هذا البيت وأمره سبحانه بتأمين من دخل البيت، فكان الرجل يدخل مكة فيرى فيها قاتل أبيه وقاتل أخيه ولا يتعرض له بسوء.

NNO PMM

(1) كما ذُكر عن أبي طالب في لاميته:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيًا غير ناعل

دعاء إبراهيم غ لمكة وأهلها

قـــال الله ٥: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وعن مفردات الآيات المباركات فها هي:

الكلمة	معناها
﴿أَضْطَرُّهُۥٓ﴾	أسوقه -أُلْجئه -أدفعه.
﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	الموضع الذي يصير إليه الكافر.

وعن المعنى إجمالاً:

فأقول -وبالله التوفيق-: هكذا دعا إبراهيم خليل الرحمن لمكة وأهلها.

دعا الله أن يجعلها بلدة آمنة.

ودعا الله ٥ أن يرزق المؤمنين منهم بالله واليوم الآخر من الثمرات.

وقد تحققت دعوة إبراهيم غ:

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران: 97].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [النمل: 91].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: 67].

وقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: 1- 4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى

تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل: 1- 5]، وقول النبي ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلَاحَ**»(1).

هذا، وقد ورد عن إبراهيم ﻍ دعاءان لمكة في باب واحد.

الأول: قوله ﻍ ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: 126].

والثاني: قوله ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: 35].

وعن الجمع بينهما أقول وبالله التوفيق:

من العلماء من لا يُفرِّق بين هاتين الدعوتين من إبراهيم ﻍ ويقول: إنما هو تفنن في أسلوب الخطاب، والمعنى: رب اجعل هذا البلد بلدًا آمنًا.

وبعض العلماء يُفرِّق فيقول: إن مكة كانت واديًا قبل أن تكون بلدًا كما قال الخليل إبراهيم ﻍ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: 37]، فدعا إبراهيم ﻍ لهذا الوادي أن يكون بلدًا بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾ [البقرة: 126]، فلما استجيب دعاؤه طلب مزيدًا من الأمن لهذا البلد فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: 35]، والله تعالى أعلم.

هذا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا**».

هذا، ولأهل العلم في بيان القائل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

قولان:

أولاهما وأصحهما: أن هذا قول الله ۵ وبيانه أن إبراهيم ﻍ أراد أن يحجر الدعوة بالرزق للمؤمنين دون الكافرين فأجابه الله ۵ بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ

---

(1) مسلم (1356).

﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126]، والمعنى: ومن كفر فإني أرزقه أيضًا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير، وهي كقوله تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: 20]، والآيات التي على شاكلتها.

والثاني: أن هذا هو قول إبراهيم غ، وتكون القراءة فأمتعه قليلًا ثم اضطره... بمعنى الطلب من الله ٥، والقول الأول أصح وأولى، والله تعالى أعلم.

NNO PMM

بناء الكعبة

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

المعنى -والله أعلم-: واذكر يا رسول الله لقومك ولأهل الكتاب وللناس أجمعين، اذكر لهم رفع إبراهيم غ لقواعد الكعبة (1) وأُسسها التي تأسست عليها اذكر لهم ذلك واذكر لهم دعاء إبراهيم وإسماعيل وهما يسألان الله ٥ القبول قائلين ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وهنا تبدو تساؤلات:

منها هل هذه القواعد التي رفعها إبراهيم غ وإسماعيل كانت مبنية ولكنها قصيرة فرفعها إبراهيم وإسماعيل؟

أم أنها لم تكن موجودة أصلًا وبناها إبراهيم غ ؟.

وإن كانت موجودة من قبل فمن الذي بناها؟

فأقول -وبالله التوفيق-: لأهل العلم في ذلك أكثر من قول:

فقد ذهب فريق منهم إلى أنها كانت موجودة قبلهما «أي قبل إبراهيم وإسماعيل ث » وأن الذي بناها آدم غ.

وذهب فريق آخر إلى أنها كانت موجودة، وأنها قواعد بيتٍ أهبطه الله ٥ مع آدم غ.

وذهب فريق ثالث إلى أنها لم تكن موجودة ولكن إبراهيم غ بناها.

أما عن الذي يحضرني من الاستدلالات في هذا المقام فمنه قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

---

(1) نقل ابن عطية في تفسيره الإجماع على أن المراد بالبيت هنا الكعبة.

﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ وكذا يحضرني في هذا المقام ما أخرجه البخاري من أثرٍ.

عن ابن عباس ڤ في قصة هاجر وزمزم، وقد تقدم بتفصيل وفيه... أن الملك قال لها: لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبني هذا البيت هذا الغلامُ وأبوه، وإن الله لن يُضيع أهله، وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله.

قلت (مصطفى): هكذا أخرجه البخاري في موطن من صحيحه[1] وفي الموطن الذي يليه[2] أن إبراهيم غ قال لإسماعيل غ: يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا! قال: أطع ربك قال: إنه أمرني أن تُعينني عليه، قال: إذن أفعل أو كما قال، قال: فقاما فجعل إبراهيم غ يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

قلت (مصطفى): فيظهر من قول ابن عباس ڤ:

الأول: وهو موقوف[3] إذ قال: وكان البيت مرتفعًا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، يظهرمن ذلك أن البيت كان موجودًا قبل إبراهيم غ، وإنما رفع إبراهيم وإسماعيل ث قواعده (أُسسه) وهذا يتأيد بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾.

ولا تعارض بينه وبين ما ورد عن ابن عباس ڤ في الوجه الثاني الذي فيه أن الخليل غ قال لإسماعيل: إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا....

فرفع البيت يُعدُّ بناءً أيضًا، والله أعلم.

أما من الذي بناه قبل إبراهيم غ، فقد قدمت بعض أقوال العلماء في

---

(1) البخاري (3364).

(2) البخاري (3365).

(3) وفي بعض فقراته أن ابن عباس ڤ قال: قال النبي ﷺ أعني في بعض فقرات الأثر، وليست الجملة التي ذكرتها.

ذلك، وأورد هنا قول الطبري $ فقد قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل، رفعا القواعد من البيت الحرام، وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك كان القُبة التي ذكرها عطاء، مما أنشأه الله من زبد الماء. وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء. وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأيِّ ذلك كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض. ولا خبر بذلك تقوم به الحجة فيجب التسليم لها، ولا هو إذ لم يكن به خبر، على ما وصفنا مما يدل عليه بالاستدلال والمقاييس، فيمثل بغيره، ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد، فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا والله تعالى أعلم.

وهنا يُطرح سؤال حاصله هل الكعبة على حالها الآن مبنية على قواعد إبراهيم غ ؟

فأقول -وبالله التوفيق-: الذي من البيت على قواعد إبراهيم غ الآن إنما هما ركنان فقط الركن الذي فيه الحجر الأسود، والركن اليماني، وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ، فلما جاء ابن الزبير ڤ ردها على قواعد إبراهيم لما أخبرته عائشة ڤ بأن هذه كانت رغبة رسول الله ﷺ، لولا حدثان عهد الناس بالجاهلية والكفر.

ثم لما جاء عبد الملك بن مروان ردها إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ، يدل على هذا كله ما يلي:

ما أخرجه البخاري(1) ومسلم من حديث عائشة ڤ أن رسول الله ﷺ

---

(1) أخرجه البخاري (حديث 3368)، ومسلم (حديث 1333).

قال لها: «**أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوُا الْكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ**» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ**» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: لَئِنْ كَانَتْ عَائِشَةُ سَمِعَتْ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا أُرَى رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ اسْتِلَامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَيْنِ يَلِيَانِ الْحِجْرَ إِلَّا أَنَّ الْبَيْتَ لَمْ يَتِمَّ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ.

وقال الإمام مسلم $ ص ▮△◇ فما بعدها:

حدثنا هناد بن السري. حدثنا ابن أبي زائدة، أخبرني ابن أبي سليمان عن عطاء. قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان، تركه ابن الزبير. حتى قدم الناس الموسم.

يريد أن يجرئهم (أو يحربهم) (1) على أهل الشام فلما صدر الناس قال:

يا أيها الناس! اشيروا علي في الكعبة. أنقضها ثم أبني بناءها. أو أصلح ما وهي منها؟ قال ابن عباس: فإني قد فرق لي رأي فيها(2). أرى أن تصلح ما وهي منها. وتدع بيتًا أسلم الناس عليه. وأحجارًا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي ﷺ، فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته،

---

(1) (يجرئهم أو يحربهم) من الجراءة أي: يشجعهم على قتالهم، بإظهار قبح فعالهم. هذا هو المشهور في ضبطه. قال القاضي: ورواه العذري: يجربهم، ومعناه: يختبرهم وينظر ما عندهم في ذلك من حمية وغضب لله تعالى ولبيته. ومعنى يحربهم، أي: يغيظهم بما يرونه قد فعل بالبيت، من قولهم: حربت الأسد، إذا أغضبته، قال القاضي: وقد يكون معناه: يحملهم على الحرب ويحرضهم عليها ويؤكد عزائمهم لذلك. قال: ورواه آخرون: يحزبهم أي يشد قوتهم ويميلهم إليه ويجعلهم حزبًا له وناصرين له على مخالفيه، وحزب الرجل من مال إليه. وتحازب القوم تمالئوا.

(2) (قد فرق لي رأي فيها) أي: كشف وبيّن. قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾، أي: فصلناه وبيناه. هذا هو الصواب في ضبط هذه اللفظة ومعناها. وهكذا ضبطها القاضي والمحققون.

ما رضي حتى يجده(1)، فكيف بيت ربكم؟ إني مستخير ربي ثلاثًا، ثم عازمٌ على أمري، فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها، فتحاماه الناس أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء. حتى صعده رجلٌ فألقى منه حجارة. فلما لم يره الناس أصابه شيءٌ تتابعوا(2). فنقضوه حتى بلغوا به الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة. فستر عليها الستور(3). حتى ارتفع بناؤه.

وقال ابن الزبير: إني سمعت عائشة تقول: إن النبي ﷺ قال: **«أَنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ مَا يُقَوِّي عَلَى بِنَائِهِ، لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ خَمْسَ أَذْرُعٍ، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ »**.

قال: فأنا اليوم أجد ما أنفق، ولست أخاف الناس. قال: فزاد فيه خمس أذرع من الحجر. حتى أبدى أُسًّا(4) نظر الناس إليه. فبنى عليه البناء. وكان طول الكعبة ثماني عشرة ذراعًا، فلما زاد فيه استقصره. فزاد في طوله عشر أذرع. وجعل له بابين: أحدهما يدخل منه، والآخر يخرج منه. فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك. ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسٍّ نظر إليه العدول من أهل

---

(1) (يجده) أي: يجعله جديدًا.

(2) (تتابعوا) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا، وكذا ذكره القاضي عن رواية الأكثرين. وعن أبي بحر: تتابعوا. وهو بمعناه. إلا أن أكثر ما يستعمل، تتابعوا، في الشر خاصة، وليس هذا موضعه.

(3) (فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور) المقصود بهذه الأعمدة والستور أن يستقبلها المصلون في تلك الأيام ويعرفوا موضع الكعبة. ولم تزل تلك الستور حتى ارتفع البناء وصار مشاهدًا للناس فأزالها. لحصول المقصود بالبناء المرتفع من الكعبة. (من التعليق على مسلم).

(4) (حتى أبدى أسًّا) أي: حفر من أرض الحجر ذلك المقدار إلى أن بلغ أساس البيت الذي أسس عليه إبراهيم عليه السلام حتى أري الناس أساسه. فنظروا إليه فبني البناء عليه.

مكة. فكتب إليه عبد الملك: إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير[1] في شيء. أما ما زاد في طوله فأقره. وأما ما زاد فيه من الحجر فرده إلى بنائه.

وسد الباب الذي فتحه. فنقضه وأعاده إلى بنائه.

حدثني محمد بن حاتم. حدثنا محمد بن بكر. أخبرنا ابن جريج. قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير والوليد بن عطاء يحدثان عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة. قال عبد الله بن عبيد: وفد الحارث بن عبد الله على عبد الملك ابن مروان في خلافته. فقال عبد الملك: ما أظن أبا خبيب (يعني ابن الزبير) سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها. قال الحارث: بلى! أنا سمعته منها. قال: سمعتها تقول ماذا؟ قال: قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ قَوْمَكِ اسْتَقْصَرُوا مِنْ بُنْيَانِ الْبَيْتِ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشِّرْكِ، أَعَدْتُ مَا تَرَكُوا مِنْهُ، فَإِنْ بَدَا لِقَوْمِكِ[2]،مِنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمِّي[3] لِأُرِيَكِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ»**. فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ، هَذَا حَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدٍ، وَزَادَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ فِي الْأَرْضِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا، وَهَلْ تَدْرِينَ لِمَ كَانَ قَوْمُكِ رَفَعُوا بَابَهَا؟»**: قَالَتْ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: **«تَعَزُّزًا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا، فَكَانَ**

---

(1) (إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير) يريد بذلك سبه وعيب فعله. يقال: لطخته، أي: رميته بأمر قبيح. يعني: إنَّا برآء مما لوثه بما اعتمده من هدم الكعبة.

(2) (فإن بدا لقومك) يقال: بدا له في الأمر بداء، بالمد أي: حدث له فيه رأي لم يكن. وهو ذو بدوات، أي يتغير رأيه. والبداء محال على الله تعالى، بخلاف النسخ. قاله النووي.

(3) (فهلمي) هذا جار على إحدى اللغتين في هلم. قال الجوهري: تقول: هلمَّ يا رجل، بفتح الميم بمعنى: تعال. قال الخليل: أصله لُمّ. من قولك: لم الله شعثه، أي: جمعه. كأنه أراد لم نفسك إلينا، أي: أقرب. وها للتنبيه. وحذفت ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسمًا واحدًا يستوي في الواحد والاثنان والجمع والمؤنث. فيقال، في الجماعة: هلم. هذه لغة أهل الحجاز. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: 18]. وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين: هلما. وللمرأة هلمي. وللنساء: هلممن. والأولى أفصح. هذا كلام الجوهري.

الرَّجُلُ إِذَا هُوَ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا يَدَعُونَهُ يَرْتَقِي، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَدْخُلَ[1] دَفَعُوهُ فَسَقَطَ».

قال عبد الملك للحارث: أنت سمعتها تقول هذا؟ قال: نعم. قال: فنكت ساعة بعصاه[2] ثم قال: وددت أني تركته وما تحمل.

وحدثناه محمد بن عمرو بن جبلة. حدثنا أبو عاصم. ح وحدثنا عبد بن حميد. أخبرنا عبد الرزاق. كلاهما عن ابن جريج، بهذا الإسناد، مثل حديث ابن بكر.

وحدثني محمد بن حاتم، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي. حدثنا حاتم بن أبي صغيرة عن أبي قزعة؛ أن عبد الملك بن مروان، بينما هو يطوف بالبيت إذ قال: قاتل الله ابن الزبير! حيث يكذب على أم المؤمنين، يقول: سمعتها تقول: قال رسول الله ﷺ: **«يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّى أَزِيدَ فِيهَا مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرُوا فِي الْبِنَاءِ»** فقال الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة: لا تقل هذا. يا أمير المؤمنين! فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا.

قال: لو كنت سمعته قبل أن أهدمه، لتركته على ما بنى ابن الزبير.

وقال الحافظ ابن كثير خ بعد أن ذكر هذه الآثار:

فهذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة، لأنه قد روي عنها من طرق صحيحة متعددة عن الأسود بن يزيد والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير، فدل

---

(1) (كاد أن يدخل) هكذا هو في النسخ كلها كاد أن يدخل. وفيه حجة لجواز دخول أن بعد كاد. وقد كثر ذلك. وهي لغة فصيحة. لكن الأشهر عدمه.

(2) (فنكت ساعة بعصاه) أي بحث بطرفها في الأرض. وهذه عادة من تفكر في أمر مهم. قاله النووي.

هذا على صواب ما فعله ابن الزبير، فلو ترك لكان جيدًا ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكًا عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال لـه مالـك: يـا أميـر المـؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد، نقلـه عيـاض والنـووي، ولا تـزال – والله أعلـم – هكـذا إلـى آخـر الزمـان إلـى أن يخربهـا ذو السـويقتين مـن الحبشـة، كمـا ثبـت ذلـك فـي الصحيحين عن أبـي هريـرة قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **«يُخَـرِّبُ الْكَعْبَـةَ ذُو السُّوَيقتين مِنَ الْحَبَشَةِ»**.

وقال الحافظ ابن حجر $ (فتح الباري ▭/ ◇◇◇):

فائدة: في البيت أربعة أركان: الأول له فضيلتان: كون الحجـر الأسـود فيه وكونه على قواعد إبراهيم، وللثاني الثانيـة فقط ولـيس للآخـرين شـيء منهما، فلذلك يُقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يُقبل الآخـران ولا يسـتلمان هذا على رأي الجمهور، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضًا(1).

قلت: فعلى هذا صورة الكعبة الآن كالتالي:

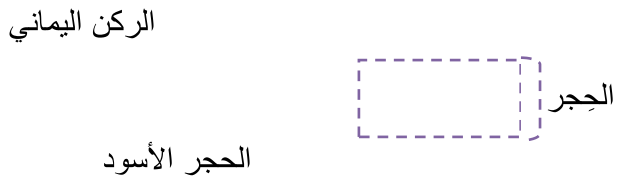

الركن الذي به الحجـر الأسـود، والـركن اليمـاني كلاهمـا علـى قواعد إبراهيم غ أما الآخران فلا، والله أعلم.

(1) لم يرد أن النبي ﷺ قبّل الركن اليماني.

دعاء إبراهيم وإسماعيل ث لأنفسهما وذريتهما، ودعاؤهما أن يبعث الله ٥ رسولاً كريمًا من مكة لأهلها

قال الخليل وولده إسماعيل ث: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

الكلمة	معناها
﴿مُسْلِمَيْنِ﴾	مستسلمين -خاضعين - طائعين.
﴿أُمَّةً﴾	جماعة.
﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾	بيِّن لنا أعمال حجنا -ضح لنا أماكن الذبح -لمنا طرق عبادتك وشرائع دينك.
﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾	هو القرآن.
﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾(1)	قيل: هي السنة، وقيل: هي الفقه في الدين -وتطلق أيضًا على الإصابة في القول والعمل وعلى وضع الشيء في موضعه.
﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾	يطهرهم من الشرك والأدناس وقول الزور.

وعن معنى ما سبق أقول، -بالله التوفيق-: يواصل إبراهيم وإسماعيل

(1) الحكمة ورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هي السنة، أخرجه الطبري (2078)، وورد عن مالك بإسناد صحيح عند الطبري (2079) قال في الحكمة: المعرفة بالدين والفقه في الدين والاتباع له.

ث الدعاء لأنفسهما وذريتهما بقولهما ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ أي مستسلمين خاضعين لك سامعين مطيعين لك وكذا مُوحدين لك مُخلصين لك، طلبا ث من ربهما الثبات على التوحيد والإسلام والإخلاص والطاعة فالمثبت من ثبته الله ٥ وكذا سألاه أن يوفقهما لمزيد من الطاعة والاستسلام والامتثال.

ودعوا كذلك لذريتهما بقولهما ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ خصَّا ذريتهما بالدعاء هنا لأنهم أحق بالشفقة من غيرهم، وقد قال تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾. وكذا فإن أولاد الأنبياء إذا صلحوا كانوا أئمة في الخير يُقتدى بهم.

أما قولهما: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

قيل في المراد بالمناسك هنا أعمال الحج، وقيل هو مواطن الذبح، وقيل هي عموم العبادة.

وقد روى الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة(1) قال: قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: 128]. فأراهما الله مناسكهما: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والإفاضة من عرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين، أو دينه.

وقال الطبري $: وأما «المناسك» فإنها جمع «مَنْسِك»، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح: إمَّا بذبح ذبيحة له، وإما بصَلاةٍ أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. ولذلك قيل لمشاعر الحج: «مناسكه» لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها.

ثم يواصل الخليل وإسماعيل ث دعاءهما بقولهما ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآ﴾ هكذا سألا الله أن يتوب عليهما، وهل كانت لهما ذنوب حتى يسألا الله ذلك.

(1) الطبري (2063).

أجاب على ذلك بعض العلماء بقولهم: إن كل شخص له ذنوب فيما بينه وبين الله ٥، ودل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: «**لَوْلا أنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ**»، وفي رواية: «**لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ**»(1).

وقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغْفَرُ لَهُمْ**»(2).

وكما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ لَا مَحَالَةَ: فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمِنْطَقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**»(3).

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: 45].

ومن العلماء من قال: إن إبراهيم وإسماعيل ث دعوا بهذا الدعاء ليكون بمثابة التشريع لمن بعدهما أن يقتدوا بهما ويدعون ربهم في هذا الموطن كما دعاه فيه إبراهيم وإسماعيل.

ومنهم من قال: إن هذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل ث لذريتهما.

ومن العلماء من قال: إنما أراد إبراهيم وإسماعيل الثبات على الدين، والله أعلم.

وهنا نورد قول الطبري خ -قال خ -: فإن قال لنا قائل: وهل كان لهما

---

(1) كلا الروايتين عند مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري ؤ مرفوعًا (حديث (2748).

(2) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ؤ مرفوعًا (حديث 2749).

(3) أخرجه البخاري (حديث 6612)، ومسلم (حديث 2657) من حديث أبي هريرة ؤ مرفوعًا، وفي لفظ المسلم: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زناها الخطا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**».

ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة؟

قيل: إنه ليس أحدٌ من خلق الله، إلَّا وله من العمل – فيما بينه وبين ربه – ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ، فجائزٌ أن يكون ما كان من قِيلهما ما قالا من ذلك، إنما خَصَّا به الحال التي كانا عليها، من رفع قواعد البيت، لأن ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيب الله فيها دُعاءهما، وليجعلا مَا فَعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله، وجائز أن يكونا عَنيَا بقولهما: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ [البقرة: 128]، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا -الذين أعلمتنا أمرهم- من ظُلمهم وشركهم، حتى يُنيبوا إلى طاعتك، فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما، والمعنيُّ به ذريتهما، كما يُقال: «أكرمني فلان في ولدي وأهلي وبرَّني فلان» إذا برَّ ولده.

ويتوسل الخليل وولده إسماعيل ث ببعض أسماء الله الحسنى فيقولان ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال الطبري في معناه: وأما قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128] فإنه يعني به إنك أنت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران -الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك.

إجابة دعوة إبراهيم وإسماعيل ث

وقول النبي ﷺ «أنا دعوة أبي إبراهيم»

يواصل الخليل وصادق الوعد إسماعيل ث الدعاء لأهل مكة ولذريتهما بقولهما: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وقد استجاب الله ٥ دعوتهما، ودلَّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: 164]

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [الجمعة: 2]. وهذا الرسول هو محمد ﷺ، وقد قال ﷺ: **«أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»**.

أي تحققت، وها أنا ذا وجه تحققها. والله أعلم.

نبي الله إبراهيم ﵇ يُنهي عن الشرك
ويؤمر بتطهير المسجد الحرام ويؤمر أن يؤذن في الناس بالحج

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿بَوَّأۡنَا﴾	أنزلنا -هيَّأْنا - وضحنا -أظهرنا.
﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾	القائمين في صلاتهم.
﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾	نادِ في الناس أن الله كتب عليكم الحج.
﴿رِجَالٗا﴾	على أرجلهم.
﴿ضَامِرٖ﴾	الإبل المضمرة هي التي أُعدت للسفر فأُطعمت طعامًا معينًا وحبست لتقوى على السير، وقيل: المراد الإبل الهزيلة من طول السفر.
﴿فَجٍّ عَمِيقٖ﴾	طريق بعيد.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

المعنى -والله أعلم-: واذكر يا رسول الله إذ أنزلنا إبراهيم ﵇ بمكة عند المكان الذي فيه البيت الحرام، وأرشدناه إلى مكان البيت وبيَّناه له وأذنَّا له في بنائه، وعهدنا إليه عهدًا أن يبني البيت على اسم الله وحده، وكي يُعبد الله ﷻ وحده، وحذرنا إبراهيم ﵇، وغيره له تبع من الشرك وأمرناه أن يطهر هذا البيت، يطهره من الشرك والبدع والخرافات والمحدثات

والقاذورات إن اعتراه شيء من ذلك.

طهراه ونظفاه للطائفين الذين يريدون الطواف بالكعبة إذ هي البيت كما قال تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: 97]، وكذا طهراه لمن يريد الصلاة فيه بما فيها من ركوع وسجود وقيام.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مُعْلِمَه عظيم ما ركب من قومه قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله ﷺ ببنائه وتطهيره من الآفات والرِّيَب والشرك: واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم، يعني بقوله: ﴿بَوَّأْنَا﴾ وطأنا له مكان البيت.

ثم قال $: يعني بالبيت: الكعبة ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ في عبادتك إياي ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ الذي بنيته من عبادة الأوثان، قوله: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ يعني: للطائفين به والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام في صلاتهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: القائم والراكع والساجد هو المصلي والطائف هو الذي يطوف به، وقوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ يقول: والركع السجود في صلاتهم حول البيت.

وقال الحافظ ابن كثير $: هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أُسِّستْ من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بَوَّأ إبراهيم مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلمه له، وأذن له في بنائه.

واستدل به كثير ممن قال: «إن إبراهيم غ، هو أول من بني البيت

العتيق، وأنه لم يبن قَبْلَه، وكما ثبت في الصحيح(1) عن أبي ذر قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ عَلَى الأَرْضِ أَوَّلا؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً».

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾الآية [آل عمران: 96، 97]، وقال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

وقال تعالى ها هنا: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ أي: ابْنه على اسمي وحدي، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ قال مجاهد وقتادة: من الشرك، ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ أي: اجعله خالصًا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له.

فالطائف به معروف، وهو أخص العبادات عند البيت، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها، ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ أي: في الصلاة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ فقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه في غالب الأحوال، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب، وفي النافلة في السفر، والله أعلم».

قال: أذّن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا -قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون. وفي لفظٍ آخر عن ابن عباس قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذّن في الناس بالحجّ، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتًا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبَّيك اللهم لبَّيك.

(1) البخاري (3366)، ومسلم (221/ 520).

وفي لفظ ثالث: قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبَّيك اللهمّ لبَّيك. وبالجملة فهذه تصح بمجموعها عن ابن عباس ﭭ.

وأورد بإسناد حسن عن سعيد بن جُبير: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ قال: وقرت في قلب كل ذكر وأنثى.

وبإسنادٍ يصحح عن عكرمة بن خالد المخزومي قال: لما فرغ إبراهيم ﵇ من بناء البيت، قام على المقام، فنادى نداء سمعه أهل الأرض: إن ربكم قد بنى لكم بيتًا فحجوه، قال داود: فأرجو من حجّ اليوم من إجابة إبراهيم ﵇.

ثم قال: وقال آخرون في ذلك.

ثم أورد أثر مجاهد قال: قيل لإبراهيم، أذن في الناس بالحجّ، قال: يا ربّ كيف أقول؟ قال: قل لبيك اللهمّ لبيك. قال: فكانت أول التلبية.

وسنده صحيح إلى مجاهد وأورد آثارًا في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ يعني: مشاة، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ﴾ (الإبل)، و﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ من كل مكان بعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾.

حاصل معناه -والله تعالى أعلم-: أمرٌ من الله ﻷ لخليله إبراهيم ﵇ أن يُنادي في الناس أن الله ﻷ قد فرض عليكم الحج فحجوا، وقد قال بعض العلماء إن المراد بالناس هنا أهل الإسلام، فنادى إبراهيم ﵇ في الناس كما أمره ربُّه ﻷ فبلغ الله نداءه إلى الخلق فإن قيل، وكيف كان ذلك فالجواب الطريقة التي يريدها الله ﻷ والتي حصل بها البلاغ على ألسنة الرسل، وقد

وصل بها إلينا عن طريق نبينا محمد ﷺ وبالقرآن الذي أنزل الله ۵ عليه هذا، وقد ورد عن ابن عباس ؓ ما يصح بمجموع طرقه، وحاصله أن إبراهيم ع أُمر بالبلاغ فقال: يا رب وإلى أي مدى يبلغ صوتي؟ فأجيب بما حاصله أن عليك الأذان وعلى الله البلاغ فنادى في الناس بالحج فسمعه ما بين السماء والأرض.

قلت (مصطفى): والحاصل أن الله على كل شيء قدير، وقد امتثل الخليل ع الأمر وبلغ الله ۵ نداءه واستجاب لذلك أهل الإيمان.

أن قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي يأتون بيت الله الحرام مشاة على أرجلهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ فحاصل معناه أنهم وكما أن منهم من يأت ماشيًا، فمنهم أيضًا من يأتون ركبانًا على الإبل التي ضمرت أُعلفت علفًا معينًا وحبست بطريقة معينة حتى تقوى على المسير موصلة إلى البيت العتيق ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ من كل طريق بعيد، ومن كل مكان بعيد، وصلت وهي مهزولة مرهقة من طول السفر ووعثائه إلى بيت الله الحرام.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: عهدنا إليه أيضًا أن أذّن في الناس بالحجّ: يعني بقوله: ﴿وَأَذِّن﴾ أعلم وناد في الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ يقول: فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يقول: وركبانًا على كلّ ضامر، وهي الإبل المهازيل.

ثم قال $: وذُكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج، قام على مقامه فنادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته العتيق.

وقد اختُلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك. فقال بعضهم: نادى بذلك.

وأورد من وجوه عن ابن عباس ﭭ تصح بمجموع طرقها أنه قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾ قال: ربّ ومَا يبلغ صوتي؟.

NNO PMM

إبراهيم ﻍ يُحِّرم مكة بإذن الله

قال الله ٥: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: 126].

وقال الله ٥: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: 35].

وقال الإمام البخاري في صحيحه(1): حدثنا عبدُ اللهِ بنُ مَسلمةَ عن مالكٍ عن عمرو بن أبي عمرو مَولى المطَّلِبِ عن أنسِ بنِ مالكٍ ﭬ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ طلعَ له أُحُدٌ فقال: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا**». رواه عبدُ اللهِ بن زيدٍ عنِ النبيِّ ﷺ.

NNO PMM

(1) البخاري (3367).

تقاصر قريش عن بناء الكعبة على قواعد إبراهيم غ(1)

قال الإمام البخاري $ (2): حدثنا عبدُ الله بن يوسف أخبرَنا مالكٌ عنِ ابنِ شهابِ عن سالِمِ بن عبدِ الله أنَّ ابنَ أبي بكر أخبرَ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ عن عائشةَ ف زوجِ النبي ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ حِينَ بَنَوُا الْبَيْتَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ**» فقلتُ يا رسولَ الله ألاَ ترُدُّها على قواعدِ إبراهيم؟ فقال: «**لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ**» فقال عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: لَئن كانت عائشة سمِعَتْ هذا من رسولِ الله ﷺ ما أرَى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تركَ استِلامَ الرُّكنين اللذَين يَلِيانِ الحِجْر إلا أنَّ البيتَ لم يُتَمَّمْ على قواعد إبراهيم. وقال إسماعيلُ: «عبدُ اللهِ بن محمدِ بنِ أبي بكر».

NNO PMM

(1) أي أنهم لم يتمموها من كل الجوانب على قواعد إبراهيم عليه السلام إنما فقط أقاموا ثلاثة جدران على قواعد إبراهيم وقصرت بهم النفقة عن إتمامها من الاتجاه الرابع على قواعد إبراهيم. كما هو مبني من قبل.

(2) البخاري (3368).

)+

مزيدٌ من عظيم الإكرام لإبراهيم غ

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾.

قال الحافظ ابن كثير $: وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125]، يرغب تعالى في اتباع إبراهيم غ، لأنه كان على الدين القويم والصراط المستقيم، وقد قام بجميع ما أمره به ربه، ومدحه تعالى بذلك فقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: 37] ولهذا اتخذه الله خليلًا، والخُلة هي غاية المحبة كما قال بعضهم:

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سُمِيّ الخليل خليلا

وروى البخاري في صحيحه: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عمرو بن ميمون، قال: إن معاذًا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرأ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125] فقال رجل من القوم: لقد قُرَّتْ عينُ أم إبراهيم(1).

---

(1) البخاري (7/ 4348).

إبراهيم ﷺ من أولي العزم من الرسل

قال الحافظ ابن كثر $ في قصص الأنبياء، في شأن الخليل ﷺ: وهو أحد أولي العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم تخصيصًا من بين سائر الأنبياء في آيتي الأحزاب والشورى، وهما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]، وقوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

ثم هو أشرف أولي العزم بعد محمد ﷺ.

وهو الذي وجده ﷺ في السماء السابعة مسندًا ظهره بالبيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

وما وقع في حديث شريك بن أبي نمير عن أنس في حديث الإسراء، من أن إبراهيم في السادسة وموسى في السابعة، فمما انتقد على شريك في هذا الحديث والصحيح الأول.

بيان قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

أقول -وبالله التوفيق-: أكرم الله ه إبراهيم ﷺ بأن منَّ عليه برزق حسن، بولدٍ كريم ونبي كريم وهو إسحاق ﷺ وأخبر سبحانه أنه بارك عليه وعلى إسحاق.

أما عن معنى الآيتين الكريمتين:

والله أعلم وبشرنا إبراهيم ﷺ لإيمانه وصدقه وصبره وثباته بأن جعلنا ولده إسحاق ﷺ نبيًا صالحًا كما قال تعالى في شأن موسى ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن

رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا﴾ [مريم: 53].

وكذا فإنا قد باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بأن جُعل الخير فيهما والنبوة في ذريتهما، فالأنبياء من بعد إبراهيم غ من ذريته، وكل من بعد إسحاق من الأنبياء إنما هو من ذرية إسحاق إلا رسول الله محمد ﷺ فإنه من ذرية إسماعيل غ، أما سائر ذرية إسحاق فمنها المحسن ومنها الظالم لنفسه.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: وبشرنا إبراهيم بإسحاق نبيًّا شكرًا له على إحسانه وطاعته.

وقوله: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ﴾ يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه ﴿مُبِينٞ﴾: يعني الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله.

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق، وقد ذكرت في سورتي (هود)، و(الحجر).

وقوله: ﴿نَبِيّٗا﴾ حال مقدرة، أي: سيصير منه نبي من الصالحين.

وقوله: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ كقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [هود: 48].

وقال القرطبي $: قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ﴾ لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال: منهم محسن ومنهم مسيء وأن المسيء لا تنفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق والعرب

(258) أحمر
أسود

وإن كانوا من ولد إسماعيل فلابُدَّ من الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر وفي التنزيل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ [المائدة: 18]، الآية أي أبناء رسل الله فرأوا لأنفسهم فضلًا وقد تقدم.

آيات من سورة النحل في ذِكر خليل الرحمن إبراهيم ﵇
وبيان أنه كان مطيعًا لله شاكرًا لأنعمه
وأن الله ﻷ اختاره وهداه وأكرمه في الدنيا والآخرة
والأمر باتباع ملته ﷺ

أولاً: الآيات الواردة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ثانيًا: معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿أُمَّةً﴾	إمامًا يقتدي به - مُعلمًا الناس الخير.
﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾	مُطيعًا لله - مُخبتًا له خاشعًا.
﴿حَنِيفًا﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.
﴿لِّأَنْعُمِهِ﴾	لنعمه.
﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾	اختاره - اصطفاه.
﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾	دين إبراهيم.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يخبر الله ﻷ خلقه بما كان من شأن إبراهيم ﵇ فيقول تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ كان إمامًا يقتدي به في الخير ويعلم الناس الخير ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي

مطيعًا لله ﻷ خاشعًا مُخبتًا لله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن الشرك حائدًا عنه ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ينفي الله ﻷ عنه الشرك، فقد ادعى مشركو العرب أن إبراهيم كان مشركًا، وحاشاه من ذلك، بل كان إبراهيم ﵇ مُوحدًا شاكرًا لنعم الله ﻷ كما قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ فمن ثمَّ، فلتوحيده وطاعته لله وإخباته لله اصطفيناه واخترناه، من بين خلقنا في زمانه، بل واتخذناه خليلًا.

فقوله ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾ أي اختاره ووفقه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إلى طريق مستقيم يوصله إلى مرضات الله وجنة الله ﻷ بلا اعوجاج ولا انحراف وقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ وهذه الحسنة تشمل الرزق الحسن والزوجة الصالحة الحسناء، والذرية الصالحة والثناء الحسن عليه بعد موته، ومن ذلك كوننا نصلي عليه وندعو له بالبركة في كل صلاة نصليها، ومن ذلك أخلاقه الكريمة المرضية المحمودة، وأيضًا فله في الآخرة منزلة عليَّة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي له يوم القيامة المنازل العلية في الجنان الفسيحة الرحيبة، له منازل المقربين من الصالحين الذين صلحت أحوالهم وشؤونهم مع ربهم ﻷ وصلحت قلوبهم ونواياهم فجوزوا بذلك أفضل الجزاء وأحسن الجزاء، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي ثم أمرناك يا محمد أن تتبع ملة إبراهيم التي كان عليها، وهي التوحيد الخالص لله ﻷ، تتبع دينه دين الإسلام مستقيمًا عليه، مائلًا مبتعدًا عن طريق المشركين فقد كان إبراهيم ﵇ كذلك، كان حنيفًا مُسلمًا ولم يك من المشركين.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري ؒ: يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم خليل الله كان مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدى قانتًا، يقول: مطيعًا لله حنيفًا: يقول: مستقيمًا على دين الإسلام ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ يقول: ولم يكن يُشرك بالله شيئًا، فيكون من

أولياء أهل الشرك به، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء وأنهم منه براء ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكًا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ يقول: اصطفاه واختاره لخُلته ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: إن مُعاذًا كان أُمَّة قانتًا لله، قال: فقال رجل من أشجع يُقال له فروة بن نوفل: نسي إنما ذاك إبراهيم، قال: فقال عبد الله: من نسي إنما كنا نشبهه بإبراهيم، قال: وسُئِل عبد الله عن الأمَّة، فقال: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله(1).

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وآتينا إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرًا حسنا، وثناءً جميلًا باقيًا على الأيام ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يقول: وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لمن صلح أمره وشأنه عند الله، وحَسُنت فيها منزلته وكرامته.

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك: اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مسلمًا على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئًا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرأ منها.

قال ابن كثير $: يمدح تبارك وتعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم،

---

(1) وقد روي ذلك من وجوه متعددة عن ابن مسعود ڤ.

إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، ويبرئه من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ فأما «الأمة»، فهو الإمام الذي يقتدى به، والقانت: هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ثم قال: وقوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: قائمًا بشكر نعم الله عليه، كما قال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37]، أي: قام بجميع ما أمره الله تعالى به.

وقوله: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ أي: اختاره واصطفاه، كما قال: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51].

ثم قال: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: لسان صدق.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي: ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما قال: في «الأنعام»: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161].

قال السعدي $: يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة فقال:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير هاديًا مهتديًا.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ أي: مديمًا لطاعة ربه مخلصًا له الدين، ﴿حَنِيفًا﴾ مقبلًا على الله بالمحبة، والإنابة والعبودية معرضًا عمن سواه. ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في

قوله وعمله، وجميع أحواله؛ لأنه إمام الموحدين الحنفاء.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ أي: آتاه الله في الدنيا حسنة، وأنعم عليه بنعم ظاهرة وباطنة، فقام بشكرها، فكان نتيجة هذه الخصال الفاضلة أن ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ ربه واختصه بخلته وجعله من صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين.

﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في علمه وعمله فعلم بالحق وآثره على غيره.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ رزقًا واسعًا، وزوجة حسناء، وذرية صالحين، وأخلاقًا مرضية ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم المنازل العالية والقرب العظيم من الله تعالى.

ومن أعظم فضائله أن الله أوحى لسيد الخلق وأكملهم أن يتبع ملة إبراهيم، ويقتدي به هو وأمته.

قال الشنقيطي $ (أضواء البيان): قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أثنى الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين على نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصَّلاة والسلام: بأنه أمة؛ أي إمام مقتدى به، يعلم الناس الخير؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]، وأنه قانت لله، أي: مطيع له، وأنه لم يكن من المشركين، وأنه شاكر لأنعم الله، وأن الله اجتباه، أي: اختاره واصطفاه، وأنه هداه إلى صراط مستقيم.

وكرر هذا الثناء عليه في مواضع أُخر؛ كقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: 37]، وقوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]، وقوله: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 51]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]، وقوله عنه: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79]، وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: 83، 84]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في الثناء عليه.

قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾ الآية، قال بعض العلماء: الحسنة التي آتاه الله في الدنيا: الذرية الطيبة، والثناء الحسن، ويستأنس لهذا بأن الله بين أنه أعطاه بسبب إخلاصه لله، واعتزاله أهل الشرك: الذرية الطيبة. وأشار أيضًا لأنه جعل له ثناءً حسنًا باقيًا في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم: 49- 50]، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27]، وقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84].

NNO PMM

دعوات وتعويذات إبراهيم غ لإسماعيل وإسحاق ث

أقول -وبالله التوفيق-: قد كان الخليل غ يدعو لذريته إذ قال غ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ وقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾.

وأخرج البخاري(1) بسنده إلى عبد الله بن عباس ﭭ قال: «كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ ويقول: «**إنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ كُلِّهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**».

(1) البخاري (3371).

الثناء الحسن على إبراهيم غ في الأمم التي جاءت من بعده وبيان معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾

أقول -وبالله التوفيق-: أما قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ فمعناه، والله أعلم، وتركنا على إبراهيم غ ثناءً حسنًا في الأمم التي جاءت من بعد، فالأمم التي جاءت من بعده تثنى عليه غ، بل واليهود ينسبونه إليهم، والنصارى كذلك، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

ولعل هذا الثناء والله تعالى أعلم إجابةً لدعوة إبراهيم غ إذ دعا قائلًا: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

هذا ومن صور هذا الثناء الحسن ذكره المتكرر في الكتاب العزيز في معرض الثناء عليه، وكذا ذكرنا له في صلاتنا فنصلي عليه في كل صلاة نصليها وندعو الله أن يبارك عليه وعلى آله.

وكذا نذكره في أذكار الصباح والمساء.

وثمَّ صور أُخر ذكرتها في بيان وجوه اصطفاء الخليل غ في أوائل هذا الكتاب.

هذا، وقد قال الطبري خ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسنًا.

وفي رواية: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال: سأل إبراهيم، فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على

هؤلاء.

معنى قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾

معناه، -والله أعلم-: سلامٌ من الله ٥ على إبراهيم الخليل غ، فالناس وإن أثنوا عليه فثناء الله عليه أجمل وأحسن، أمانٌ من الله ٥ على إبراهيم غ.

قال الطبري $: وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ يقول تعالى ذكره: أَمَنَةٌ من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يُذْكَرَ من بعده إلا بالجميل من الذكر.

ومن العلماء من ذكر وجهًا آخر حاصله: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ أنه يُقال سلام على إبراهيم.

أي: أن الآخرين «الأمم التي تأتي من بعده تقول: سلام على إبراهيم»، والأول أولى، والله أعلم.

NNO PMM

شيءٌ من الوارد في صلاتنا على إبراهيم ﷺ

قال الإمام البخاري $: حدثنا قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل قالا حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا أبو قرة مسلم بن سالم الهمداني قال حدثني عبد الله بن عيسى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**(1).

وقال الإمام البخاري(2) أيضًا:

حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أخبرني أبو حميد الساعدي ف أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».**

وقال الإمام البخاري أيضًا(3):

---

(1) البخاري (3370) هذا، وفي بعض الروايات الاقتصار على آل إبراهيم أي: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** ».... (بدون ذكر إبراهيم). وانظر البخاري مع الفتح (11/ 152).

(2) البخاري (3369) ومسلم مع النووي (4/ 127).

(3) البخاري (مع الفتح 11/ 152).

حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك، قال: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»**.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

رؤية رسول الله ﷺ إبراهيم غ ليلة المعراج في السماء السابعة وفي ذلك منقبةٌ له وتوهيم رواية من روى أنه رآه في السماء السادسة

أخرج البخاري ومسلم(1) من حديث أنس بن مالك ؤ قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ.... فذكر حديث المعراج، وأنه صلوات الله وسلامه عليه انطلق مع جبريل غ قال رسول الله ﷺ: **«فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ».**

وفي رواية لمسلم(2) : **« ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ».**

هذا، وقد وردت رواية في البخاري(3) وهم فيها راويها وفيها أنه وجد إبراهيم في السماء السادسة.

وهذه الرواية فيها أوهام كثيرة، وهم فيها أحد الرواة وهو شريك بن عبد الله، ونبَّه أهل العلم عليها(4).

(1) البخاري (3207) ومسلم (164).
(2) مسلم (162).
(3) البخاري (7517).
(4) انظر فتح الباري (13/ 485- 486) في شرح الحديث المذكور وانظر قصص الأنبياء لابن =

هذا، وفي رواية لمسلم(1) من حديث أبي هريرة ؤ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ».**

فذكر الحديث وفيه.. **وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ غ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ** -يَعْنِي: نَفْسَهُ- **فَأَمَّتُهُمْ**(2).

= كثير قصة الخليل إبراهيم غ.

(1) مسلم (172).

(2) أي: أممتهم في الصلاة.

بيان أن إبراهيم غ كان حنيفًا مُسلما
وبيان كذب المشركين واليهود والنصارى في دعواهم أنه كان منهم

أقول -وبالله التوفيق-: لقد كان الخليل إبراهيم ﷺ حنيفًا مُسلمًا كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد كانوا جميعًا مسلمين، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرةٌ مبسوطة في أماكنها، ومما يخص إبراهيم غ في هذا المقام ما يلي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120، 121].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123].

ومن المعلوم أن النبي ﷺ كان مسلمًا ومن ثَمَّ فإبراهيم غ كان مسلمًا وقد تقدم صريحًا إلى غير ذلك من الآيات، والله أعلم.

NNO PMM

التحذير من ترك دين الإسلام
ومخالفة ملة إبراهيم ؛

حذَّر الله ﻷ العباد من مخالفة دين الإسلام والملة الحنيفية السمحة وبيَّن أن المعرض عنها هو الجاهل السفيه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وعن معاني مفردات هذه الآيات فها هي:

الكلمة	معناها
﴿يَرْغَبُ عَن﴾	رغب في الشيء أحبه، ورغب عن الشيء كرهه وأعرض عنه، ويرغب عن: يترك – يزهد في.
﴿مِّلَّةِ﴾	دين.
﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾	فيها أقوال منها: سفه في نفسه -أهلك نفسه -جلب لنفسه السفه -جهل نفسه (وانظر معناها باستفاضة فيما يأتي إن شاء الله).
﴿ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾	اخترناه – اجتبيناه.
﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾	**قال الطبري $:** الصالح: هو المؤدي حقوق الله عليه، وقال القرطبي: والصالح في الآخرة هو الفائز.
﴿أَسْلِمْ﴾	أخلص العبادة -أخضع بالطاعة -امتثل الأمر.

﴿وَوَصَّى﴾	أمر.

وعن المعنى الإجمالي:

ومن يُعرض عن ملة إبراهيم إلا السفيه الجاهل، الجاهل بحق نفسه وحظها فلا يعرف ما ينفعها ولا ما يضرها فهذا المُعرض عن ملة إبراهيم ظلم نفسه وأهلكها وأضرَّ بها(1).

ثم يُخبر الله ٥ أنه اصطفى خليله إبراهيم غ (2) في الدنيا على سائر قومه، وأخبر سبحانه أن خليله في الآخرة من الصالحين، ولهذا الاصطفاء ورفعة الدرجات أسباب فبعد إرادة الله ٥، فالله يصطفى من الملائكة رسلًا ومن الناس، ويخلق ما يشاء ويختار، وثمَّ أسباب لاصطفاء الخليل إبراهيم غ، منها: سرعة امتثال إبراهيم غ لأمر الله ٥ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 130، 131].

صبره ﷺ، فلما ابتلاه ربه بالكلمات أتمهن ﷺ ووفى بهن كما أخبر الله سبحانه وتعالى.

شكره لنعم الله ٥ عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: 120، 121].

فقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من أسباب اصطفاء الخليل غ.

وقد كان الخليل غ مُسلمًا، وإنما أمره الله ٥ بزيادة الانقياد والخضوع

---

(1) وفي قوله: ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ معانٍ أُخر، منها سفه في نفسه ومنها جهل نفسه ولم يعرف ما فيها من الآيات والدلالات على وحدانية الله ٥ وقدرته.

(2) وقد بينت وجوه اصطفاء الخليل غ في أوائل قصته علىه السلام في هذا الكتاب.

والإخلاص والامتثال لله ٥، ونظير ذلك قوله ٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [النساء: 136].

مزيدٌ من الاستدلالات على أن إبراهيم غ كان على الإسلام

قال الله ٥: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

أقول -وبالله التوفيق-: ... قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ الخطاب فيه والله أعلم، لليهود والنصارى والمشركين، وقيل للمؤمنين أيضًا ولأهل العلم في ذلك أقوال، منها أكنتم حضور مرض موت يعقوب غ حتى تفتروا عليه وتنسبوا إليه أنه يهودي أو نصراني؟!!!.

كلا بل لم تكونوا حاضرين، وإنما هي افتراءات تفترونها، وقد سأل يعقوب غ بينه عند موته ما تعبدون من بعدي فأقروا بأنهم يدينون من بعده لله ٥ إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا وهم له مسلمون.

والثاني: أن معنى ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ [البقرة: 133]، بل كنتم، وعليه فالمعنى: بل كنتم يا أهل الكتاب حاضرين موت يعقوب غ «والمراد أسلافكم كانوا حضور موت يعقوب غ» وعلموا أنه سأل أولاده عن دينهم وأقروا بأنهم اختاروا دينه ودين آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وهو دين الإسلام، ولكنكم يا أهل الكتاب جحدتم ذلك ونسبتم إليه اليهودية والنصرانية ونسبتموه إليها وهو منها بريء.

قال الطبري $: وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين نبوته حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت؟! أي: أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده

إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة وبذلك وَصَّوا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم، وهذه آيات نزلت تكذيبًا من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم فقال لهم في هذه الآية: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ فتعلموا ما قال لولده وقال له ولده؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له.

قلت (مصطفى): وفي تقديم إسماعيل ﵇ في الذكر على إسحاق في هذا المقام ما يدل على أنه أكبر منه سنًّا والله أعلم.

وقد يُطرح ها هنا سؤال حاصله: هل وُلِدَ يعقوب ﵇ في حياة إبراهيم ﷺ؟.

وجوابه: أنني لم أقف على دليل صريح يفيد ذلك، لكن رأى بعض أهل العلم أنه كان حيًّا في حياة إبراهيم ﷺ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71]، قالوا: فلو لم يوجد يعقوب في حياة الخليل وسارة ﵂ لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة.

واستدلوا أيضًا بقول الله تعالى في شأن إبراهيم ﵇: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: 27].

وبقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: 72].

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: 84].

مزيدٌ من الاستدلالات على أن إبراهيم ﻍ

كان حنيفًا ولم يكن من المشركين وبيان معنى الحنيف

قـــال الله ٥: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿هُودًا﴾	يهودًا.
﴿حَنِيفٗاۖ﴾	مستقيمًا – مخلصًا – مائلًا (أي: عن الشرك إلى التوحيد).

المعنى الإجمالي للآية المباركة:

يخبر الله ٥ عن مقالات اليهود والنصارى لأهل الإسلام إذ يقول اليهود للمسلمين كونوا يهودًا تهتدوا للحق والصواب والجنة.

وقالت النصارى للمسلمين بل كونوا نصارى تهتدوا للحق والصواب والجنة.

كما قالوا: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾.

فقل لهؤلاء وأولئك بل نتبع ملة إبراهيم ﻍ، فالمهتدي من اتبع ملة إبراهيم ﻍ فقد كان حنيفًا أي مستقيمًا على الإسلام مخلصًا لله ٥ فيه.

وقل لأهل الشرك أيضًا إن إبراهيم ﻍ ما كان مشركًا بل كان مسلمًا على التوحيد.

وهذا الذي أُمرَ النبي ﷺ أن يقوله لليهود والنصارى لأن كلًّا من هاتين الفرقتين تدعى أن إبراهيم ﻍ كان منها، وكانوا يقرون بنبوته ﷺ فالإجابة

عليهم من الجانب الذي أقروا به فكأنه قيل لهم: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي أجمعنا نحن وأنتم على الشهادة لها بأنها دين الله ٥ الذي ارتضاه واجتباه وأمر به.

قال الطبري $: احتج الله لنبيه محمد ﷺ أبلغ حجة وأوجزها وأكملها وعلمها محمدًا نبيه ﷺ فقال: يا محمد قل للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: 135]: بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يُجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به فإن دينه كان الحنيفية المسلمة، وندع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويقرُّ بها بعضنا فإن ذلك على اختلافه لا سبيل لنا على الاجتماع عليه كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم.

هذا، وفي قوله تعالى في شأن خليله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ردٌّ على اليهود والنصارى وذلك لأنهم قد أشركوا بالله ٥ فادعت اليهود أن عزيرًا ابن الله، وادعت النصارى أن المسيح ابن الله، فخالفوا بذلك ملة إبراهيم غ.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [التوبة: 30]، فبين الله ٥ شرك اليهود والنصارى في هذه الآيات، وبيَّن في آية البقرة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: 135]، براءة إبراهيم غ من هذه الأديان التي يزعم أهلها أن اتباعها فيه الهداية، والله تعالى أعلم.

وهذا مزيدُ بيان لمعنى الحنيف فقد وصف إبراهيم ﵇ به

أقول -وبالله التوفيق-: ذكر عدد من العلماء أن الحنيف هو المستقيم، وقال آخرون: هو الحاج وقال آخرون: هو المخلص، وقيل: هو المائل(1) (أي: مائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام) كما قال الشاعر:

ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا ... حنيفًا ديننا عن كل دين

وبعض العلماء يقولون: إنما سمى دين إبراهيم الحنيفية؛ لأنه أول من سنَّ الاختتان.

قال الطبري ؒ: (الحنَف) عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، وذلك أن (الحنيفية) لو كانت حج البيت لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء، وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفًا بقوله: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

فكذلك القول في الختان لأن (الحنيفية) لو كانت هي الختان لوجب أن يكون اليهود حنفاء، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: 67].

فقد صح إذًا أن (الحنيفية) ليست الختان وحده ولا حجَّ البيت وحده ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها. انتهى ما قاله الطبري ؒ.

(1) من قولهم رجل حنيف، وتحنَّف الرجل إذا مال، والأحنف هو الذي تميل قدماه كل واحدةٍ منهما إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف تُرَقصه:

والله لولا حَنَفٌ في رِجْلِهِ ... ودِقةٌ في ساقِهِ من هُزْلِهِ

ما كان في فتيانكم مِنْ مِثْلِهِ ... .

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى قتادة قال: الحنيفية شهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات والعمات وما حرَّم الله ٥ والختان، وكانت حنيفة في الشرك، كانوا أهل الشرك وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والأخوات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت وينسكون المناسك(1).

وهنا يطرح سؤال:

لماذا نسبت الحنيفية إلى إبراهيم غ ولم تنسب إلى من قبله من الأنبياء ألم يكونوا حنفاء هم وأتباعهم؟!

بل كانوا حنفاء – عليهم السلام – هم وأتباعهم، أما سؤال الباب فقد أجاب عليه الطبري $ بقوله: إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متبعًا طاعة الله ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة كالذي فعل من ذلك بإبراهيم فجعله إمامًا فيما بيَّنه من مناسك الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام تعبدًا به أبدًا إلى قيام الساعة وجعل ما سن من ذلك علمًا مميزًا بين مؤمني عباده وكفارهم والمطيع منهم له والعاصي فسمي الحنيف من الناس حنيفًا باتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه وسمي الضال عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل: (يهودي -نصراني -جوسي) وغير ذلك من صنوف الملل.

هذا، وقد ذكر بعض العلماء أن الحنيف أطلق على معوج الرِّجلين، مع أن معنى الحنيف المستقيم، وذلك تفاؤلًا بالشفاء والسلامة، كما قيل للديغ: سليم تفاؤلًا بالشفاء، وللأعمى بصير تفاؤلًا كذلك، وكما قيل للمُهْلِكَةِ من الأرض: مفازة، والله أعلم.

(1) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (1307).

التأكيد على أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على الإسلام ولم يكونوا يهودًا ولا نصارى

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

معنى الآية الكريمة:

أم تجادلوننا يا معشر اليهود والنصارى بأن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كان هودًا أو نصارى، فإن زعمتم ذلك فأنتم مفترون في دعواكم، والله يعلم أنكم تكتمون الشهادة لهؤلاء – إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

ولا أحد أظلم ممن كتم الشهادة التي طلب الله منه أداءها وما الله بغافل عما تعملون، والله أعلم، هذا، وقد ورد في كتاب الله ۵ ما يدل ويؤكد على أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًّا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 65- 67].

NNO PMM

وصية إبراهيم غ أبناءه بالثبات

على الإسلام والوفاة عليه

يوصي الخليل غ أبناءه بالثبات على الإسلام والوفاة عليه ويبين أن الله ٥ اختار لهم الإسلام دينًا فيقول: ﴿يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فالدين هو الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَـٰمُ﴾ أما أبناؤه المذكورون في الكتاب العزيز فهما إسماعيل وإسحاق ث.

وعن معنى قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: الزموا هذا الدين ولا تفارقوه، فإن الموت يأتي بغتة فحافظوا على دينكم حتى تأتيكم منيتكم، وأنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وتدينون الإسلام.

ومن العلماء من قال: إن المعنى أحسنوا ظنكم بالله ٥ لقول النبي ﷺ: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ٥»**(1)، والأول أولى، والله أعلم.

NNO PMM

(1) مسلم (2877).

الثناءُ على ملة إبراهيم غ

وبيان أن ملة إبراهيم غ، سهلةٌ ليس فيها حرجٌ

قـــال الله ٥: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾.

معنى الآية الكريم -والله تعالى أعلم-: وجاهدوا يا أهل الإسلام في الله لإعلاء كلمة الله حق جهاده أقوى الجهاد وأحسنه وأجمله وأسده وأرشده، قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أنفقوا من أموالكم لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله تكلموا بألسنتكم كلمة الحق ابتغاء مرضات الله ولإعلاء كلمة الله.

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ أي: أن الله ٥ اختاركم وشرفكم وفضلكم ومنَّ عليكم بواسع فضله إذ جعلكم جندًا له تنصرون دينه، إذ اختاركم من بين الأمم فجعلكم خير أمةٍ أخرجت للناس، وأرسل إليكم أفضل رسول وأنزل عليه أفضل كتاب، فلذا جاهدوا في الله حق جهاده قابلوا نعمة الله بشكرٍ يتمثل في الجهاد ولنصرة دينه وإعلاء كلمته وكذا فمن نعمته عليكم أنه ٥، ما جعل عليكم في الدين الذي شرعه لكم من حرج، من ضيق وشدة وعنت يضيق عليكم ولم يشدد عليكم ولم يفرض عليكم ما فيه مشقة، بل دينه يُسر، ومن يسر هذا الدين، ومن عدم الحرج أنه ما من مُذنب يُذنب ويريد أن يتوب ويرجع إلا وباب التوبة مفتوحٌ له، ولذنبه مهما عظم كفارات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: 110].

وقال تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53].

فهنالك ذنوب تغفر بكلمة أستغفر الله، وأُخر تغفر بصلاة ركعتين، وأُخر تغفر بعمل برّ ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 114].

وذنوب أُخر تغفر بالكفارات كالحنث في الأيمان، أو الظهار أو التحريم ونحو ذلك وذنوب تغفر بالقصاص.

وذنوب تغفر بالحدود.

وذنوب يغفرها الله لمن يشاء.

فهذا نوع من أنواع رفع الحرج ما من ذنب إلا وله سبيل كي يغفره الله بإذن الله.

ومن صور رفع الحرج رفع التضييق في العبادات فمن لم يستطع الصلاة قائمًا صلى جالسًا وإلا فعلى جنب، والمسافر له قصر الصلاة وله الجمع.

ومنها إفطار الصائم إذا كان مريضًا أو مسافرًا وحلق الحاج شعره قبل التحلل إذا اعتراه ما يضره ويؤذيه، وكذا تحلله من إحرامه إذا اضطر لذلك ما دام يفعل المأمور به في هذا الصدد.

ومن صور رفع الحرج: أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها ولا يكلف نفسًا إلا ما آتاها: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: 106]، فإذا تلفظ العبد المكره بكلمة الكفر فلا حرج عليه.

ومن ذلك إباحة المطعومات المحرمة عند خوف الضرر (كإباحة الميتة والدم ولحم الخنزير) قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 173]. وكما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا

ﱡﭐ ﱠ ﴿اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾

[الأنعام: 119].

ومن صور رفع الحرج رفعه الجهاد عن المريض والأعرج والأعمى، والذي لا يجد ما ينفق ومن صور رفع الحرج أننا نجتهد وإذا أخطأنا فلسنا بملومين بل نثاب مع الاجتهاد حتى إذا أخطأنا.

فإذا أخطأنا في رؤية الهلال صمنا وحججنا وأجزأ عنا حجنا.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ [الأحزاب: 5].

ومن صور ذلك أننا نتحرى العدل في الكيل والميزان وبعد التحري لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ومن ذلك إباحة تزوج الأربع.

ومن ذلك إباحة الطلاق والخلع لرفع الحرج عن الزوجين إن خافا ألا يقيمًا حدود الله.

فالحاصل أن: الحرج مرتفع عن هذه الأمة ولله الحمد فيما ذُكر وفي غير ما ذُكر فضلًا من الله ونعمة والله عليم حكيم.

فالذي رفع عنا الحرج هو الله ۵ فجدير بنا أن نجاهد لإعلاء كلمته ونصرة دينه فهو الذي اجتبانا وتفضل علينا.

أما قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الشأن في رفع الحرج هو الشأن في ملة أبيكم إبراهيم غ فالحرج مرفوع فيها كذلك.

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ فالمراد به أن الله ۵ سماكم مسلمين قبل نزول القرآن وقد قال بعض أهل العلم إن الذي سمانا مسلمين من قبل هو إبراهيم غ، مستدلًا بقول إبراهيم وإسماعيلث: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

ولكن الذي عليه الجمهور أن الذي سمانا مسلمين من قبل هو الله ۵ بدليل قوله ﷺ: **«فتسموا بما سماكم الله به هو سماكم المسلمين المؤمنين**

عباد الله».

أما قوله تعالى: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ فالمراد به وسماكم المسلمين في هذا القرآن أيضًا أن الله ۵ سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وسماكم المسلمين في هذا القرآن كذلك.

هذا، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الذي سمانا مسلمين من قبل هو إبراهيم غ، لكن يضعفه أن نوحًا غ قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. وكذا ما ذُكر من حديث رسول الله ﷺ آنفًا، والله أعلم.

أمر المسلمين بالإعلان عن إيمانهم وإسلامهم وإيمانهم بالكتب المنزلة من عند الله عمومًا ومنها الكتب المنزلة على إبراهيم غ

قال الله ٥: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿ءَامَنَّا﴾	صدقنا.
﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾(1)	الأسباط هم أبناء يعقوب الاثنا عشر، وقيل: هم بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗا﴾ [الأعراف: 160]، وقيل الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.
﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	أعرضوا.
﴿شِقَاقٖ﴾	فراق الحق(2) – المجادلة والمخالفة والتعادي – عصيان.

(1) أخرج الطبري (2104) بإسناد حسن عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته، بنو يعقوب ولد اثنى عشر رجلًا فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا (أسباطًا).

(2) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا﴾ [النساء: 35].

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾	سيكفيك شرهم وينصرك عليهم ويمكنك منهم.
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾	دين الله – فطرة الله.

المعنى الإجمالي:

قولوا يا أهل الإسلام لليهود والنصارى وللمشركين وللناس كلهم، قولوا لهم آمنا بالله ربًّا لا شريك له وآمنا بالقرآن الذي أنزله إلينا على لسان نبينا ﷺ وكذا آمنا بالكتب المنزلة من عند الله كلها فقد آمنا بما أنزل على إبراهيم غ وكذا بالكتب المنزلة على إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وكذا آمنا بالذي أوتاه موسى وعيسى ث من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات والآيات وكذا آمنا بكل ما آتى الله الأنبياء كلهم وأعطاهم إياه سواء من الكتب المنزلة عليهم، أم من المعجزات، لا نفرق بين أحدٍ من هؤلاء الأنبياء ونحن لربنا ٥ مسلمون.

فإن آمن اليهود والنصارى وأهل الشرك بمثل ما آمنتم به من وحدانية الله ٥ وقدرته وغير ذلك من أركان الإيمان كالإيمان بالأنبياء جميعًا وبالكتب المنزلة كلها فقد اهتدوا وإن أعرضوا عن الإيمان فإنهم هم في فراقٍ للحق وبُعدٍ عنه. فسيكفيك الله شرهم وينصرك عليهم فهو السميع لأقوالهم وأقوالكم والعليم بأحوالهم وأحوالكم.

أما قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

فمعناه: والله أعلم أن ملة إبراهيم غ وهي الحنيفية السمحة هي الصبغة التي يصبغ الله ٥ بها أهل الإيمان ونعم الصبغة هي، وليست هي كصبغة اليهود والنصارى إذا أرادوا أن يهوّدِوا أبناءهم أو ينصِّروهم عمدوا إلى ماء فجعلوهم فيه زعموا أن ذلك تقديس. وبنحو ذلك قال أهل التأويل.

فقد روي بإسناد حسن عن قتادة $ أنه قال: قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]، إن اليهود تصبغ أبناءها يهود، والنصارى

تصبغ أبناءها نصارى، وأن صبغة الله الإسلام فلا صبغة أحسن من الإسلام ولا أطهر، وهو دين الله الذي بعث به نوحًا والأنبياء بعده.

وقال الطبري $: يعني تعالى ذكره بـ (الصبغة) صبغة الإسلام، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنه صبغة لهم في النصرانية فقال الله تعالى ذكره - إذ قالوا لنبيه محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين به: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: 135]، قل لهم يا محمد: أيها اليهود والنصارى بل اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله التي هي أحسن الصِّبغ فإنها هي الحنيفية المسلمة ودعوا الشرك بالله والضلال عن محجَّة هداه.

ذِكر طائفة من الأنبياء عليهم السلام

وهل هم من ذرية نوح غ أم من ذرية إبراهيم غ والأمر بالاقتداء بهم

قال الله ٥: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 84-90].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾	هديناهم جميعًا.
﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾	اخترناهم - اصطفيناهم.
﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾	توفيق الله.
﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	ذهب عنهم ثواب العمل الصالح الذي عملوه.
﴿وَٱلْحُكْمَ﴾	الفهم في الدين - فهم الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام.
﴿يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾	يجحدها هؤلاء ولا يؤمنون بها.
﴿وَكَّلْنَا بِهَا﴾	رزقناها قومًا - هدينا إليها قومًا - مننا بها

	على قوم.
﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾	بطريقتهم - على طريقهم.
﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾	سِرْ - تَأسَّ - اتبع.
﴿ذِكۡرَىٰ﴾	إنذار - وعظ.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُ﴾.

معناه الإجمالي:

والله تعالى أعلم، ورزقنا إبراهيم ؏ بولدٍ صالح ونبي كريم وهو إسحاق ؏، وكذا رزقنا إسحاق بولدٍ صالح ونبي كريم، وهو يعقوب ؏، فهدينا هؤلاء أجمعين، ووفقناهم إلى طريق الحق والرشاد، وإلى الطريق المستقيم وكذا هدينا من قبلهم نوحًا، وهدينا من ذرية نوحٍ داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون، وبهذا الجزاء الذي جازينا به هؤلاء من هدايتهم إلى الطريق المستقيم نجزي كل محسن وكل منيب، فهدايتنا لا تقتصر على هؤلاء، بل نجزي كل محسنٍ بالهداية أيضًا.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم ؏ على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادًا خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين، منهم: ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب، ﴿كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾، يقول: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان، ﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾، يقول: وهدينا لمثل الذي هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحق

والصواب، فوفقناه له، نوحًا، من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وقال السعدي $: لما ذكر الله عبده وخليله، إبراهيم غ، وذكر ما منّ الله عليه به، من العلم، والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب.

وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه، الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين.

﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ الصراط المستقيم، في علمه وعمله.

وقال الحافظ ابن كثير $: يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامرأته سارة من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: 72، 73]، فبشروهما مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلًا وعقبًا، كما قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 112]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: 71]، أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده؛ فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم يعقوب، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم غ، حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله ٥ عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه؛ لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ

﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: 49]، وقال ها هنا: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ﴾.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ ...﴾ الآيات، اختلف العلماء في عود الضمير في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ فذهب فريق من أهل العلم إلى أنها عائدةٌ على نوح غ وليست بعائدة على إبراهيم غ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ ولوط ليس من ذرية إبراهيم غ.

وانتصر الطبري لذلك بقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾، و(الهاء) التي في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، من ذكر نوح.

وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطًا فقال: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ومعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية إبراهيم ﷺ أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفًا على أسماء من سمَّينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطًا ليس من ذرية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح. فلذلك وجب أن تكون (الهاء) في (الذرية)، من ذكر نوح.

فتأويل الكلام: ونوحًا وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدينا أيضًا من ذرية نوح، داود وسليمان.

و(داود)، هو داود بن إيشا، و(سليمان) هو ابنه: سليمان بن داود، و(أيوب)، هو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، و(يوسف)، هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، و(موسى)، هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، و(هارون)، أخو موسى.

وقال الحافظ ابن كثير $: وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾

أي: وهدينا من ذريته ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ﴾ الآية، وعود الضمير إلى نوح؛ لأنه أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه، وهو اختيار ابن جرير، وعوده إلى إبراهيم، لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك لوط؛ فإنه ليس من ذرية إبراهيم، بل هو ابن أخيه ماران بن أزر، اللهم إلا أن يقال إنه دخل في الذرية تغليبًا، كما في قوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: 133] فإسماعيل عمه ودخل في آبائه تغليبًا.

وكما قال في قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ [الحجر: 30، 31] فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود وذُمّ على المخالفة؛ لأنه كان في تشبه بهم، فعومل معاملتهم ودخل معهم تغليبًا، وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النار، والملائكة من النور.

وفي ذكر عيسى غ في ذرية إبراهيم أو نوح على القول الآخر: دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل؛ لأن عيسى غ إنما ينسب إلى إبراهيم غ بأمه مريم ژ ؛ فإنه لا أب له.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ معناه والله تعالى أعلم، وكما جازينا هؤلاء المذكورين وهديناهم فنجزي أيضًا كل محسن، فخرجت الآية الكريمة بمفهومها عن الخصوص إلى العموم تبشيرًا لأهل الإحسان في كل زمانٍ ومكان.

قال الطبري $: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: جزينا نوحًا بصبره على ما امتحن به فينا، بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذي خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له. وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا، كذلك نجزي بالإحسان كل

محسن.

هذا، والأنبياء المذكورون و ستأتي قصصهم بتفصيل في مواطنها إن شاء الله(1).

هذا، وعن نبي الله إلياس غ فهو نبي من أنبياء الله ٥ من ذرية نوحٍ غ ولا أعلم له ذِكر في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ.

وقد أورد الطبري: من طريق عبيدة بن ربيعة(2) عن ابن مسعود قال: (إدريس) هو (إلياس) فالله أعلم بالصواب من ذلك.

أما كونه هو (إلياسين) فهذا صحيح كما هو مفهوم من سياق الآيات في سورة الصافات، والله أعلم.

هذا، وعن ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ غ فهو نبي من أنبياء الله من ذرية نوح غ ولا أعلم له ذِكرًا في سندٍ صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ.

هذا، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ أي واخترناهم واصطفيناهم لإبلاغ رسالتنا إلى خلقنا. وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي ودللناهم طريق مستقيم يوصلهم إلى مرضاة الله ٥ وجناته، ووفقناهم لذلك وسهلنا ذلك عليهم وحببنا سلوك هذا الطريق إليهم.

قال الطبري $: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يقول: وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ، وذلك دين الله الذي لا عوج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربُّنا لأنبيائه، وأمر به عباده.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(1) وقد صدرت والحمد لله بعض قصصهم كقصة آدم ونوح وموسى وهارون وداود ويونس ويوسف -عليهم جميعًا صلوات الله وتسليماته-.

(2) وسنده صحيح إلي عبيدة بن ربيعة، أخرجه الطبري (13519).

قال الطبري $ في معناه: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾، هذا الهدى الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذي نالوا بإصابتهم إياه رضى ربهم، وشرف الدنيا، وكرامة الآخرة، هو ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾، يقول: هو توفيق الله ولطفه الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾، يقول: لبطل فذهب عنهم أجرُ أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملًا.

وقال ابن كثير $: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله لهم وهدايته إياهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ **[الزمر: 65]** الآية، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، كقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ **[الزخرف: 81]**، وكقوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ **[الأنبياء: 17]**، وكقوله: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ **[الزمر: 4]**.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

أما المراد بالكتاب هنا فهو عموم الكتب التي أنزلها الله ۵ على الأنبياء المذكورين، والتي منها صحف إبراهيم وموسى، والزبور الذي أنزل على داود غ والتوراة التي أنزلت على موسى وكذا الألواح، والإنجيل الذي أُنزل على عيسى غ.

أما (الحكم): فهو الفهم في الدين والإمامة فيه وإن كان بعضهم قد أوتى

الحكم بمعنى الملك كداود وسليمان وقبلهما يوسف ﻍ وغيرهم.

أما (النبوة): فمعلومة، والمعنى وجعلناهم أنبياء.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

فالمراد به، والله تعالى أعلم، أننا قد مننا يا رسول الله عليك بالقرآن وبالحجج والآيات، فإن كفر بها هؤلاء المشركون فهنالك من يؤمن بها ويقبلها شاكرًا، هنالك من رزقناهم الإيمان والهداية فقبلوا نعمتنا عليهم التي هي القرآن وما فيه من الحجج والآيات شاكرين لنعمنا مُثنين بها علينا.

والآية في معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: 107].

وفي معناها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ [المائدة: 54].

ثم إن أهل العلم اختلفوا في تعيين الذين قال الله عنهم: ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ فقال بعضهم إنهم الأنصار، فيكون المعنى إن كفرتم يا أهل الشرك من أهل مكة، فقد رزق الله أهل المدينة حب الإيمان وحب القرآن وحبَّ النبي عليه الصلاة والسلام.

وقال آخرون: إن المراد بالقوم الذين ليسوا بكافرين: الملائكة.

وقال آخرون: إنهم الأنبياء المذكورين في الآيات التي قبلها والتي مطلعها ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

وهذا الأخير هو اختيار الطبري $ فقد قال: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قولُ من قال: عني بقوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾، كفار قريش، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، يعني: الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية.

وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبرًا عنهم، أولى وأحق من أن يكون خبرًا عن غيرهم.

فتأويل الكلام، إذ كان ذلك كذلك، فإن كفر قومك من قريش، يا محمد، بآياتنا، وكذبوا وجحدوا حقيقتها، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رُسلنا وأنبياءنا من قبلك، الذين لا يجحدون حقيقتها، ولا يكذبون بها، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها.

قال ابن كثير $: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة، قال ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وقتادة، والسدي، وغير واحد، ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي: إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش، وغيرهم من سائر أهل الأرض: من عرب وعجم، ومليين وكتابيين ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا﴾، يعني المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ﴿لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي: لا يجحدون منه شيئًا، ولا يردون منها حرفًا واحدًا، بل يؤمنون بجميعها: محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

قال الطبري في معناه: يقول تعالى ذكره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾، يقول: تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضى، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، أنهم الأنبياء المسلمون في الآيات المتقدمة. وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك.

وأما على تأويل من تأول ذلك: أن القوم الذين وكّلوا بها هم أهل المدينة أو: أنهم هم الملائكة فإنهم جعلوا قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾، اعتراضًا بين الكلامين، ثم ردّوا قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، على قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾.

وقال ابن كثير $: ثم قال تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين، مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان: وهم الأشباه ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ أي: اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمرًا للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به.

(302) أحمر
أسود

فصلٌ في أبواب متفرقة في شأن الخليل إبراهيم ‏غ

محاجة إبراهيم ‏غ للملحد العنيد (النمرود)

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

معاني مفردات الآية المباركة:

الكلمة	معناها
﴿أَلَمْ تَرَ﴾	أرأيت -هل رأيت، وهي تحمل معنى التعجب أي: اعجبوا له -وقيل: المعنى: هل رأيت كالذي حاج إبراهيم.
﴿حَآجَّ﴾	جادل.
﴿فَبُهِتَ﴾	تحير - انقطع وسكت ولم تكن له حيلة.

المعنى الإجمالي للآية الكريمة:

يُذكر الله سبحانه وتعالى بما كان من الخليل إبراهيم ‏غ مع رجلٍ جبارٍ عنيد مُلحد، وكيف وأن إبراهيم ‏غ، حاجه وناظره وغلبه بالحجة ولم يخش اللقاء ولم تأخذه في الله لومة لائم، فمعلومٌ أن اللقاء بالجبابرة والظلمة لقاءٌ عسير إلا على من يسره الله عليه، فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ

﴿فِي رَبِّهِۦٓ﴾ ألم تر إلى هذا الكافر المعاند المجادل الملحد الذي جادل إبراهيم ﻏ في الله ۵ وكفر بالله ۵، وهذا المجادل لم يرد في تسميته شيء ثابت عن رسول الله ﷺ ومن العلماء من قال: إنه النمروذ بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح ملك زمانه وصاحب النار(1) والبعوضة(2)، وثمَّ أقوال أخر، والله تعالى أعلم(3).

هذا، ولم يكن يجدر بهذا المجادل أن يجادل، بل كان عليه أن يقدم شكرًا لله ۵ على ما منَّ به عليه من الملك، ولكن قابل نعمة الله ۵ بالجحود والنكران، فلأن الله ۵ آتاه الملك جادل في الله وفجر وألحد وكفر، فحاجه الخليل إبراهيم قائلًا ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ فإذا به يقول: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾.

فبدلًا من أن يُقرَّ لله ۵ بالقدرة والفضل إذا به يجادل بالباطل ويدعي أنه يحيى ويُميت.

أي فلما استدل إبراهيم ﻏ على قدرة الله ووحدانيته بأنه سبحانه يحيي ويميت إذا بالرجل يجادل بقوله: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ﴾ فقال الخليل عند ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ فما استطاع هذا الملحد أن يُقدِّم جوابًا على ما قاله الخليل ﻏ، بل تحيَّر وانقطع وعجز عن الإجابة ولم تكن له حيلة يردُّ بها ولكن مع ذلك لم يؤمن كما هو شأن أهل الظلم.

قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يوفق أهل

---

(1) يعني: الذي أوقد النار وألقى فيها إبراهيم عليه السلام.

(2) يعني: الذي دخلت في أنفه بعوضة: فكانوا يضربونه على رأسه سنين طويلة علاجًا له، والله أعلم.

(3) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة (5865)، قال: كنا نُحدَّث أنك ملك يُقال له: نمروذ، وهو أول ملك تجبر في الأرض وهو صاحب الصرح ببابل.
وأخرج الطبري أيضًا (5869) بإسناد صحيح إلى ابن زيد: هو نمروذ.

الظلم، ولا يلهمهم الحجة ولا البرهان ولا يهديهم للإيمان.

هذا، ومن العلماء من قال المراد بالظالمين الذين لا يهديهم الله هم من سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر والعياذ بالله والله تعالى أعلم.

NNO PMM

قصة إبراهيم ﷺ مع الطير التي أحياها الله له

إبراهيم ﷺ يطلب مزيدًا من الأدلة لطمأنينة قلبه مع كونه إمام التوحيد

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

المعنى الإجمالي للآية المباركة: يُذكر الله ﷻ بما كان من نبيه وخليله إبراهيم ﷺ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ يُريد بذلك الخليلُ ﷺ أن يزداد قلبه طمأنينة ويقينًا، وقد جاء ذلك صريحًا لما قال الله سبحانه وتعالى له: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ [البقرة: 260]؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي.

وسأله أيضًا ليترقى من علم اليقين، إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة، فإبراهيم ﷺ موقن بالبعث، ولكن اليقين يزداد إذا رأى ذلك عيانًا، والله تعالى أعلم.

فلا بأس أن يطلب المؤمن ما يزداد به قلبه طمأنينة ويقينًا وقد قال الحواريون لعيسى ﷺ: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فسألوا نزول مائدة من السماء كي تطمئن قلوبهم.

وقد قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ؓ: « **نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ:** ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾.....» الحديث(1)، ولأهل العلم في شرح هذا الحديث أقوال:

(1) أخرجه البخاري (3372) ومسلم (19).

القول الأول: إننا لم نشك في قدرة الله على إحياء الموتى؛ فإبراهيم أولى أن لا يشك منا، ففي هذا تواضع من رسول الله ﷺ، فالمعنى: لو كان إبراهيم شاكًّا لشككنا، فلما لم نشك نحن؛ كان إبراهيم أولى بأن لا يشك منا.

القول الثاني: إنه دخل قلب إبراهيم ما يدخل قلوب البشر.

القول الثالث: أن المعنى: نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم ﷺ.

وثم أقوال أُخر أولاها ما ذكرناه أولًا، وعليه جمهور المفسرين، والله تعالى أعلم.

فأعود قائلًا: فلما سأل إبراهيم غ ربَّه ٥ أن يريه كيف يحيى الموتى أمر الله ٥ أن يأخذ أربعة من الطير، وأي أنواع الطيور هي؟! لم يرد في ذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، فالإمساك عن الخوض فيما لم يُسمه الله ٥ ولم ترد تسميته عن رسول الله ﷺ أولى، فالعبرة حاصلةٌ على كل حال.

هذا، فلما أمره الله ٥ أن يفعل ذلك، أن يأخذ أربعة من الطير ويُصرهن إليه أي يجمعهن إليه ويضمهن إليه ويوثقهن ويقطعهن (بعد ذبحهن) قطعًا فعل ذلك الخليل غ، وفعل ما أمره الله ٥ به من كونه دعا هذه الطيور التي ذبحها وقطعها ووضع على كل جبل منهن جزءًا بعد تقطيعها فلما دعاها الخليل، وقد فعل بها ما فعل كما أمره الله ٥ إذا بها تأتيه مسرعة تطير وتجري كما كانت قبل تقطيعها، فازداد الخليل يقينًا، ومن ثمَّ أمره الله ٥ أن يزداد إيمانًا ويقينًا بقدرة الله ٥ وأنه سبحانه وتعالى لا يعجز عن شيء، فهو العزيز الذي لا يُغلب ولا يَعظُم عليه شيءٌ ولا يحول بينه وبين مراده حائل، حكيم سبحانه وتعالى فيما يأمر وفيما ينهى وفيما يشرع وفي كل شيء. هذا، والله أعلم.

هذا وقد قال الحافظ ابن كثير $ في قصص الأنبياء: والحاصل: أن الله

٥ أجابه إلى ما سأل، فأمره أن يعمد إلى أربعة من الطيور، اختلفوا في تعيينها على أقوال، والمقصود حاصل على كل تقدير، فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن، ويخلط ذلك بعضه في بعض، ثم يقسمه قسمًا ويجعل على كل جبل منهن جزءًا، ففعل ما أمر به، ثم أمر أن يدعوهن بإذن ربهن، فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه، وكل ريشة تأتي إلى أختها، حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه، وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للشيء كن فيكون، فأتين إليه سعيًا، ليكون أبين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيرانًا.

ويقال إنه أمر أن يأخذ رءوسهن في يده، فجعل كل طائر يأتي فيلقى رأسه فيتركب على جثته كما كان... فلا إله إلا الله.

وقد كان إبراهيم ﻍ يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علمًا يقينًا لا يحتمل النقيض، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عيانًا، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين! فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه غاية مأموله.

NNO PMM

كذب المشركين على إبراهيم وإسماعيل ث بتصويرهما وهما يستقسمان بالأزلام

قال الإمام البخاري $ [(1)]: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﭭ: «أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت. ورأى إبراهيم وإسماعيل ث بأيديهما الأزلام فقال: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلاَمِ قَطُّ».

رواية أخرى للحديث:

قال الإمام البخاري $: حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب قال: أخبرني عمرو أن بكيرًا حدثه عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس ﭭ قال: «دَخَلَ النَّبِي ﷺ الْبَيتَ فوجد فيه **صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ فَقَالَ** ﷺ: **«أَمَّا هُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ فَمَا بَالُهُ يَسْتَقْسِم»** [(2)].

NNO PMM

الأمر بقتل الوزغ لكونه كان ينفخ على إبراهيم غ في النار

قال الإمام البخاري $ [(3)]: حدثنا عبيد الله بن موسى -أو ابن سلام عنه- أخبرنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك ﭬ «أن رسول الله ﷺ **أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ** ، وَقَالَ: **«كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ غ»**.

---

(1) البخاري (3352).
(2) البخاري (3351).
(3) البخاري (3359).

اعتذار إبراهيم ﷺ عن الشفاعة العظمى يوم القيامة

قال الإمام البخاري $ [1]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن نصر حدثنا أبو أسامة عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﬁ قال: «أتى النبي ﷺ يومًا بلحم، فقال: **«إِنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيُنْفِذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ،** -فَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ- **فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنَ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ،** -فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ-، **نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى»**.

NNO PMM

---

(1) البخاري (3361).

إبراهيم غ يرغب (أي يلجأ) إلى رسول الله ﷺ للشفاعة العظمى يوم القيامة

وأخرج مسلم(1) من حديث أُبي بن كعب ڤ أن رسول الله ﷺ قال: «**يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ**».

إبراهيم غ أول من يُكسى من الخلائق يوم القيامة

قال الإمام البخاري $ (2): حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا المغيرة بن النعمان قال: حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس ڤ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي،**

(1) مسلم (حديث 820).

(2) البخاري (3349) ومسلم (2860). قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (6/ 449): وروى البيهقي في «الأسماء» من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعًا: أول من يكسى إبراهيم حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ويؤتى بي فأكسى حلة لا يقوم لها البشر ويقال إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك لكونه ألقى في النار عريانًا، وقيل لأنه أول من لبس السراويل. ولا يلزم من خصوصيته غ بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة، ويمكن أن يقال لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه.

فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾-إلى قوله-: ﴿الْحَكِيمُ﴾».

التفاف أولاد المشركين حول إبراهيم غ

في رؤيا منامية لرسول الله ﷺ

وأخرج البخاري(1) الحديث مطولًا في كتاب التعبير من صحيحه من حديث سمرة بن جندب أيضًا، وفيه كان رسول الله ﷺ مما يُكثر أن يقول لأصحابه «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا» ... فذكر الحديث وفيه «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ(2) فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ(3)وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ... -فذكر الحديث وفيه-: وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ»

NNO PMM

(1) البخاري (7047).
(2) هذا وصف لها بشدة الاخضرار كما في قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.
(3) أي من كل ألوان الأزهار.

لقاء إبراهيم غ بأبيه آزر
يوم القيامة وماذا كان في هذا اللقاء

قال الإمام البخاري $ (1): حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال: أخبرني أخي عبد الحميد عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ف عن النبي ﷺ قال: **«يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لاَ أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»**.

وصية الخليل غ ووفاته

قد ذكر بعض أهل العلم أقوالًا في شأن الخليل إبراهيم غ ومولده ووفاته، ولم أقف على ما يؤيد ذلك بالدليل من الكتاب العزيز ولا من السُّنة الصحيحة. ولذا أعرضت عن ذِكره، والله أعلم.

وصية الخليل غ لأبنائه بالثبات على الإسلام حتى الممات

قد تقدم أن الخليل أوصى أبناءه بالثبات على الإسلام قال تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

---

(1) البخاري (3350).

وقال الحافظ ابن كثير $ (قصص الأنبياء) والعهدة عليه فيما ذكر $، إذ لم أقف على أسانيد تقوى ما قاله:

ذكر وفاة إبراهيم الخليل وما قيل في عمره

ذكر ابن جرير في تاريخه: أن مولده كان في زمن النمرود بن كنعان، وهو -فيما قيل- الضحاك الملك المشهور، الذي يقال له إنه ملك ألف سنة، وكان في غاية الغشم والظلم.

وذكر بعضهم أنه من بني راسب الذين بعث إليهم نوح غ، وأنه كان إذ ذاك ملك الدنيا، وذكروا أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر، فأهلك ذلك أهل ذلك الزمان، وفزع النمرود فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك، فقالوا: يولد مولود في رعيتك يكون زوال ملكك على يديه، فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء، وأن يقتل المولودون من ذلك الحين، فكان مولد إبراهيم الخليل في ذلك الحين، فحماه الله ۵ وصانه من كيد الفجار، وشب شبابًا باهرًا، وأنبته الله نباتًا حسنًا، حتى كان من أمره ما تقدم.

وكان مولده «بالسُّوس» وقيل «ببابل»وقيل «بالسواد» من ناحية «كوثى» وتقدم عند ابن عباس أنه ولد ببرزة شرقي دمشق فلما أهلك الله نمرود على يديه هاجر إلى حران، ثم إلى أرض الشام، وأقام ببلاد إيليا كما ذكرنا، وولد له إسماعيل وإسحاق. وماتت سارة قبله بقرية «حبرون» التي في أرض كنعان، ولها من العمر مائة وسبع وعشرون فيما ذكر أهل الكتاب فحزن عليها إبراهيم غ ورثاها رحمها الله واشترى من رجل من بني «حيث» يقال له عفرون بن صخر مغارة بأربعمائة مثقال، ودفن فيها سارة هنالك.

قالوا: ثم خطب إبراهيم على ابنه إسحاق فزوجه «رفقا» بنت بتوئيل

بن ناحور بن تارح، وبعث مولاه فحملها من بلادها ومعها مرضعتها وجواريها على الإبل.

قالوا: ثم تزوج إبراهيم غ «قنطورا» فولدت له زمران، ويقشان، ومادان، ومدين، وشياق، وشوح. وذكروا ما ولد لكل واحد من هؤلاء أولاد قنطورا.

وقد روى ابن عساكر عن غير واحد من السلف، عن أخبار أهل الكتاب في صفة مجيء ملك الموت إلى إبراهيم غ أخبارًا كثيرة الله أعلم بصحتها وقد قيل إنه مات فجأة، وكذا داود وسليمان. والذي ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك.

قالوا: ثم مرض إبراهيم غ، ومات عن مائة وخمس وسبعين، وقيل وتسعين سنة، ودفن في المغارة المذكورة التي كانت بحبرون الحيثي عند امرأته سارة في مزرعة عفرون الحيثي، وتولى دفنه إسماعيل وإسحاق -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وقد ورد ما يدل على أنه عاش مائتي سنة كما قاله ابن الكلبي.

وأورد الحافظ أحاديث وآثارًا ضعيفة الأسانيد أعرضت عن ذكرها عن عمد.

قصة إسماعيل ؟

هذا مزيدٌ من الحديث عن نبي الله إسماعيل ؟ فأقول، وبالله التوفيق: قد تقدم كثيرٌ من الحديث عن نبي الله إسماعيل ؟، ويمكن تلخيص ما سبق مع إضافة التتمات المتعلقة بهذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- في هذا المقام.

فأقول -مستعينًا بالله-: تقدم أن سارة ؟ لما أُدخلت على الجبار، وسلمها الله، ونجاها منه، أعطاها هذا الملكُ الجبار هاجرَ كهدية منه لها أي كأمةٍ كي تخدمها، فخرجت سارة ؟ بهاجر فسألها الخليل إبراهيم ؟ عما صنع الله بها مع هذا الجبار قائلًا (مهيم) أي ما الخبر؟ فقالت: ردَّ الله يد الكافر وأخدم هاجر أي أعطاني إياها هدية.

وذُكر أيضًا في بعض الروايات أنها (آجر).

فالحاصل: أنها أخذتها وقبلتها، وبعد ذلك وهبتها سارة لإبراهيم ؟.

وكان الخليل ؟ يدعو ربَّه ؟ بالذرية الصالحة، وكما سلف، فإنه كان يقول: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومما يدل على أنه كان يدعو أيضًا قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

فالحاصل: أنه كان يدعو بالذرية الصالحة، فلما أهدت له سارةٌ هاجرَ ؟، ودخل بها إبراهيم ؟ حملت هاجر بإسماعيل ؟.

واستجاب الله دعوة خليله إبراهيم ﷺ، قال بعض أهل العلم: فحصل بين سارة وهاجر ؟ ما يحصل بين البشر، ودبَّ بين إبراهيم ؟ وبين سارة بعض ما يكون بين البشر، ولا أعلم لتفاصيل ذلك كبير مستند إلا ما ذكره ابن عباس في حديث طويل قد تقدم، وأكثره موقوف على ابن عباس ؟ ففيه

أول ما اتخذ النساء المنطق(1) من قبل أم إسماعيل اتخذت مِنطقًا لتُخفي أثرها على سارة.

وفي الرواية الأخرى عند البخاري أيضًا، وقد تقدمت: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل... فذكر الحديث وقد تقدم.

فالحاصل: أنه دبت بين إبراهيم وسارة، وبين سارة وهاجر بعض الأمور مع صلاحها، وما السبب في ذلك؟ لا أعلم شيئًا مسندًا عن رسول الله ﷺ بسندٍ صحيح يوضح سبب ذلك، وإن كان بعض العلماء قد ذكر أسبابًا منها الغيرة، ومنها أن هاجر تعاظمت على سيدتها سارة لما حملت هاجر بإسماعيل وأمور أُخر ذُكرت بلا مستند(2).

---

(1) المنطق أي النطاق.

(2) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله صـ 181:

ذكر مولد إسماعيل عليه السلام من هاجر

قال أهل الكتاب: إن إبراهيم غ سأل الله ذرية طيبة. وإن الله بشره بذلك، وأنه لما كان لإبراهيم، ببلاد بيت المقدس عشرون سنة قالت سارة لإبراهيم غ : إن الرب قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقك منها ولدًا. فلما وهبتها له دخل بها إبراهيم عليه السلام، فحين دخل بها حملت منه.

قالوا: فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها، فغارت منها سارة فشكت ذلك إلى إبراهيم، فقال لها: افعلي بها ما شئت فخافت هاجر فهربت فنزلت عند عين هناك. فقال لها ملك من الملائكة: لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرًا وأمرها بالرجوع وبشرها أنها ستلد ابنًا وتسميه إسماعيل، ويكون وحش الناس، يده على الكل، ويد الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته. فشكرت الله ٥ على ذلك.

وهذه البشارة انطبقت على ولده محمد -صلوات الله وسلامه عليه-، فإنه الذي به سادت العرب، وملكت جميع البلاد غربًا وشرقًا وآتاها الله من العلم النافع، والعمل الصالح ما لم تؤت أمة من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرسل. وبركة رسالته ويمن سفارته وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته إلى جميع أهل الأرض.

ولما رجعت هاجر وضعت إسماعيل غ،قالوا: وولدته ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة.

=

فالحاصل من ذلك أن هاجر حملت بإسماعيل غ ثم ما لبثت أيضًا سارة ژ أن أكرمها الله ٥ وبُشرّت بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

فأعود قائلًا إن إسماعيل غ هو: ابن إبراهيم ابن آزر وأم إسماعيل هي هاجر ژ.

ثمَّ إنه لما وُلد غ ذهب به أبوه ومعهما هاجر أم إسماعيل إلى مكة كما تقدم في أثر ابن عباس الطويل في ذلك وأكرم إسماعيل وأمه هاجر ث ببئر زمزم فقد فجرها الملكُ بإذن ربّه ٥ لهما.

هذا، وبعد أن انصرف إبراهيم غ من عند هاجر وإسماعيل وتركهما دعا لهما كما تقدم بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

فاستجاب الله ٥ دعوة إبراهيم غ، وجاء أهل بيت من جُرهم فنزلوا بجوار هاجر وإسماعيل ث عند بئر زمزم بعد أن استأذنوا هاجر في النزول بجوارها.

ثم إن إسماعيل غ شبَّ في وسط هؤلاء القوم، وأعجبوا بذكائه، وأعجبوا به عمومًا، وتعلم منهم اللغة العربية، وتزوج إسماعيل غ امرأة منهم كما تقدم، ثم ماتت هاجر ژ بعدما تزوج إسماعيل غ ثم إن إبراهيم غ جاء يتفقد ولده وأحوال ولده إسماعيل ولم يجده فترك وصية له مع امرأته أن يُغير عتبة بابه -أي يطلق زوجته- ففعل إسماعيل وفارقها ثم جاء إبراهيم

= ولما ولد إسماعيل أوحى الله إلى إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة، فخر لله ساجدًا، وقال له: قد استجبتُ لك في إسماعيل وباركتُ عليه وكثرته ونميته جدًّا كثيرًا، ويولد له اثنا عشر عظيمًا، وأجعله رئيسًا لشعب عظيم.

قلت: والمستند الذي ذكره الحافظ ابن كثير لذلك إنما هو قوله: قال أهل الكتاب ومثل هذه الأخبار لا يستطيع الشخص أن يجزم بصحتها لما عُهد عن أهل الكتاب من التحريف والتبديل... فالله أعلم.

زيارة أخرى وأوصى بوصية وهي أن يُثبت عتبة بابه أي يمسك زوجته ولا يُطلقها. ففعل إسماعيل ما أمره به أبوه إبراهيم غ وأمسك هذه الزوجة الصالحة ولم يطلقها.

ويبدو -والله تعالى أعلم- أن إبراهيم غ جاء إلى مكة مرات ومرات غير المرات المذكورة في أثر ابن عباس ڤ، وكان قد رأى الرؤيا الشهيرة التي قد تقدم بيانها، وهي رؤياه أن يذبح ولده، فالذبيح هو إسماعيل غ كما تقدم ذلك مبسوطًا فعرض إبراهيم على ولده إسماعيل غ أمر الرؤيا التي رآها فامتثل إسماعيل غ أمر والده بل أمر الله ۵، فقد قال عددٌ من أهل العلم إن رؤيا الأنبياء وحيٌ بل ووجه لأبيه مزيدًا من التذكير والنصح ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وبالفعل استسلم إسماعيل مع أبيه إبراهيم ث لأمر الله ۵ وتلَّه إبراهيم غ للجبين، أي طرحه على الأرض على وجهه كي يذبحه ولكن جاء الفرج وجاء الفداء من عند الله ۵، فقد فُدِّي إسماعيل غ بذبح عظيم، فبدلًا من أن يذبح إسماعيل ويحزن أبوه عليه جاء الفرج وانقلب الابتلاء العظيم إلى سعادة عظيمة، سعادة بامتثال أمر الله ۵، ثم سعادة بالإنجاء، ثم سعادة بالذبح العظيم.

ويالَه من ابتلاء شاقٍ، يالَه من ابتلاء عسير وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾.

فنعم لقد كان بلاءًا عظيمًا، فرجل كبير السن كان مشتاقًا إلى الولد فرزق بالولد على الكبر فسعد بالولد وبإجابة الله ۵ دعاءه ثم ها هو الولد يشتد ويشتد ويقوى على المسير وقضاء الحوائج لأبيه وأمه إذا بالأب يُؤمر بذبح الولد؟!!.

فحقًّا إنه ابتلاء شاق على الوالد!!!

وأيضًا فإنه ابتلاءٌ أشق على الولد!!

وابتلاء لأم الولد!! ابتلاء لهاجر ژ!!
ولكن الكل صابرٌ ومحتسبٌ!!
الكل ممتثل لأمر الله ۵!!
الكل واثق في اختيار الله ۵ راض به!!

فسلم ربُّ العزة إسماعيل ونجاه!! وجعله الله من الصابرين وكتبه في عدادهم إذ قال ۵ : ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وجعله الله من أهل الصلاح ومن أهل الجنة المرحومين، قال تعالى: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

فحقًّا قد كان إسماعيل صابرًا صالحًا.

لقد وفى حينما وفقه الله إذ قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

فحقًّا لقد كان من الأخيار كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ فكتب الله الثواب والأجر العظيم لإبراهيم وكتب الأجر العظيم لإسماعيل، وكذا لهاجر عليهم جميعًا السلام فيا لها من أسرة مباركة يا لها من أسرة كريمة مؤمنةٍ محسنة صابرة حسنة التوكل على الله وحسنة الامتثال لأمر الله ۵ فيا هنيئًا لك يا خليل الرحمن ويا هنيئًا لك يا صادق الوعد يا إسماعيل عليكما السلام وهنيئًا لهاجر ژ بصبرها وثباتها واحتسابها وحسن يقينها وحسن ظنها بربها الكريم!.

هذا، وقد تقدمت قصة الذبيح بتوسعٍ فارجع إليها أيها القارئ الكريم إن شئت.

وأعود قائلًا: وكما سلف لقد شب إسماعيل غ وسط القوم الذين هم من جُرهم ونشأ فيهم وتزوج منهم وتعلم منهم لغة العرب كما أسلفت قريبًا.

عمل إسماعيل غ وقد كان راميًا

هذا، وقد كان إسماعيل غ يعمل بالصيد، فكما تقدم أن إبراهيم غ لما جاء لزيارته سأل امرأته أين إسماعيل؟ فقالت: ذهب يصيد.

وفي الحديث: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا**»(1)، وفي أثر ابن عباس الطويل الذي تقدم ثم لبث «أي إبراهيم غ ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك إسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة...»

وأيضًا فقد كان يعمل برعي الأغنام، فقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى غَنَماً...**» الحديث.

وسبق أيضًا البيان عن أن أغلب طعامهم كان اللحم.

NNO PMM

(1) أخرج البخاري (2899) من حديث: «سلمة بن الأكوع ف قال: مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي ﷺ: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا**».

إسماعيل غ ومساعدته لأبيه في بناء الكعبة

تقدم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فشارك إسماعيل غ أباه في بناء الكعبة كما سبق وقد تقدم في أثر ابن عباس ڤأن إبراهيم غ قدم للاطلاع على تركته فجاء فوافق إسماعيل غ من وراء زمزم يصلح نبلًا له فقال: يا إسماعيل إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا فقال: أطع ربك، قال: إنه أمرني أن تُعينني عليه قال: إذن أفعل، أو كما قال قال: فقاما فجعل إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(1).

وفي الرواية الأخرى عند البخاري(2): فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

فالحاصل من ذلك: أن مشاركة إسماعيل لإبراهيم ث كانت بأمرٍ من الله ٥ كما في قول الخليل غ.... «إنه أمرني أن تعينني عليه....» فيا هنيئًا لإبراهيم ويا هنيئًا لإسماعيل ث ببناء أعظم بيت على وجه الأرض.

ويا هنيئًا لهما بإخلاصهما لله في عملهما!!

ويا هنيئًا لهما بسؤالهما الله ٥ القبول!!!

---

(1) انظر البخاري (3365).

(2) البخاري (3364).

هذا وعن ما يسميه الناس الآن حجر إسماعيل فلم أقف لهذه التسمية على أصلٍ بسندٍ صحيح وإنما يُسمى الحِجر، وهو كما سبق بيانه من الكعبة وهو الجزء المُحاط بسور قصير حول الكعبة، وقد تقدم بيانه والله أعلم.

وأما ما ذكره الحافظ ابن كثير $ في قصص الأنبياء من أن إسماعيل دُفن بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعًا وثلاثين سنة - فلا يصح له إسنادٌ، والله تعالى أعلم.

إسماعيل ﷺ والإيحاء إليه والكتاب الذي أنزل عليه

أقول -وبالله التوفيق-: قد جعل الله ﷻ إسماعيل ﷺ رسولًا نبيًّا كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

ومن ثَمَّ فقد أُوحى إليه ﷺ، ونزل عليه كتاب من عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

فأفادت الآية الكريمة أنه ﷺ قد أُوحى إليه ويتأكد ذلك أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

وقد أنزل عليه كتاب من عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: 136].

ونحوها في آل عمران: قال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [آل عمران: 85].

هذا، وقد كان إسماعيل ﷺ رسولًا إلى القوم الذين نشأ فيهم ومن حولهم، أي إلى أهل مكة والبلاد المحيطة بها من قبائل جُرهم والعماليق وأهل اليمن، كذا أشار الطبري ؒ.

إسماعيل غ صادق الوعد

قد وصف الله ٥ إسماعيل غ بأنه صادق الوعد، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

وقد ذكر العلماء أسبابًا لوصفه بصادق الوعد لم أقف لكثير منها على سندٍ صحيح، ويكفينا ما وصفه الله ٥ به من أنه كان صادق الوعد وقد التمس بعض العلماء أسبابًا لذلك من كتاب الله ٥ منها أنه وفى لما قال لأبيه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وذلك حينما قال له أبوه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾.

ووفى أيضًا لما وعد أباه بأنه سيعينه في بناء البيت، كما تقدم في أثر ابن عباس ﭭ فلم يخلف غ موعدًا.

خصال كريمة لإسماعيل ﻍ وبعض فضائله

هذا، وقد وصف إسماعيل أيضًا بأنه صابرٌ وحليم فهو الغلام الحليم المذكور في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقد كان والحمد لله، كان إسماعيل من الصابرين إذ الله قال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: 85- 86].

وُوصف أيضًا بأنه خيِّر من الأخيار، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: 48].

وكان أيضًا عند ربه مرضيًا، قال تعالى في شأنه: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ فعلى ذلك فأسماعيل ﻍ رسولٌ نبيٌّ حليمٌ مرضيٌّ عند الله، صادق الوعد، صابرٌ، ومن الأخيار ثم إنه من المفضلين على العالمين، قال تعالى:﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ثم إنه داخلٌ في آل إبراهيم الذين أمرنا بالصلاة عليهم وبالتبرك عليهم، ففي الحديث قولوا: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».**

وأيضًا فهو داخل في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

ثم إنه من المصطفين، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

إسماعيل وأهل بيته

ولم يُقصِّر إسماعيل في نصح أهل بيته وتذكيرهم فقد كان يوصيهم ويأمرهم بالصلاة والزكاة قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾، وكما سبق فلما أوصاه أبوه بتغيير عتبة بابه أي زوجته التي لم تكن شاكرة لله ٥ فارقها إسماعيل بناء على وصيته أبيه له بذلك، واستبدلها بزوجة صالحة حافظ عليها وأكرمها بصلاحها ودينها كما أوصاه بذلك أبوه الخليل ﻍ.

وقد كان إسماعيل ﻍ مُسلمًا

قال الله ٥: قال الخليل وإسماعيل ﮋ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

ذرية إسماعيل غ ووفاته

هذا، ولم أقف على أسانيد صحيحة تثبت أسماء أولاد إسماعيل غ، ولا بناته، ولكن على آية حال كانت له ذريةٌ ومنها نبينا محمد ﷺ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه «**إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كنانَة، واصْطَفَى مِن قُريْشٍ بَنِى هاشِمٍ، وَاصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِمٍ**».

هذا، وقد نقل الحافظ ابن كثير $، عن الطبري في التاريخ في شأن وفاة إسماعيل قوله: «ولما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوَّج ابنته (نسمة) من ابن أخيه «العيص» بن إسحاق فولدت له الروم، ويُقال لهم بنو الأصفر لصفرةٍ كانت في العيص وولدت له اليونان في أحد الأقوال ومن ولد العيص الأشبان قيل منهما أيضًا وتوقف ابن جرير $».

ولم أقف لذلك على إسناد صحيح، والله تعالى أعلم.

NNO PMM

ذِكر نبي الله إسحاق غ

تقدم في ثنايا قصة إبراهيم غ كثيرٌ من ذِكر إسحاق غ وكان مما تقدم أن إبراهيم غ بُشِّر بإسحاق غ عندما قدمت عليه الملائكة عليهم السلام وهم في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط، وقد كان الخليل ﷺ يدعو ربَّه ٥ بأن يُرزق بالولد الصالح كما تقدم، إذ قد كان يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وقد استجيبت دعوته على الكبر كما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، وكما قالت سارةُ ژ ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾.

أما عن البشارة بإسحاق فقد ذُكرت مجملة في قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: 112- 113].

وذُكرت بشيء من التفصيل في قول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ ﴾ [هود: 69- 73].

وقال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: 51- 56].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟

سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: 24- 30].

فالحاصل من ذلك: أن الملائكة و بشَّروا إبراهيم وسارة ث بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، أي وبشروهما بأن إسحاق سيُرزق بيعقوب غ وكان ذلك على الكبر كما تقدم.

وكما تقدم فإن النبي ﷺ قال: «**الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يوسفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**».

وفي رواية: «**نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**».

وكما تقدم أن هذا فيه أقوى الدلالات على أن الذي أُمر إبراهيم غ بذبحه إنما هو إسماعيل، لأنه لم يكن إبراهيم غ ليبشر بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير، فكيف يتأتى يعقوب بعد ذلك.

وأرجع فأقول: إن أم إسحاق هي سارةُ ژ، وهذا بالاتفاق.

فعلى ذلك فإسحاق غ هو ابن إبراهيم غ.

وأمه سارة وابنه يعقوب ث، وإسماعيل هو أخو إسحاق لأبيه.

وهل لإسحاق غ أولاد آخرون غير يعقوب.

قد ذكر ذلك عددٌ من أهل العلم، ولكن عن أسمائهم وقصصهم فلم أقف على شيء ثابت عن رسول الله ﷺ إلا أن الله ۵ قال في شأن الخليل إبراهيم غ وشأن إسحاق ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ فأفادت الآية الكريمة أن إسحاق غ أيضًا كان في ذريته من هو محسنٌ، ومنهم من هو ظالم لنفسه واضح الظلم معروف

به.

فعلى ما ذُكر فيمكن تلخيص القول في شأن إسحاق غ – بناءً على ما ورد في الكتاب العزيز على النحو التالي[(1)]:

قد رُزق إبراهيم وزوجته سارة ژ بإسحاق على الكبر، وذلك بعد أن رزق إبراهيم بإسماعيل غ فإسماعيل -كما فُهم من الآيات إذ قد تقدم في الذكر- هو الأكبر ثم رزق الخليل بإسحاق غ من سارة عند كبرهما وقد دعا إبراهيم له بقوله: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ وقد كان الخليل يعوِّذه في صغره مع تعويذه لإسماعيل ث.

وقد كان إسحاق غ مسلمًا، ولم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا مشركًا.

قال تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

وقال الصديق يوسف غ: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾.

ثم إنه أوتي النبوة غ، فهو نبي كريم. قال تعالى في شأن خليله إبراهيم غ: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ أي لما اعتزل الخليل إبراهيم قومه وابتعد عنهم: ﴿وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ

(1) فالأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ شحيحةٌ جدًّا، ولا أكاد أذكر منها إلا حديث رسول الله ﷺ في شأن تعويذ إبراهيم غ لإسماعيل وإسحاق بقوله: « **أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**». وقد تقدم.

عَلِيّٗا﴾.

فأفادت الآيات، أن إبراهيم ‹ رزق بإسحاق بعد مفارقته أهل الشرك وأفادت أيضًا أن إسحاق ‹ نبي.

وأفادت أيضًا أن الملائكة تثنى عليه في الملأ الأعلى وذلك من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾.

فعلى ذلك فهو نبي كريم قد هداه الله ﻷ ووفقه كما قال: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَا﴾.

وجعله الله إمامًا للناس في زمانه وفي مكانه ‹.

قال تعالى في شأن الخليل ‹: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

ثم إنه قد أُوحي إليه وأنزل الله عليه كتابًا.

قال تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

هذا، وقد أحسن الله ﻷ الثناء على إسحاق ‹ وعلى أبيه إبراهيم ‹ وعلى ابنه يعقوب ‹.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ أي: الأقوياء العلماء وكذا ذوو الفضل على الناس بعد فضل الله ﻷ عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ أي ميزناهم بميزة عظيمة

واختصصناهم بخاصية عظيمة ألا وهي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ أي كثرة تذكرهم للدار الآخرة وإن كان غيرهم يذكر الدار الآخرة أيضًا لكن هؤلاء و اختصوا بمزيدٍ من ذلك، وهذه فضيلة عظيمة أن يكثر الشخص من تذكر الدار الآخرة فيحمله هذا التذكر على فعل الخيرات وترك المحرمات والاجتهاد في العبادات.

ثم بين الله ۵ عظيم منزلتهم عند الله ۵ بقوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

فعلى ذلك كان إسحاق غ نبيًّا كريمًا إمامًا صالحًا مصطفى مختار مُسلمًا مهديًّا مباركًا عابدًا مقيمًا للصلاة مؤديًا للزكاة، قويًّا عالمًا خاشعًا ذاكرًا للآخرة أوحى الله ۵ إليه وأنزل عليه كتابًا، وله من الأجر عند الله عظيم الأجر وجميل الثواب، وأثنى الله ۵ عليه إذ قال: ﴿ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

وتثنى عليه الملائكة في الملأ الأعلى كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾.

ونحن أيضًا نثني عليه، فنصلي عليه في صلاتنا ونطلب من الله أن يبارك عليه في كل صلاة نصليها فهو من آل إبراهيم وفي صلاتنا كما تقدم **««اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

فصلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم وعلى آله الطيبين المقربين، وصلاة وسلامًا على جميع الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ذِكر نبي الله يعقوب غ واسمه أيضًا (إسرائيل)

تقدم شيءٌ مما يتعلق بنبي الله يعقوب غ في قصة الخليل إبراهيم غ وكذا في قصة إسحاق غ وكذا سيأتي مزيدٌ مما يتعلق به في سورة يوسف غ وأقول في هذا المقام إن يعقوب غ الذي هو إسرائيل ﷺ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه، وقد بُشِّر به الخليل إبراهيم ﷺ وبُشِّرت به جدته سارة ڑ، إذ الله قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

وقد كان يعقوب غ نبيًّا كريمًا.

فقد قال الله ۵ في شأن إبراهيم غ لما اعتزل قومه: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: « **الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ: يوسفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ** ».

وفي رواية: «**نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ**».

وهو نبي مهتدٍ، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾.

وأيضًا فإنه نبي صالح قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾.

إنه نبي قويٌ عالم قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ أي الأقوياء العلماء.

ميَّزه الله مع والديه بميزة فاقت كثيرين من الناس ألا وهي كثرة تذكرهم للدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾.

ثم إنه قد أُوحى إليه وأنزل الله عليه كتابًا.

دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

ثم إن الله ٥ خصه بمزيد من العلم إذ قد قال يعقوب ع لأبنائه: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وأتم الله ٥ نعمته عليه إذ قال في شأن يوسف ع: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

فنعمةٌ عظيمة على يعقوب ع أن جعله الله نبيًّا وأن يكون من أبنائه أيضًا أنبياء فضلًا عن كون أبيه وجده نبيان كريمان، فحقًّا إنها نعمة من أعظم النعم، ومن أبنائه الذين هم أنبياء يوسف ع فهو نبي بلا خلافٍ، أما سائر أبناء يعقوب الذين هم إخوة يوسف، والذين هم الأسباط على رأي عددٍ من العلماء، فالخلاف قائم في نبوتهم فالذين قالوا إن إخوة يوسف هم الأسباط قالوا بنبوتهم لقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

ونحوها في قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

ولقوله تعالى: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾.

أما الذين قالوا إن الأسباط هم قبائل بني إسرائيل وبطون بني إسرائيل فلم يقولوا بنبوة إخوة يوسف ع.

وقد قدمت شيئًا من ذلك في سورة يوسف ع وقصته.

وأعود فأقول: إن إبراهيم غ وزوجته (سارة) ژ بُشرا بإسحاق وبأن إسحاق سيرزق بيعقوب غ كما سلف، وقد كان والحمد لله رُزق إسحاق بيعقوب ث، ومن ثمَّ فقد تربى يعقوب غ في بيت نبوةٍ صالح وكريم.

ولم يرد في سنة رسول الله ﷺ كبير شيءٍ في شأن يعقوب -عليه الصلاة والسلام-، وعلى آية حال فقد ورد كثيرٌ من ذِكره في سورة يوسف وفي سورة البقرة وعرضًا في سور أُخر.

وقد ابتلى هذا النبي الكريم ابتلاء عظيمًا فصبر على البلاء صبرًا عظيمًا وكان عنده حسن ظن عظيم بالله ٥ ، فلم ييأس من رحمة الله، ولم يشك في فرج الله سبحانه وتعالى بل في كل أوقاته ذاكرًا لله ٥ يرجو رحمته.

وبشيء من الإيجاز أذكر بقصته من سورة يوسف غ.

فأقول -وبالله تعالى التوفيق-: لقد تزوج يعقوب غ بأكثر من زوجةٍ فرزق بعشر ٍمن الولد، ورزق من زوجة من بعض أزواجه أخرى بولدين، وهما: يوسف غ وأخوه، الذي قد أطلق عليه جمهور العلماء بنيامين.

فعلى هذا فقد كان ليعقوب غ اثنا عشر ولدًا، وكان أحبهم إليه يوسف غ، فقد أحبه يعقوب حبًّا شديدًا وقرَّبه إليه تقريبًا وأحاطه بعنايةٍ ورعايةٍ فائقتين فقد استشعر أن يوسف غ سيكون له شأن عظيم، وذلك لديانته وفهمه العظيم ورأيه السديد وكريم أخلاقه وحسن سمته ودلِّه فضلًا عن حُسنه وجماله فقد أوتي يوسف غ شطر الحسن.

فالحاصل: أنه أحبه حبًّا شديدًا، ولا لوم عليه ولا تثريب فالذي يقذف المحبة في القلوب هو الله ٥، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ أي: محبة في قلوب العباد.

وقال تعالى في شأن موسى غ: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ فالذي يقذف

المحبة في قلوب العباد هو الله ﻷ فمن ثمَّ فلا تثريب على يعقوب ﵇ في هذا الباب إلا أن هذه المحبة العظيمة والعناية والرعاية الفائقتين أثارت أشياء في صدور إخوة يوسف ﵇ تجاه يوسف ﵇ وتجاه أبيهم أيضًا، فأضمروا أشياء في أنفسهم تجاه أخيهم يوسف ﵇.

ثم إن الله سبحانه وتعالى منَّ على يوسف ﵇ برؤيا في منامه، رؤيا حق إن شاء الله، فقصها على أبيه يعقوب ﵇، رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رآهم له ساجدين، فوقعت هذه الرؤيا في قلب يعقوب ﵇ موقعًا عظيمًا فأوصى يوسف ﵇ بوصية، قائلًا له فيها: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ ثم إن يعقوب ﵇ وبما علمه الله ﻷ استشعر أن يوسف ﵇ سيكون له شأن عظيم.

فقال ليوسف ﵇: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(1).

أي وكذلك يتفضل الله ﻷ عليك بالعلم والنبوة وتعبير الرؤيا ويتم هذه النعمة على آل يعقوب بوجودك بينهم يا يوسف وبأن يجعلك نبيًّا فيهم، ومفضلًا عليهم كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق بأن جعلهما نبيين كريمين إن ربك عليم بخلقه وبكل شيء حكيم فيما يصنع ويشرع ويجتبى ويختار.

فالحاصل: أن يعقوب ﵇ أوصى يوسف ﷺ بهذه الوصية: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ ولكن هل أخبر يوسف إخوته بذلك أم لم يُخبرهم؟!

---

(1) وهل قائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى أم أن قائله يعقوب ﵇ قاله ليوسف، وذكرنا به الله ﻷ؟! في ذلك، وجهان، والله أعلم.

لم يرد في ذلك تفصيل فالله أعلم.

إلا أن إخوة يوسف غ لاحظوا محبة يعقوب العظيمة ليوسف غ ولأخيه الشقيق (بنيامين)(1) فبدأ تآمرهم على يوسف غ، فتآمروا عليه مؤامرة عظيمة ووصفوا أباهم بالضلال في تصرفه مع يوسف غ إذ قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في بُعدٍ عن الحق عظيم، وقرروا قتل يوسف غ أو طرحه في أرضٍ بعيدةٍ لإخفائه عن أبيه بالكلية فدخلوا على يعقوب غ بحيلة من الحيل قائلين ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فاعتذر يعقوب غ بعذرين:

أحدهما: ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ أي يشق على فراقه وبُعده عني.

الثاني: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ فحينئذ أجاب إخوة يوسف بقولهم: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

فالحاصل: أنهم أقنعوا أباهم بأن يترك لهم يوسف غ يخرج معهم فوافق يعقوب غ، ولا يغني حذرٌ من قدرٍ وكان من أوهم مع يوسف غ، ما كان مما قصه الله ٥ في كتابه في سورة يوسف غ، فقد كان من أمرهم أن ألقوا يوسف غ في البئر ورجعوا إلى أبيهم بقميص يوسف غ وعليه بعض الدماء المكذوبة المفتراة مُوهمين أباهم أن الذئب قد أكل يوسف غ، فقد تأخروا حتى دخل الليل كي يحكموا التلبيس على أبيهم وكي يُتقنوا الغش ويتصنعوا البكاء!

فجاءوا أباهم عشاءً يبكون، قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنا صادقين، وكما أسلفت فإنهم قد أتوا على قميص يوسف بدمٍ مكذوب، إلا أن يعقوب غ لم ينخدع بهذه الخدعة، ولكن ماذا يصنع؟!.

(1) على قول جمهور المفسرين.

لقد فوَّض الأمر لله ۵ قائلًا لأبنائه: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ أي حسنته لكم وزينته لكم، ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾ لا أبث الشكوى فيه إلا إلى الله ۵ ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ الله هو الذي يطلب منه العون ويُطلب منه الصبر على هذه المصيبة التي أتيتموني بها، وحزن يعقوب ﷺ حزنًا شديدًا على فراق ولده الحبيب إلى قلبه يوسف ﷺ.

ويشتد حزنه على ولده لأنه لا يدري أين ذُهب به ﷺ!!.

ولا يدري ماذا فعل به!!.

ولكنه لم يقطع بوفاته، وذلك لما أعلمه الله ۵ به من أن ولده سيكون له شأن بعد هذه الرؤيا العظيمة!! فلذا اشتد قلق يعقوب وازدادت ريبته وشكوكه وظنونه فيما قاله أولاده!!

واستمر به الحزن ﷺ وهو صابرٌ ولا يدري أين ولده ولا ينقطع رجاؤه في الله ۵ وتَمُرُّ الأيام والشهور والسنوات ويعقوب ﷺ ينتظر الفرج ولا ييأس من رحمة الله ۵، ولا يفارق التفكير في يوسف ﷺ والسؤال عنه.

وتمر الأيام والشهور والسنوات بيوسف ﷺ وهو ينتقل من حالٍ إلى حال، إلى أن تقلد يوسف ﷺ منصبًا عظيمًا منصب عزيز مصر القائم على خزائنها المتحكم فيها يتبوأ في مصر حيث يشاء وكما سيأتي في قصة يوسف ﷺ، فقد حلَّت بالناس مجاعة عظيمة والتجأ الناس إلى مصر يطلبون القمح والزاد اللازمين للمعيشة، وجاء إخوة يوسف ﷺ إلى مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم وهم له منكرون وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك وسيأتي أيضًا أنه طلب أخًا لهم من أبيهم وهو (بنيامين) أخوه الشقيق، فوعدوه خيرًا، وراودوا أباهم في شأن أخيهم (بنيامين) كي يأخذوه معهم إلى مصر.

فأعطاهم يعقوب ﷺ إياه بعد أن أخذ العهود والمواثيق عليهم ووصاهم

بوصاياه، وأحسن التوكل على الله ۵ وكل ذلك مبسوط في سورة يوسف غ.

ففوجئ يعقوب ببلية أخرى، بليةٍ عظيمة أيضًا لقد رجع أبناؤه باستثناء الابن الأكبر بدون أخيهم رجعوا يحملون ابتلاء عظيمًا ليعقوب غ، يقولون له ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾.

فحقًّا إنه ابتلاء عظيم على الشخص أن يوصف ولده بالسرقة وأن تتحدث القبائل والقرى والقوافل بذلك.

إنه ابتلاء عظيم أن يؤخذ ولده كعبدٍ مسترقٍ مقابل السرقة؟!!

ولكن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ولكن يعقوب أيضًا تشكك في قولهم لما صنعوه من قبل فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ثم اعتزلهم متأسفًا على ما صنعوه معه واستمر حزنُهُ وبكاؤه حتى ذهب بصره، وكما قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ فقال أبناؤه: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي تالفًا: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ أي الموتى!!

فقال يعقوب غ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ولم ييأس من رحمة الله ۵ بل قال لأولاده: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

فهكذا حثهم على الاستمرار في البحث عن يوسف غ وبذل الجهد لاسترداد أخيهم.

وهكذا البلاء إذا اشتد أوشك أن يجيء الفرج بإذن الله.

فالتقى إخوة يوسف بيوسف غ وأخبرهم يوسف بحقيقة أمره وأمرهم،

وأنه يوسف فكانت المفاجأة العظمى لهم، وقال الصديق يوسف ‌غ: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فخرجت الإبل من مصر في طريقها إلى بلاد كنعان، بلاد يعقوب ‌غ فقال يعقوب ‌غ لجلسائه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

إني أشمُّ ريح يوسف ‌غ، لولا أن تصفونني بالتخريف، وبالفعل وصفوه بذلك إذ قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ ولم يكن يعقوب ‌غ في ضلال، بل كان في تمام العقل وكماله ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فحينئذ طلب أبناؤه منه أن يستغفر لهم ووعدهم أن يستغفر لهم، وجاء إلى مصر مع أهله كلهم جميعًا ودخلوا على يوسف ‌غ والتقى يعقوب -بعد عشرات السنين من الحزن والقلق التقى- بيوسف ﷺ والتقت بيوسف أمه أيضًا.

وضم يوسف إليه أبويه كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

ثم إن يوسف ‌غ أكرم والديه إكرامًا عظيمًا.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ وتحققت رؤيا يوسف ‌غ فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾. فاستقر يعقوب في مصر آمنًا مطمئنًا مع ولده يوسف ﷺ، واستقر معه أهله جميعًا في أمان واطمئنان.

وهكذا يجعل الله ٥ بعد العسر يسرًا، وبعد الكرب فرجًا، وبعد الصبر نصرًا.

فحقًّا إنها ابتلاءات شديدة مرَّت بنبي الله يعقوب ﷺ فصلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم وعلى آله.

استقرار يعقوب غ وأهله في مصر
وقليل من الحديث عن بني إسرائيل

هذا، وقد استقر يعقوب غ بمصر مع أهله وتكاثروا فيها وازداد عددهم، وازدادت أحفاد يعقوب غ أيضًا، وكان منهم الصالح والطالح فكلُّ من ثبت فيه أنه إسرائيلي يمتد نسبه إلى يعقوب غ وكما أشرت فبنو إسرائيل فيهم الصالح والطالح فمن هذه الذرية، ذرية إسرائيل ذرية يعقوب غ الذي هو إسرائيل، منهم الصالح والطالح فمنهم أنبياء كرام، ففضلًا عن يوسف غ، فإنه نبي، وأما إخوته فقد اختلف في نبوتهم، وقد قدمت وجه الخلاف في ذلك، وقد قيل: إنهم الأسباط، وبينت ما في ذلك أيضًا.

فضلًا عن هؤلاء فمن بني إسرائيل أحفاد يعقوب غ أنبياء كرام كموسى وهارون ث، وكآل عمران وزكريا ويحيى ث، وكذا داود وسليمان ث وطائفة عظيمةٌ من الأنبياء من بني إسرائيل، وقد قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال فريق من العلماء: إن تفضيلهم له صورٌ منها كثرة الأنبياء منهم، فكما قال رسول الله ﷺ: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»**.

وكان من بني إسرائيل أيضًا من هو ظالمٌ لنفسه، ومن هو مفسدٌ في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

والحديث في هذا الباب يطول فالحاصل أن يعقوب غ استقر بمصر وتكاثرت ذريته وكان منهم الصالح ومنهم الطالح.

واستمر يعقوب غ بمصر، وكما أسلفت آمنًا مُطمئنًا مع أهله أجمعين.

وقد كان يعقوب غ مُسلمًا وأوصى أبناءه بالإسلام عند وفاته، قال الله ۵:

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ
بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ
﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ
قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ
مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

فهكذا أوصى يعقوب ﷺ أبناءه.

لقد أوصاهم بالإسلام، وأوصاهم بالثبات عليه حتى الممات.

NNO PMM

بيان الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه ولماذا حرَّمه على نفسه، وفائدة الإخبار بذلك

قال الله ۵: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وعن المعنى إجمالًا، فأقول، -وبالله تعالى التوفيق-: إن إسرائيل هو يعقوب غ والمعنى أن كل الأطعمة كانت حلالًا لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراة ولم يحرم منها شيء إلا الذي كان إسرائيل قد حرمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراة.

ثم بعد ذلك نزلت التوراة وفيها تحريم جديد لأشياء كانت حلالًا كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: 160]، وكما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146].

وقوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ فيه ردٌّ على اليهود وكذبهم وافترائهم، وذلك لأنه لما ذُكر في القرآن الكريم أن الله ۵ حرَّم على اليهود جملة أشياء في التوراة لظلمهم ولبغيهم ولصدهم عن سبيل الله كثيرًا فلما أخبر النبي ﷺ اليهود بذلك فيما أوحاه الله إليه، إذ الله ۵ قال: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ

وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

فالحاصل: أن اليهود لما أُخبروا بذلك، وأن الطيبات حُرّمت عليهم لذنوبهم وبغيهم وسائر جرائمهم نفوا ذلك، وقالوا: إن هذه الأشياء المحرمة كانت محرمة على جدِّنا إسرائيل من قبل، ولم تحرُم علينا لهذه الأسباب إنما هي شرعة إسرائيل (يعقوب ؏) فقيل لهم: ﴿۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لأولاد إسرائيل ؏ وفي زمانه وبعد زمانه إلى أن ارتكبت المعاصي وفعلوا ما ذكره الله ۵ فحرّمت هذه الأشياء للأسباب المذكورة.

ثم إن الله ۵ أمرهم أن يأتوا بالتوراة فيقرؤنها حتى يتبين لهم صدق ما قاله ربنا ۵. وذلك بقوله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾. هذا والله تعالى أعلم.

أما عن نوع الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه فلأهل العلم في تعيينه عدة أقوال:

الأول: أن الذي حرمه على نفسه هو لحوم الإبل وألبانها.

الثاني: أنه لحوم الإبل.

الثالث: أنه لحوم الإبل مع عروقها.

الرابع: أنه حرم العروق فقط.

الخامس: أن الذي حرمه هو زائدتي الكبد والكليتين والشحم إلا ما كان على الظهر فإن ذلك كان يقرب للقربان فتأكله النار.

السادس: أن الذي حرَّمه على نفسه إنما هو الأنعام.

وأصح هذه الأقوال قول من قال: إن الذي حرمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق)؛ وذلك لأن الأسانيد المرفوعة بذلك

أمثل الأسانيد رغم ما فيها من مقال، والله تعالى أعلم(1).

(1) فقد أخرج أحمد (1/ 274) «المسند» من طريق أبي أحمد ثنا عبد الله بن الوليد العجلي وكانت له هيئة رأيناه عند حسن عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذا قالوا: والله على ما نقول وكيل قال: **«هَاتُوا»** قالوا: أخبرنا عن علامة النبي، قال: **«تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ»**، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر، قال: **«يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ»** قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه، قال: **«كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَائِمُهُ إلا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا»** قال عبد الله: قال أبي: قال بعضهم: يعني: الإبل: **«فَحَرَّمَ لُحُومَهَا»** قالوا: صدقت، أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: **«مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ ﻷ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ بِيَدِهِ -أَوْ فِي يَدِهِ- مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السَّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ »** قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع! قال: **«صَوْتُهُ»** قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك قال: **«جِبْرِيلُ ﻉ »** قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله ﻷ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: 97] إلى آخر الآية.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير (952) ولكن عنده **«فَلَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئاً يُلَائِمُهُ إِلا أَلْبَانَ الأُتُنِ(*) فَحَرَّمَ لُحُومَهَا»**.

لكن لي بعض الملاحظات على هذا الإسناد والمتن فمتنه ليس صريحًا في إثبات أن الذي حُرِّم هو لحوم الإبل، وأيضًا فيه قال عبد الله: قال أبي قال بعضهم: يعني: الإبل. وفي رواية ابن أبي حاتم (الأُتن). هذا شيء، الشيء الثاني أنه من طريق بكير بن شهاب، وقد اختلف عليه، وحديثه أيضًا لا يرتقي للحسن.

أما القول القائل بأنه حرم لحوم الإبل وألبانها فمستنده:

ما أخرجه ابن جرير الطبري (7420) من طريق أبي كريب قال: حدثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أُنْشِدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، فَطَالَ سَقَمُهُ مِنْهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا ؟»** فقالوا: اللهم نعم.

وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم (951).

وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه.

=

--------- =

(*) الأُتن: أنثى الحمير.

أما القول القائل بأنه حرم العروق ولحوم الإبل فمستنده:

ما أخرجه الطبري في «التفسير» (7418) من طريق أبي كريب حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ قال: حرم العروق ولحوم الإبل، قال: كان به عرق النسا فأكل من لحومها فبات بليلةٍ يزقو فحلف أن لا يأكله أبدًا.

وأخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (953) لكن لفظه: لا آكل عرقًا.

وأخرجه ابن جرير أيضًا (7417) بإسناد أحب إليَّ من الإسناد المتقدم، وذلك من طريق محمد بن بشار قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت قال: حدثنا سعيد عن ابن عباس فذكره وفيه: لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الإبل.

لكنه ليس صريحًا في ذكر لحوم الإبل (لقوله: يعني) ثم إنه ورد من طريق الثوري أيضًا (بلفظ العروق) عند الطبري (7411).

أما القول القائل بأنه حرم على نفسه العروق فمستنده: ما أخرجه الطبري (7405) عن طريق يعقوب ابن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إنه جعل امرأته عليه حرامًا، فقال: ليست عليك بحرام، قال: فقال الأعرابي: ولم؟ والله يقول في كتابه: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؟ قال: فضحك ابن عباس، وقال: وما يدريك ما كان إسرائيل حرم على نفسه؟ قال: ثم أقبل على القوم يحدثهم، فقال: إسرائيل عرضت له الأنساء فأضنته فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عرقًا، قال: فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم.

وما أخرجه الطبري أيضًا (7408) من طريق بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن الذي حرَّم إسرائيل على نفسه أن الأنساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى إن شفاه الله لا يطعم نسًّا أبدًا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم.

أما القول القائل بأنه حرم على نفسه زائدتي الكبد والكليتين.... إلخ.

فهو عند ابن أبي حاتم في «التفسير» (954) من طريق محمد بن أبي محمد وهو مجهول وهو موقوف على ابن عباس أيضًا.

وكذلك القول القائل إنه حرم على نفسه (لحم الأنعام) فهو قول ضعيف إذ هو من طريق جابر الجعفي عن مجاهد، وجابر متهم بالكذب (أخرجه الطبري 7419) وابن أبي حاتم (955).

* عرق النسا: هو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر حتى يبلغ الكعب. ذكر ذلك بعض أهل العلم.

=

قصة نبي الله لوط غ

التعريف بهذا النبي الكريم، وذكر قصته إجمالاً

هو نبيٌّ كريمٌ ورسولٌ أمين، ومن المفضلين على العالمين وممن أمرنا الله ٥ بالاقتداء بهم.

قال الله ٥: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿...وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾.

فهو إذن ممن أمرنا بالتأسي والاقتداء بهم ق.

وعن زمن نبي الله لوط غ:

فقد كان هذا النبي الكريم في زمن نبي الله إبراهيم غ إذ الله ٥ قال: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ وذلك في قصة إبراهيم غ من سورة العنكبوت.

وعن نسب هذا النبي الكريم، فلم أقف على تسمية اسم والده ولا على سائر نسبه في آية من كتاب الله ٥ ولا في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ إلا أن أكثر أهل التفسير ذكروا أنه لوط بن هاران، قالوا وهاران هو ابن آزر أي أن هاران أخو إبراهيم غ، ومن ثمَّ فإبراهيم هو عم لوط ث. فالله تعالى أعلم.

NNO PMM

= * وقد ورد بذلك حديث أخرجه ابن ماجة من طريق هشام بن عمار وراشد بن سعيد الرملي قالا: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا هشام بن حسان حدثنا أنس بن سيرين أنه سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... فذكره. وإسناده صحيح.

دفعُ إشكال

قال الله ٥ في شأن الخليل إبراهيم غ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. فكيف يكون لوط غ من ذرية إبراهيم مع ما تقدم من كونه ابن أخيه على ما ذكره بعض أهل العلم؟!

وللجواب على ذلك اتجاهان عند أهل العلم:

أحدهما: وبه يندفع الاشكال أن قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ عائد على نوح غ فمن ثمَّ فلا إشكال.

الثاني: على قول من قال إن قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي من ذرية إبراهيم فالجواب على السؤال حينئذٍ يتمثل في أن لوطًا غ دخل في ذرية إبراهيم تغليبًا كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فيعقوب غ أطلق على إسماعيل أنه من آبائه، وفي الحقيقة أنه عمُّه، والله تعالى أعلم.

أما عن البلدة التي نزل بها نبي الله لوط غ وعن القوم الذين دعاهم:

فلم يذكر للبلدة اسم، وإن كان كثيرٌ من أهل العلم يذهبون إلى أنها مدينة يُقال لها: سدوم، وهي من بلاد الشام وقيل أخص من ذلك إنها من الأردن.

ومن المُشعر أنها بلاد الشام أن الله ٥ قال لأهل مكة في شأن ما حلَّ بقوم لوط ومدائنهم التي بقيت عبرة للمعتبرين، قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم

مُّصۡبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ وقد كان القرشيون يذهبون إلى الشام في رحلة الصيف المعهودة منهم، وأيضًا فقد قال الله ۵ في شأن هذه البلاد: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي بطريق عامر يمر بها الناس.

وقال في شأنها مع ديار أصحاب الأيكة، الذين هم أصحاب شعيب غ، وديار قوم لوط أيضًا ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي بطريق واضح وظاهر.

فهذا يقوي القول القائل أن قوم لوط كانوا بالشام والله تعالى أعلم.

أما عن القصة إجمالًا وعن قوم لوطٍ وما كانوا يصنعون:

فأقول، -وبالله التوفيق-: ومنه أستمد العون والسداد قد كان قوم لوط مشركين بالله ۵ (1)، وانضم إلى شركهم عملٌ آخر قبيح في غاية من القبح، وخبيث ومستنكر وقذر تأباه النفوس العفيفةُ فضلًا عن أهل الديانات!! إن هؤلاء القوم صنعوا صنيعًا قبيحًا لم يصنعه أحدٌ من العالمين من قبلهم!!.

إنهم تركوا الزواج الحلال الطيب الذي جبل الله ۵ عليه العباد وأقبلوا على إتيان الذكور، إنهم أتوا الرجال شهوةً من دون النساء، فحقًّا إنها جريمةٌ وإنه اعتداءٌ عظيم على الحرمات، وإسراف عظيم في الجرائم والكبائر!! شذوذٌ والعياذ بالله لم يُسبقوا إليه!!.

أمر في غاية من القُبح أن رجلًا يعلو رجلًا ويجامعه مجامعة النساء!!.

إنه انحراف عن الفطرة التي فطر الله ۵ الخلق عليها إذ الله قال: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ فلما كان القوم كذلك بهذه المنزلة من الإجرام والشذوذ والانحراف والاعتداء والإسراف أرسل الله إليهم رسولًا كريمًا يحذرهم عاقبة فعلهم وينهاهم عن سوء صنيعهم ويدعوهم إلى عبادة

---

(1) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

الله ﻫ وحده لا شريك له لقد أرسل الله ﻫ إليهم نبيه لوطًا ﻍ.

قال الحافظ ابن كثير $ [1]: وكان لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل ﺚ بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة سدوم من أرض غور زغر، وكان أمَّ تلك المحلة ولها أرض ومعتملات وقرى مضافة إليها، ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون.

ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين.

فدعاهم لوط إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم.

قلت (مصطفى): ولم يقف أمر هؤلاء القوم عند هذا الحدِّ أن الرجل يأتي الرجل ويجامعه، بل تمادوا في الغيِّ وجاهروا بذلك وأعلنوه فكان الرجل يفعل هذه الفاحشة مع الآخر أمام الناس، وبعضهم ينظر إلى بعض أثناء فعلها.

دلَّ على هذا قول نبي الله لوط ﻍ لهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فلم يكونوا يتوارون أثناء فعلها ولم يكونوا يستترون بل فعلوا ذلك في الشوارع وفي الطرقات وفي المنتديات وأمام الجموع، قال لوط ﻍ: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾.

بل ولم يقف الأمر أيضًا عند هذا الحد بل ازداد جُرمهم واستفحل شرُّهم، فقد كانوا يقطعون الطرق على الناس، ويأخذون المارة فيفعلون بهم الفاحشة

(1) قصص الأنبياء (ص 225).

القبيحة رغم أنوفهم، بما يسميه النـاس الاغتصـاب، ولكنـه اغتصـاب الرجـال عياذًا بالله قال لوط غ: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾.

نبي الله لوط ﷺ يُحذر قومه وينذرهم

فحذَّر نبي الله لوط ﷺ وحذر:

لقد قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾.

لقد قال لهم: ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾.

وقال أيضًا: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾.

لقد قال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾.

فحقًّا لقد حذَّر وحذر!! لقد ذكَّر وأنذر!!

ولكنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

لقد تمادى القوم في غيِّهم وفجورهم وضلالهم:

بل وازداد فجورهم وازداد!!

لقد خُتم على قلوبهم وطُمست بصائرهم فأصبحوا يرون المنكر معروفًا والمعروف منكرًا.

لقد كذبوا لوطًا ﷺ!!

بل وهددوه وتوعدوه!!

ومن العجيب أن يهددوه لكونه يتطهر ولا يقرب الفواحش!!

لقد قال قومه متوعدين: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾.

فاستمر لوط ﷺ في نصحه وتذكيره وإنذاره فقالوا-يتواصون فيما بينهم-

: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾.

فحقًّا إنه أمر غريبٌ وأمر عجيب دالٌّ على قذارة قلوبهم ودناسة ودناءة أفكارهم وخبث طويتهم وسوء سريرتهم!!

يوصى بعضهم بعضًا بإخراج لوط ﻍ!! وبإخراج من آمن مع لوط ﻍ من البلاد.

وما الذنب الذي ارتكبه لوط ومن معه؟!!! ﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾.

لقد أصبح التطهر في عُرف هؤلاء المجرمين جريمة ينبغي أن يُعاقب فاعلها بالطرد من البلاد والإبعاد عنها.

وليس هذا بغريب على أهل الإجرام.

فقد اتهم أهل الإجرام موسى ﻍ بالإفساد في الأرض قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، وقال فرعون في شأن موسى ﻍ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾.

فهكذا تتبدل الأمور والأحوال عند طمس البصيرة والعياذ بالله!!

وهاهو لوط ﻍ يواصل النصح والتذكير:

فماذا كان من نبي الله لوط ﻍ أمام هذه التهديدات؟! أقول، وبالله التوفيق، إن أنبياء الله هم أشجع الخلق وأزكى الخلق وأعفهم نفسًا.

لم يتراجع عن النصح والتذكير، بل وأعلن عن رفضه التام لهذه الفاحشة قائلًا: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴾ أي من المبغضين لهذا العمل المنكرين له البرآء منه.

والتجأ لوط غ إلى الله داعيا راجيًا

فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

فهكذا يفعل المؤمن ينصح الخلق ويسأل الخالق الحفظ والنجاة والسلامة والأمان.

وهكذا نتعلم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

نتعلم منهم دعاء الله ٥ وحسن الاعتصام به وحسن الالتجاء إليه فلا يخيب من دعا ربَّه ورجاه!!

ورب العزة سبحانه ليس بغافلٍ عما يعمل الظالمون!!

والله ٥ أغير على الحرمات من البشر!!

ولكن من حلم الله ٥ ومن كرمه سبحانه ومن رحمته أنه يرسل رسلًا إلى العباد يحذرونهم عاقبة سوء صنيعهم وينذرونهم من عذاب الله ٥ لقد ذكَّر لوط أيضًا وذكَّر، وحذَّر وأنذر ولكن كل هذا لا يجدي مع القوم الظالمين وما ينفع وكان من هؤلاء الأشقياء زوجة لوط غ فقد كانت من الكافرين. كانت من الخائنين.

كانت تدل أهل الكفر على الأضياف كي يفعلوا بهم المحرمات ولكن الله سلَّم.

لقد تمارى قوم لوط بالنذر، وكذبوا ما وعدهم به لوط غ وتحدوه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾.

فلما كان من هؤلاء القوم ما كان!!

ولما صدر منهم من التكذيب والفجور ما صدر، ومن الفواحش

والخبائث ما تفشى وانتشر!!

ومن تهديدهم لنبي الله لوط ولمن آمن معه بالإخراج والطرد من البلاد.

لما كان ذلك ولما لم تُجد معهم النصائح ولم تنفع معهم المواعظ انتصر الله ه لنبيه لوط غ واستجاب دعاءه.

قال الحافظ ابن كثير $ [1]: وذلك أن لوطًا غ لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش، لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به حتى ولا رجل واحد منهم، ولم يتركوا ما عنه نهوا. بل استمروا على حالهم، ولم يرعووا عن غيهم وضلالهم، وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم واستضعفوه. وما كان حاصل جوابهم عن خطابهم إذ كانوا لا يعقلون إلا أن قالوا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56] فجعلوا غاية المدح ذمًّا يقتضي الإخراج! وما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللجاج.

فطهره الله وأهله إلا امرأته، وأخرجهم منها أحسن إخراج وتركهم في محلتهم خالدين، لكن بعد ما صيرها عليهم بُحيرة منتنة ذات أمواج، لكنها عليهم في الحقيقة نار تأجج، وحر يتوهج، وماؤها ملح أجاج.

وما كان هذا جوابهم إلا لما نهاهم عن ارتكاب الطامة العظمى والفاحشة الكبرى، التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين أهل الدنيا، ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها.

وكانوا مع ذلك يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في ناديهم -وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم- المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه. حتى قيل: إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم، ولا يستحون من مجالسيهم، وربما وقع منهم الفعلة العظيمة في المحافل ولا

(1) قصص الأنبياء.

يستنكفون، ولا يرعوون لوعظ واعظ، ولا نصيحة من عاقل. وكانوا في ذلك وغيره كالأنعام بل أضل سبيلًا، ولم يقلعوا عما كانوا عليه في الحاضر، ولا ندموا على ما سلف من الماضي، ولا راموا في المستقبل تحويلًا، فأخذهم الله أخذًا وبيلًا.

وقالوا له فيما قالوا: ﴿أْئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29] فطلبوا منه وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الأليم، وحلول البأس العظيم.

فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين.

فغار الله لغيرته، وغضب لغضبته، واستجاب لدعوته، وأجابه إلى طلبته وبعث رسله الكرام، وملائكته العظام، فمروا على الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم، وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم والخطب العميم.

إرسال الملائكة إلى قوم لوط لتدمير مدائنهم ولإحلال النقمة والعذاب بهم

قلت (مصطفى): فلما صدر من هؤلاء القوم ما سبق بيانه أراد الله ٥ أن ينتقم منهم ويُحلَّ بهم بأسه وعقابه، فأرسل ملائكة كرامًا مُكرمين لتدمير هؤلاء القوم.

وعن أسماء هؤلاء الملائكة فلم ترد أسماؤهم في كتاب الله ٥ ولا في سنة رسوله ﷺ، وإن كان من أهل العلم من ذكر أن منهم جبريل وميكائيل ث، فالله أعلم.

فالحاصل: أن الله ٥ أرسل ملائكة لتعذيبهم أرسلهم في صور بشرٍ فمرُّوا بإبراهيم غ وهم في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط، وبشروه بغلام عليم كما تقدم ذِكره في قصة إبراهيم غ.

ثم إن إبراهيم غ لما اطمأن إليهم وذهب عنه الخوف منهم، وكانوا قد أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط للانتقام منهم ولإرسال الحجارة عليهم وإنزال العذاب عليهم فطلب إبراهيم غ، إمهال قوم لوط لعلهم يتوبون فطالبوه بالإعراض عن هذا السؤال قائلين: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾.

ففارقت الملائكة إبراهيم غ على أنهم في طريقهم إلى لوط غ لإخباره بما ينبغي أن يفعله، وبما سيحدث لقومه، فأتوا لوطًا غ ونزلوا عليه كأضياف، وهم في صورة بشر على درجة عظيمة من الحسن والجمال فاستضافهم خير استضافة ولكنه ساءه مجيؤهم جدًّا، لا لأنه يكره الأضياف، حاشاه من ذلك، فالأنبياء أكرم الناس وأحسنهم خلقًا واستضافة للآخرين ويعلمون للضيف حقه ويقدمونه له على التمام.

ولكنه ساءه مجيؤهم لما يعلمه من شرِّ قومه وفسادهم فخشى على أضيافه من قومه الأشرار، خشى على الأضياف من أن يُمسُّوا بمكروه أو بسوء، ولذا تضايق من قدومهم خشية عليهم، ولأنه ليس له من القوة والقدرة ما يدافع به عن أضيافه، فكان كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾.

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾! أي يوم شديد الشرِّ، الشرُّ فيه شديد والبلاء فيه عظيم.

فماذا أصنع مع أضيافي، والضيف له حقٌّ؟!! وماذا أصنع مع قومي الأشرار؟!!

ولكن على آية حال، وقد جاء الأضياف فلابد من استقبالهم ولا مفر من إيوائهم وليكن ما يكون فأدخلهم لوطٌ ﻍ بيته وأكرم منازلهم، ولكن سرعان ما تسرب خبر الأضياف إلى القوم الكافرين الأرجاس الأنجاس قوم لوط.

وذكر عددٌ من أهل العلم أن امرأة لوط هي التي سرَّبت إلى القوم خبر مجيء الملائكة الأضياف في صورة بشر!

فأخبرت القوم أن شبابًا حِسانًا في غاية من الحسن والجمال قد أتوا إلى بيت لوط ﻍ.

فحينئذ استعرت الشهوة البهيمية بل شهوة أسوأ من شهوة البهائم، استعرت في نفوس هؤلاء القوم الأشرار، فأقبلوا مسرعين تحملهم نفوسٌ فاجرةٌ وطبائع فاسدة وقلوب شريرةٌ، ونزوات ساقطة هابطة.

أقبلوا تدفعهم شياطين سوءٍ مردةٍ تدفعهم نفوس خبيثة أمارة بالسوء!! أقبلوا يشجع بعضهم بعضًا ويحثُّ بعضهم بعضًا على فعل هذه الفاحشة القبيحة المنكرة.

لقد أتوا وبسرعةٍ إلى بيت لوط ﻍ وكما قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ

إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

لقد أتى بعضهم يبشِّر بعضًا بأنه سيفعل فاحشةً مع المردان أضياف لوطٍ ؑ.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

لقد جاءوه يراودونه عن ضيفه، يطلبون منه إخراج الأضياف كي يفعلوا بهم الفاحشة!!

لقد تكاثروا وازداد عددهم أمام بيت لوط ؑ!!

وكلٌّ يريد أن يمضي شهوته البهيمية بل تلك الشهوة التي هي أشرّ من شهوة البهائم!!

إلا أن لوطًا ؑ وقف حائط سدٍّ بينهم وبين الأضياف.

لقد وقف يعظ ويذكر ويُحذِّر قائلًا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ أليس منكم من يفهم؟!!

أليس منكم من يعقل؟!!

أليس منكم من يحفظ للضيف حقه!!

أليس منكم من يتقي الله ويحفظ حدوده!!

إلا أن القوم يتمادون في الغيِّ قائلين: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أولم نحذرك من إحضار أي أحدٍ إلى بيتك؟!! أولم ننهك عن الدفاع عن الناس في هذا الباب؟!!..

أو لم نحذرك من التدخل في شؤوننا والحيلولة بيننا وبين مرادنا؟!!

فهكذا تمادى القوم في الغيِّ والضلال والشر والفساد!!

فعرض عليهم لوطٌ ؑ عرضًا، ألا وهو أن يتزوجوا بناته، فإن كان الأمر ولابدا!

وإن كانت الشهوة بلغت بكم إلى هذا الحدِّ فتزوجوا بناتي إن كنتم

راغبين في الزواج بهن!!

إلا أن القوم رفضوا الزواج الحلال الطيب ولم يرضوا بالزواج ببناته فلما قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ أجابوه بقولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي أننا ليست لنا رغبةٌ في الزواج ببناتك وأنت تعرف مقصدنا ومرادنا.

ومن العلماء من قال: إن بنات القوم يعتبرون بمثابة بنات الأنبياء لحرصهم على رعايتهن، فكأنه قال: أزوجكن من البنات خيرٌ لكم وأطهر من فعل الفاحشة، والله أعلم.

وأعود قائلًا: إن القوم استمروا في عنادهم وتعنتهم وفسقهم وفجورهم وأرادوا اقتحام البيت وحاولوا ذلك بقوةٍ ولوط أيضًا غ يُدافع بقوة، إلا أن هذه القوة الغاشمة والكثرة الكاثرة، ما زالت تُصر وتعاند، وقوة لوطٍ غ البشرية (البدنية) لا تكفي لمصارعتهم ومقاومتهم ودفعهم، فقال لوط غ ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ أدفع بها عن أضيافي وأقاتلكم بها ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ يدفع عني وعن أضيافي وقيل: مراده بالركن الشديد قبيلةٌ تدفع عنه شر الأشرار وهجوم الكفار وتآمرهم وإصرارهم.

قال بعض العلماء -والله أعلم-: لم يكن لوط غ من أهل هذه البلاد إنما كان وافدًا عليهم ولم تكن له منهم قبيلةٌ قوية وأمام الموقف الشديد والبلاء العصيب قال كلمته التي قالها: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾، قال بعض العلماء: إن النفوس المؤمنة، وإن كانت مؤمنة جيدة الإيمان، إلا أنها تزداد طمأنينة بالأسباب المادية الظاهرة، كما في قول المسيح غ للحواريين ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وكما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَلا هَلْ مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي** ٥ » هذا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ**

كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»[(1)].

وأعود قائلًا: إن هذا الصراع ومحاولة الهجوم على بيت لوط غ ومدافعة لوط عن أضيافه اشتد واشتد وأعمت الشهوة الحيوانية بصائر قوم لوط. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾!! كل هذا والملائكة ساكنون يرقبون المنظر ولا يتكلمون!!.

يشهدون الحدث، وهم مطمئنون!!.

يسمعون كلام القوم القبيح ويسمعون الكلام الطيب الذي يصدر من لوط غ، ويستمعون موعظته للقوم الفاسقين.

فلما اشتد الأمر على لوطٍ غ وبلغ به الأمر منتهاه وبلغ الابتلاء ذروته حينئذٍ تكلمت الملائكة لما قال لهم لوط غ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ من أين أنتم معشر الأضياف؟ يريد أن يعرف بلادهم وموطنهم وقبائلهم، فأمرُهم مُريب فالمعركة دائرةٌ من أجلهم وهم سكون في غاية من السكون والطمأنينة والحسن والجمال.

فحينئذ قالوا للوط غ وأفصحوا عن هويتهم ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ إنا رسلٌ من عند الله ٥!! ملائكة من عند الله ٥ أرسلنا الله ٥ لتحقيق ما كان القوم يكذبونه ﴿بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ لقد كانوا يكذبون بالعذاب فها نحن قد جئناك لإنزال العذاب بهم ولإحلال العقوبة عليهم.

لقد كانوا يقولون لك: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فها هو العذاب قد جاءهم، وقد جئنا لتعذيبهم فاطمأن نبي الله لوط غ وسكن قلبه وهدأ باله وهنالك كانت العقوبة الأولى لقوم لوط غ.

إنها عقوبة حلَّت بأئمة الضلال والفجور، وأئمة العصيان والطغيان

---

(1) وسيأتي شرحه بتفصيل إن شاء الله.

الذين توافدوا على بيت لوط ﻍ.

لقد أعمى الله أبصارهم!!

لقد طمس الله على أعينهم!!

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

ولكن كيف كان ذلك؟ وكيف تم ذلك؟ الله أعلم بكل ذلك.

ثم إن بعض أهل العلم قد ذكروا أن ملكًا من الملائكة ﻭ: «وقيل هو جبريل ﻍ » خرج عليهم فضربهم بجناحه فأعمى أبصارهم، فالله أعلم وعلى أية حال فقد كفَّ الله شر هؤلاء الأشرار الذين حاولوا الاعتداء على بيت لوط ﻍ وعلى أضيافه بأن طمس أعينهم لما راودوه عن ضيفه!.

قال الحافظ ابن كثير $ (1): ذكر المفسرون وغيرهم: أن نبي الله لوطًا ﻍ جعل يمانع قومه الدخول ويدافعهم والباب مغلق، وهم يرومون فتحه وولوجه، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب، وكل ما لهم في الجاج والعاج، فلما ضاق الأمر وعسر الحال قال ما قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ لأحللت بكم النكال.

قالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [هود: 81].

وذكروا أن جبريل ﻍ خرج عليهم، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم، حتى قيل إنها غارت بالكلية ولم يبق لها محل ولا عين ولا أثر، فرجعوا يتحسسون مع الحيطان ويتوعدون رسول الرحمن، ويقولون: إذا كان الغد كان لنا وله شأن!

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

NNO PMM

(1) قصص الأنبياء.

الملائكة ﷺ يُوصون لوطًا ﷺ بالخروج من البلاد وقت السحر بمن آمن معه، وبأهله إلا امرأته ويبشرونه بهلاك هؤلاء القوم وقت الصباح

فأقول -وبالله التوفيق-: ثمَّ وبعد أن طمس الله ﷻ أعين هؤلاء الفجرة البغاة الذين تجمهروا أمام بيت لوط ﷺ أوصت الملائكة لوطًا ﷺ بوصايا وأمروه بأوامر بعد أن طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

وقالوا له: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

فأمروه قائلين: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي اخرج أنت وأهلك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ اخرج ليلًا، بل وبعد مُضى شطرٍ من الليل اخرج أنت وأهلك وقت السحر، قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾.

وذلك أخذًا بالأسباب وحتى لا يعلم عن خروجه أحدٌ ونهوه عن اصطحاب امرأته الكافرة الخائنة، والتي ضُربت مثلًا للكافرات.

وأمروه أن يكون خلف المؤمنين به، إذ قالوا له: ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي كن خلف المؤمنين بك عند خروجهم لعدم تخلف أحدٍ منهم فإذا تردد شخصٌ من المؤمنين عن الخروج فإن لوطًا ﷺ سيمنعه من الرجوع إلى الوراء.

ونهوه، ونهوا من معه عن الالتفات للوراء قيل لكي لا تأخذهم الشفقة بقومهم ولا تردهم العاطفة إلى بلادهم.

وقيل: كي لا تخطف أبصارهم إذا نظروا إلى عظيم البلاء الذي سيحل بقومهم وقيل غير ذلك.

وأمروه أن يخرج وبسرعة إلى مكان سيعينونه له فيما بعد، وذلك بقولهم له ﴿وَٱمْضُواْ﴾ أي اخرجوا مسرعين ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي حيث

توجهون.

موعد العذاب عند الصباح

وأخبرت الملائكة لوطًا ﻍ بأن العذاب سينزل بالقوم صباحًا.

لقد قالوا له: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

العقوبات التي أحلها الله ٥ بقوم لوط(1)

فأقول -وبالله التوفيق-: خرج لوط ﻍ مع من آمن به ومع أهله إلا امرأته وتوجهوا كما أُمروا صباحًا، وعند الشروق نزل العذاب!!

نزل الرجزُ من السماء!! من عند الله الذي لا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين.

لقد أخذت القوم في الصباح صيحةٌ عظيمة هائلة شديدة!! صيحة لم ير القوم مثلها!! صيحة مفزعةٌ أفزعت القوم وأقلقتهم!! لم يسمعوا مثلها قط!!

وذلك وقت الشروق كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

ثم إن القرية بكاملها قُلبت، قُلبت رأسًا على عقب جُعل عاليها سافلها كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾.

قال عددٌ من المفسرين: رفُعت القرية إلى السماء، رفعها ملكٌ بجناحه إلى السماء ثم قلبها رأسًا على عقب كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ أي وأهوى ربنا ٥ هذه البلدة التي يُقال لها المؤتفكة لانقلابها، وهي مدينة قوم لوط، والقرى المحيطة بها، ولذا قيل: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ

(1) ومنها ما تقدم من الطمس على أعينهم، أعين الذين راودوه عن ضيفه.

﴿فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ فالحاصل أن القرية والقرى المجاورة التي تفعل نفس فعلتها الخاطئة رفعت إلى السماء ثم قلبت «ائتفكت» شر انقلاب.

ثم إنها أُتبعت بحجارةٍ من سجيل منضود، أي من طين متحجر، كل حجر عليه اسم من يُعذَّب به كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾. لقد أرسلت عليهم الحجارة وأرسل الله عليهم حاصبًا! فحقًّا إنه عذاب عظيم!! إنه دمار شامل.

قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾.

وكما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾

حقًّا لقد أخذوا أخذة شديدة رابية زائدة في العذاب، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾.

فهكذا تنوع عليهم العذاب وتنوعت صُوره:

فأولًا: طمست أعين الذين راودوا لوطًا عن ضيفه ثم أخذت سائر القوم الصيحة الشديدة المفزعة الهائلة. ثم رفعت القرية وقُلبت ثم أتبعت بحجارة من سجيل منضود.

فهكذا حلَّ بالقوم الظالمين العذاب.

وهكذا نزل بهم العقاب وآتاهم عذاب غير مردود!!

وغشيهم من عذاب الله ما غشيهم!!

إنجاء لوط ﵇

أما لوط ﵇ وأهله باستثناء امرأته فإن الله ﷻ أنجاهم وسلمهم وحفظهم ولكن إلى أي أرض ذهبوا وإلى أي مكان انتقلوا، فالله أعلم بكل ذلك.

هذا، وقد قال الله ﷻ : ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾.

NNO PMM

عِبرةٌ للمعتبرين

ثمَّ إن الله ﷻ لما دمر مدائن قوم لوط وقُراهم، جعلهم عبرةً للمعتبرين وعظة للمتعظين، وآية للعالمين.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾. فقد كانت بلادهم ممرًّا للمسافرين يمرون بها ويعرفونها بعد دمارها.

وكما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾.

أي بطريق واضح مسلوك يسلكه الناس ويمرون بها أي ببلاد قوم لوط بعد دمارها.

وكما قال تعالى: في شأن هذه البلاد، وما أصاب أصحاب الأيكة ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ أي أن بلاد قوم لوط وبلاد أصحاب الأيكة، موجودتان في طريق واضح عبرةً للمعتبرين وعظة للمتعظين.

NNO PMM

ذكر الآيات الواردة في هذه القصة المباركة
من سور الكتاب العزيز مع تفسيرها
ذِكر نبي الله لوط غ وقصته من سورة الأعراف

قال الله ٥:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم
مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: 80- 84].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	أتفعلون ما فحش من الأفعال، والمراد (أتجامعون الذكور في الأدبار).
﴿مُّسْرِفُونَ﴾	تفعلون ما حرّم عليكم وتتجاوزون الحدود في فعل المحرم.
﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾	يتنزهون عن فعل المحرم – يتطهرون عن أدبار الرجال.
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب – الباقين في الهلاك – الهالكين.
﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	آخر أمر المجرمين -نهايتهم -العقوبة التي حلَّت

بهم.	

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

واذكر نبي الله لوطًا غ إذ أرسلناه إلى قومه الذين كانوا يرتكبون الفاحشة الخاطئة التي ما سبقهم إليها ولم يعملها قبلهم أحدٌ من العالمين، وهي أن الرجل كان يعلو الرجل ويفعل به الفاحشة، كان الرجال يفعل بعضهم ببعض هذه الفاحشة ويتركون النساء، وقال المفسرون أيضًا: كانت النساء تُساحق النساء، ويستغنى بعضهن ببعض عن الرجال، ولذا قال لوط غ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون للحد مرتكبون للمعاصي مكثرون منها، فنصحهم لوطٌ غ وذكرهم وحذرهم عاقبة عملهم وشؤم صنيعهم فلم يجيبوه بجواب مرضيّ، وما أجابوه بجواب سديد، لكنهم قابلوا ذلك بتهديده بالإخراج من البلاد فقالوا: أخرجوا آل لوطٍ من قريتكم، اطردوهم من بلادكم، ولماذا نخرجهم؟! وما السبب الداعي إلى إخراجهم؟

السبب هو ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾!

إنهم أناس لا يريدون فعل الفاحشة فسبحان الله الفضيلة تحوَّلت في أعين من أعمى الله بصائرهم إلى رذيلة، الطهر والعفاف تحول في أعينهم إلى جريمة تستحق العقاب والطرد من البلاد وصدق قتادة إذ قال: «عابوهم بغير عيب وذمُّوهم بغير ذمٍّ»(1).

فماذا كان؟ ماذا كان لما توعَّد قوم لوطٍ لوطًا غ ومن آمن معه بالإخراج والطرد من البلاد قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي كانت من الباقين في العذاب، فخرج لوط غ من البلاد

(1) أخرجه الطبري (17849) بسندٍ حسن.

بمن آمن معه، ومنهم أهله جميعًا باستثناء امرأته خرجوا جميعًا في وقت السحر، وأمطر الله ﻫ على قومه حجارة من سجيل منضود وقت الصباح.

قال تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي انظر كيف كانت نهاية أهل الإجرام وكيف كانت عقوبتهم في نهاية حياتهم، ألا فليتعظ المتعظون وليعتبر المعتبرون!!.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير $: ولوط: هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ﻍ، وكان قد آمن مع إبراهيم ﻍ، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سَدوم وما حولها من القرى؛ يدعوهم إلى الله ﻫ، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك أهل سدوم عليهم لعائن الله!.

قال عمرو بن دينار في قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: ما نزل ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط(1).

وقال الوليد بن عبد الملك – الخليفة الأموي باني جامع دمشق-: لولا أن الله ﻫ قص علينا خبر قوم لوط، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا.

ولهذا قال لهم لوط ﻍ: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال، وهو إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

(1) هو عند الطبري من طريق (ابن وكيع) وهو سفيان بن وكيع وفيه كلام، لكن لعلَّه متابع عند غير الطبري. وقد قال بهذا القول كثيرون من أهل العلم.

﴿بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾، فأرشدهم إلى نسائهم، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: لقد علمت أنه لا أَرَب لنا في النساء ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.

وذكر المفسرون: أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنين بعضهن ببعض أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير $ أيضًا: يقول تعالى: فأنجينا لوطًا وأهله، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط، كما قال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، إلا امرأته فإنها لم تؤمن به، بل كانت على دين قومها تمالئهم عليه، وتُعْلِمهم بمن يَقْدُم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم، ولهذا لما أمر لوط غ أن يسري بأهله أمر أن لا يعلم امرأته ولا يخرجها من البلد ومنهم من يقول: بل اتبعتهم، فلما جاء العذاب التفتت هي فأصابها ما أصابهم.

والأَظْهَر: أنها لم تخرج من البلد، ولا أعلمها لوط، بل بقيت معهم؛ ولهذا قال ها هنا: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين، ومنهم من فسر ذلك ﴿مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: الهالكين وهو تفسير باللازم.

وقال الطبري خ: يقول تعالى ذكره: وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطًا ولم يؤمنوا به، مطرًا من حجارة من سجّيل أهلكناهم به، ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، يقول جل ثناؤه: فانظر، يا محمد إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط، فاجترموا معاصي الله، وركبوا الفواحش، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال، كيف كانت وإلى أي شيء صارت، هل كانت إلا إلى البوار والهلاك؟ فإنَّ ذلك أو نظيره من العقوبة، عاقبةُ من كذبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا، من قومك.

(374) أحمر
أسود

NNO PMM

ذكر قصة لوط ﻍ من سورة هود

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: 77- 83].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾	ساءه مجيؤهم وتضايق بمجيئهم - ساء ظنًّا بقومه.
﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾	ضاق صبره وقل واشتد المكروه عليه وقد وقع به مكروه عظيم لا يستطيع دفعه.
﴿عَصِيبٞ﴾	شديد شرُّه - الشر فيه شديد والبلاء فيه عظيم.
﴿يُهۡرَعُونَ﴾	يسرعون مع حرصٍ شديد (على إتيان الفاحشة).

﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	يعملون الأعمال المسيئة (التي هي إتيان الذكران من العالمين).
﴿أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾	أحل لكم الزواج بهن -أطيب لكم.
﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾	لا تهينوني مع أضيافي ولا تذلوني - ولا تمتهنوني.
﴿رَّشِيدٞ﴾	قوي الإيمان شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- مرشد - عاقل مؤمن - صالح.
﴿ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾	ألجأ إلى قبيلة قوية تمنعني منكم.
﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾	لن يستطيعوا إيذاءك ولا الاقتراب منك بسوء ولا مكروه.
﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾	فاخرج بأهلك ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ في وقت من الليل، وهو وقت السحر كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾.
﴿مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾	يحل بها من العذاب ما يحل بهم.
﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾	رفعناها ثم قلبناها رأسًا على عقب فجعل أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها.
﴿سِجِّيلٖ﴾	الطين الشديد المتحجر المتصلب.
﴿مَّنضُودٖ﴾	متتابع يتبع بعضه بعضًا.
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾	معلمة من عند ربك بعلامات، وقيل: كان على كل حجر اسم من سيهلك به.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	ليست ببعيدة عن أهل الظلم فكل ظالم فربنا قادر على أن يرسل عليه مثلها.

المعنى الإجمالي للقصة المباركة من سورة هود ﷺ:

أقول -وبالله التوفيق-: قد تقدم في قصة الخليل إبراهيم ﷺ أن الملائكة الكرام لما ذهبوا إليه لتبشيره بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أخبروه أيضًا أنهم في طريقهم إلى تدمير مدائن قوم لوط لما ارتكبوه من الكفر والفواحش، ثم إن إبراهيم ﷺ، وبعد أن ذهب عنه الخوف والروع جادلهم في قوم لوط وطلب المُهلة لعلهم يرجعون إلى الله ﷻ، وقال لهم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وهو نبي كريم، وفيها أيضًا أهل بيته وباستثناء امرأته وهم مؤمنون أما امرأته فكافرة.

فالحاصل: أن الملائكة الكرام أمروا إبراهيم ﷺ بالإعراض عن الجدل في شأن قوم لوط، وقالوا: ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ أي بتعذيبهم ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ (أي قوم لوط) ﴿ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٍ﴾ لكن أخبروه أيضًا أن الله ﷻ سينجي الصالحين المؤمنين مع لوط ﷺ، ثم إن الملائكة عليهم السلام تركوا إبراهيم ﷺ، وذهبوا إلى لوطٍ ﷺ فلما جاءت الملائكة لوطًا ﷺ وقدموا عليه ساءه قدومهم لما يعلمه من قومه الشريرين المفسدين، فخشي على أضيافه خشيةً شديدة من أن ينالهم مكروه من قومه، وضايقه وجود الأضياف لا كراهية منه للأضياف، بل خشية عليهم وحفاظًا عليهم، فحلَّ به ضيقٌ شديدٌ، وأصابه كرب وهمٌ ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ﴾، أي: شديد شرُّه أي أن الشرَّ فيه شديد، وعلى ما يذكره بعض أهل العلم أن امرأة لوط أخبرت القوم الكافرين أهل الفسق والرذيلة بمقدم الأضياف وأنهم على درجة عالية من الجمال فلما بلغ القوم خبرُ مجيء الأضياف حسان الوجوه، وهم الملائكة في صورة بشر جاء قوم لوط مسرعين حريصين على فعل الفاحشة بهؤلاء الكرام، وكان من سجية قوم لوط هؤلاء قبل مجيء الرسل إليهم كانوا يعملون هذه الفاحشة، فلم تكن هذه المحاولة للاعتداء هي أولى

المحاولات بل كانت هذه سجيتهم، وكان هذا شأنهم وتلك عادتهم ألا وهي فعل السيئات التي منها هذه الكبيرة إتيان الذكران من العالمين، فلما وصلوا إلى بيت لوط ‌غ ذكرهم بالله وبتقواه ٥، وناشدهم وعرض عليهم بناته كي يتزوجونهن فهن أحلَّ وأطيب إذا تزوجوهن على شريعة الله، عرض عليهم لوط ‌غ ذلك قائلًا: ﴿هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ أي: أحلَّ لكم فتزوجوهن إن شئتم أزوجكم إياهن، ولا تُهينوني، ولا تُذلونني مع أضيافي ولا تحرجوني معهم، ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ عاقل شديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي يدفع الله به شركم؟!، أليس فيكم من يتعقل الأمور ويتفهم ويتقي الله؟!!.

فحينئذٍ أجابوه بقولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ قيل: المعنى لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة فإننا لا نحتاج النساء ولكن تعلم مرادنا وهو أننا نريد الرجال ولا نريد النساء.

وقيل المعنى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ لكونهن لسن لنا بأزواج، ولا نريد الزواج إنما نريد الرجال (يعنون الأضياف).

وقيل: إنهم كانوا من قبل قد خطبوا بنات لوط فأبى ‌غ أن يزوجهم، وكان من عادتهم أن من خطب امرأة فرفض أنه لا يرجع إليها ثانية، فلما حلَّ بنبي الله ما حل من الحرج وافق على تزويجهن بناته دفعًا للضرر عن الأضياف فاعتلوا له بأنك تعلم ما لنا في بناتك من حق، فالله أعلم.

فحينئذٍ وقع لوط ‌غ في كرب شديد وبلاء عظيم، ولم تكن له بتلك البلدة قبيلة، ولم يكن له منهم كبير ناصرٍ بعد الله ٥، فقال مقولةً يرحمه الله ويغفر له قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.

أي: لو أن عندي منعة وأنصار أو كانت لي قبيلة قويةٌ لفعلت بكم الأفاعيل حفاظًا على أضيافي ودفعًا لشركم.

وفي مثل هذا المقام يقول النبي ﷺ: **«يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»**.

فلما قال غ مقولته قالت الملائكة حينئذٍ – يطمئنونه – وأفصحوا عن وجهتهم وعن أنفسهم، فقد كان غ يظنهم بشرًا، فقالوا: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ ملائكة من عند الله ٥ فاطمئن فلن يصلوا إليك بمكروه ولا سوء، وكذا لن يستطيعوا الوصول إلينا بأذى ولا بمكروه، هذا، وقد ذكر بعض العلماء ها هنا أقوالًا تشهد لها في الجملة آيات من كتاب الله ٥، ذكروا أن قوم لوطٍ غ أتوه ووقفوا بباب بيته وهو يدفعهم حفاظًا على أضيافه فكادوا أن يكسروا الباب فخرج لهم جبريل غ ضربهم بجناحه فأعمى أبصارهم، وكما أسلفت فيشهد في الجملة لهذا المعنى، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾.

فالحاصل: أن الله ٥ دفع عن لوط غ الشرَّ والمكروه وسلَّمه وسلَّم أضيافه من هؤلاء الأشرار، ثم أمرته الملائكة بأمر الله لهم بتبليغه -قالت الملائكة-: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي: فاخرج بأهلك ليلًا عند السحر، كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: 34]، ونهته الملائكة عن الالتفات إلى الخلف حتى لا يفكر في أحدٍ من القوم ولا يُفكر في ديار ولا مال ولا غير ذلك إلا ذكر الله ودعاء الله كي ينجيه وينجي من معه، واستثنيت من الإنجاء ومن الخروج مع لوط غ امرأته تلك الخائنة التي كانت تدل أهل الشر والكفر والفساد على أضياف لوطٍ غ، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ أي: لا تخرجها معك إنه سيحل بها مثل الذي يحلُّ بهم من العذاب.

وكأن لوطًا غ استبطأ العذاب وأراد أن ينزل العذاب على قومه في الحال، فطمأنته الملائكة بقولهم له: إن موعد إهلاكهم الصبح، ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟!!

فلما جاء أمر الله ٥ وقضاؤه بتعذيب هؤلاء الأشرار المفسدين جعل الله سبحانه وتعالى أعلى هذه القرى أسفلها وأسفلها أعلاها ذكر العلماء أن جبريل غ حمل هذه القرى بمن فيها ورفعها إلى السماء ثم قلبها رأسًا على عقب، وأتبع ذلك بأن أرسلت على القوم حجارة من طين شديد متحجر صلبة في غايته من الصلابة بحجارة متتابعة معلمة بعلامات من عند الله فأهلكتهم وأبادتهم ثم حُذر أهل الظلم عمومًا وخوِّفوا يقول تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أن مثل هذه الحجارة قريب إحلالها بأهل الظلم، والله ليس بعاجز عن فعل ما فعله بقوم لوطٍ من إهلاكهم وتدميرهم، فليحذر كل ظالم أن يصيبه مثل الذي أصاب قوم لوط، نسأل الله العافية والسلامة.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا، ساءَه مَجيئهم، وهو «فعل» من «السوء»، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾، يقول: وضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف عليهم فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه، ولذلك قال: ﴿هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

وأورد بإسنادٍ فيه مقال عن حذيفة أنه قال: لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهدَ لوط قال: فأتوه فقالوا: إنا مُتَضيِّفوك الليلة، فانطلق بهم فلما مشى ساعةً التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا أخبث منهم! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم.

فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته، انطلقت فأنذرتهم.

وقال الطبري $ أيضًا: وأما قوله: ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، فإنه يقول: وقال لوط: هذا اليوم يوم شديد شره، عظيم بلاؤه.

يقول تعالى ذكره:وجاء لوطًا قومه يستحثون إليه، يُرْعَدون مع سرعة المشي، مما بهم من طلب الفاحشة.

يقال: «أهْرِعَ الرجل»، من برد أو غضب أو حمَّى، إذا أرعد، «وهو مُهْرَع»، إذا كان مُعْجلًا حريصًا.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾، يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي -يعني: نساء أمته- فانكحوهن(1) فهنّ أطهر لكم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن أبي نجيح يقول في قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، قال: ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا.

وبإسنادٍ حسنٍ عن قتادة في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: أمرهم أن يتزوجوا النساء، وأراد نبي الله ﷺ أن يقي أضيافه ببناته.

وقال الطبري أيضًا: وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ يقول: فاخشوا الله، أيها الناس، واحذروا عقابه، في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها، ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾، يقول: ولا تذلوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبُوه منهم.

وقال الطبري $ أيضًا: وقوله: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، يقول: أليس منكم رجل ذو رُشد، ينهى من أراد ركوبَ الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟

---

(1) أي: تزوجوهن.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط للوط: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾، يا لوط ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾، لأنهن لَسْنَ لنا أزواجًا.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾، يقول: قالوا: وإنك يا لوط لتعلم أنَّ حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي نُريد هو ما تنهانَا عنه.

ثم قال الطبري: يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني، ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منِّي في أضيافي، وحذف جواب «لو» لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط، لما قال لوط لقومه: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾، ورأوا ما لقي من الكرب بسببهم منهم: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، أرسلنا لإهلاكهم، وإنهم لن يصلوا إليك وإلى ضيفك بمكروه، فهوّن عليك الأمر، ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾، يقول: فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡ﴾، يقول: إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب، ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾، يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح.

فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم: بلى عجّلوا لهم الهلاك! فقالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ أي: عند الصبح نزولُ العذاب بهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك، ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا﴾ يعني: عالي قريتهم، ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، يقول: وأرسلنا عليها، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى ﴿سِجِّيلٍ﴾ فأورد الطبري أقوالًا ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: 33، 34].

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿مَّنضُودٍ﴾ منها: مصفوفة، ومنها: متتابعة.

واختار قول الربيع بن أنس: نضد بعضه على بعض.

وقال الطبري $: وأما قوله: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ فإنه يقول: معلمة عند الله، أعلمها الله، و«المسومة» من نعت «الحجارة»، ولذلك نصبت على النعت.

وأما قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، فإنه يقول تعالى ذكره متهددًا مشركي قريش: وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، ببعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم.

وقال ابن كثير $: يخبر تعالى عن قُدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة، فانطلقوا من عنده، فأتوا لوطًا غ، وهو -على ما قيل- في أرض له يعمرها

وقيل: في منزله، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون، على هيئة شبان حسان الوجوه، ابتلاء من الله وله الحكمة والحجة البالغة، فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم، وخشي إن لم يُضِفْهم أن يضيفهم أحد من قومه، فينالهم بسوء، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾.

قال ابن عباس وغير واحد: شديد بلاؤه وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم، ويشق عليه ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $ أيضًا: وقوله: ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك.

وقوله: ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: لم يزل هذا من سجيتهم حتى أخذوا وهم على ذلك الحال.

وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ يرشدهم إلى نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، كما قال لهم في الآية الأخرى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165، 166]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر: 70] أي: ألم ننهك عن ضيافة الرجال ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: 71، 72]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾.

ثم قال: وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓ﴾ أي: اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار على نسائكم، ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ أي: فيه خير، يقبل ما آمره به، ويترك ما أنهاه عنه؟.

﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: إنك لتعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: ليس لنا غرض إلا في الذكور، وأنت تعلم ذلك، فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك؟.

قال السدي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ إنما نريد الرجال.

يقول تعالى مخبرًا عن نبيه لوط، غ: إن لوطا توعدهم بقوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ الآية أي: لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل، بنفسي وعشيرتي، ولهذا ورد في الحديث، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لُوطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ** -يَعْنِي: اللَّهَ ٥- **فَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ**».

فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رُسل الله إليه، وبشروه أنهم لا وصول لهم إليه: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل، وأن يتَّبع أدبارهم، أي: يكون ساقة لأهله، ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ أي: إذا سمعت ما نزل بهم، ولا تهولنَّكم تلك الأصوات المزعجة، ولكن استمروا ذاهبين.

﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ قال الأكثرون: هو استثناء من المثبت وهو قوله: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ تقديره ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك؛ لأنه من مثبت، فوجب نصبه عندهم.

قال ابن كثير $: ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له؛ لأنه قال لهم: «أهلكوهم الساعة»، فقالوا: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ هذا وقوم لوط وقوف على الباب وعُكوف قد جاءوا يُهرعون إليه من كل جانب، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه، وهم لا يقبلون منه، بل يتوعدونه، ويتهددونه فعند ذلك خرج عليهم جبريل غ، فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الآية [القمر: 37].

ثم قال: يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس، ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ وهي سدوم ﴿سَافِلَهَا﴾ كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: 54]، أي: أمطرنا عليها حجارة من «سجيل» وهي بالفارسية: حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره.

وقال بعضهم: أي من «سنك» وهو الحجر، و«كل»وهو الطين، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ [الذاريات: 33] أي: مستحجرة قوية شديدة. وقال بعضهم: مشوية، وقال البخاري. «سِجيل»: الشديد الكبير.

سجيل وسجين واحد، اللام والنون أختان، وقال تميم بن مُقبِل:

وَرَجْلَةٍ يَضْربُون البَيْضَ ضَاحِيةٌ ... ضَرْبًا تواصَت به الأبطال سِجّينا

وقوله: ﴿مَّنضُودٖ﴾ قال بعضهم: منضودة في السماء، أي: معدة لذلك.

وقال آخرون: ﴿مَّنضُودٖ﴾ أي: يتبع بعضها بعضًا في نزولها عليهم.

وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي: مُعْلَمَة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

وقال قتادة وعِكْرِمة: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي: مُطَوقة، بها نَضْحٌ من حُمرة.

وذكروا أنها نزلت على أهل البلد، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس، فدّمره، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد.

ثم قال: وقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ أي: وما هذه النقمة ممن تَشَبَّه بهم في ظلمهم، ببعيد عنه.

وقال السعدي $: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: يسرعون ويبادرون، يريدون أضيافه بالفاحشة، التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ﴾ من أضيافي، وهذا كما عرض لسليمان ﷺ، على المرأتين أن يشق الولد المختصم فيه، لاستخراج الحق ولعلمه أن بناته ممتنع منالهن، ولا حق لهم فيهن. والمقصود الأعظم، دفع هذه الفاحشة الكبرى.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ أي: إما أن تراعوا تقوى الله، وإما أن تراعوني في ضيفي، ولا تخزون عندهم.

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ فينهاكم، ويزجركم، وهذا دليل على مروجهم وانحلالهم، من الخير والمروءة.

فـ ﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: لا نريد إلا الرجال، ولا لنا رغبة في النساء.

فاشتد قلق لوط عليه الصلاة والسلام، و﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ كقبيلة مانعة لمنعتكم.

وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب.

﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ أي: أخبروه بحالهم ليطمئن قلبه، ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء.

ثم قال جبريل بجناحه، فطمس أعينهم، فانطلقوا يتوعدون لوطًا بمجيء الصبح، وأمر الملائكة لوطًا، أن يسري بأهله ﴿بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: بجانب منه قبل الفجر بكثير، ليتمكنوا من البعد عن قريتهم.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي: بادروا بالخروج، وليكن همكم النجاة ولا تلتفتوا إلى ما وراءكم.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا﴾ من العذاب ﴿مَآ أَصَابَهُمْ﴾ لأنها تشارك قومها في الإثم، فتدلهم على أضياف لوط، إذا نزل به أضياف.

﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ فكأن لوطًا، استعجل ذلك، فقيل له: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بنزول العذاب، وإحلاله فيهم ﴿جَعَلۡنَا﴾ ديارهم ﴿عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قلبناها عليهم ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من حجارة النار الشديدة الحرارة ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي: متتابعة، تتبع من شذ عن القرية.﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: معلمة، عليها علامة العذاب والغضب، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يشابهون لفعل قوم لوط ﴿بِبَعِيدٍ﴾ فليحذر العباد، أن يفعلوا كفعلهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم.

NNO PMM

ذِكر قصة لوط غ من سورة الحجر

قال الله ٥ في شأن الخليل غ مع الملائكة الكرام وفي شأن
الملائكة مع لوط غ وكذا ما حلَّ بقوم لوط قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا
خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ
ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: 57- 79].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿قَدَّرْنَآ﴾	حكمنا وكتبنا (عليها).
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب.

﴿مُّنكَرُونَ﴾	لا نعرفهم غير معروفين.
﴿يَمْتَرُونَ﴾	يشكون – يجادلون.
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	بالحكم الحق – مجيئنا إليك بالحق.
﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾	فاخرج ليلًا بأهلك (قيل في الثلث الأخير).
﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾	في ساعات متأخرة من الليل.
﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾	امش خلفهم.
﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾	انطلقوا حيث يوجهكم الله ويأمركم.
﴿وَقَضَيْنَآ﴾	أبلغنا – أفهمناه أن هذا القضاء قضي وحُكم على قومه به.
﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾	هلكى عن آخرهم، سيقطع سيرتهم ولا تسمع عنهم إلا أخبار تحدث بشأنهم في الصباح.
﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾	يُبشر بعضهم بعضًا.
﴿نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	ننهك عن استضافة الرجال.
﴿لَعَمْرُكَ﴾	لحياتك – لعيشك (قسم بحياة النبي ﷺ).
﴿سَكْرَتِهِمْ﴾	ضلالتهم – لعبهم – السُّكر الذي أصابهم، وغطى على عقولهم بسبب شهوتهم.
﴿يَعْمَهُونَ﴾	يحيرون – يترددون.
﴿مُشْرِقِينَ﴾	عند شروق الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾	فقلبنا البلاد فجعلنا أعلاها أسفلها.
﴿سِجِّيلٍ﴾	طين متحجر.
﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	للمتفرسين – للمتأملين – للمتفكرين – للمعتبرين.
﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾	لبطريق قائم (يراه الناس).
﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	لبطريق يؤتم به ويستدل به على غيره.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات مع بيان القصة:

أقول -وبالله التوفيق-: إن نبي الله إبراهيم غ سأل الملائكة و سؤالًا بعد أن اطمأن إليهم واستأنس معهم وبهم، وبعد أن بشروه بالبشارة التي بشروه بها، قال: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، أي: فما شأنكم وما وجهتكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، يا ملائكة الله الكرام يا من أرسلكم الله؟!!

فأجابوه بقولهم: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾ أرسلنا الله ٥ لتدمير بلادهم ولإهلاكهم وتعذيبهم واختبارهم وابتلائهم واستدراجهم، أرسلنا إلى قوم مجرمين اجترموا الكفر والكبائر واكتسبوها وتمادوا فيها ولم ينتفعوا بنصح ولا بتذكير، أرسلنا لتدمير وإهلاك قوم لوط الذين أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا واجترموا الجرائم العظيمة بفعلة شنيعة لم تكن موجودة من قبل في أسلافهم، ألا وهي إتيان الذكران من العالمين.

أرسلنا إليهم لتدمير بلادهم ولتعذيبهم، فعندما قالوا ذلك لخليل الرحمن إبراهيم غ ذكرهم بمن فيها من أهل الفضل والصلاح، كما في آية أُخرى إذ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: 32] فأجابوه بقولهم: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾، وهنا قالوا لإبراهيم غ: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ﴾، قضينا عليها بالهلاك والبقاء في العذاب مع المعذبين، مع الهلكى الذي سيهلكون، وذلك بأمر الله لنا بذلك.

ثم إن الملائكة الكرام عليهم السلام انصرفوا من عند نبي الله إبراهيم ﷺ واتجهوا إلى بلاد قوم لوط، ومدائنهم، فذهبوا إلى لوطٍ غ يسلمون عليه ويخبرونه بأمر قومه وما سيحل بهم، ويخبرونه بالمطلوب منه فعله، فلما دخلوا على لوط غ، وكانوا على درجة عظيمة من الجمال والبهاء والحسن، استاء لوطٌ غ لمجيئهم كما تقدم في آيات أخر من سور أخر، إذ قال تعالى: ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ [العنكبوت: 33]، وذلك لما يخشاه عليهم من قومه الأشرار، وهنا قال لهم: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾، لا نعرفكم، وكان كذلك لا يعرفهم إلا بعد أن عرَّفوه بأنفسهم، فقالوا له: (كما في آيات أُخر): ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، وهنا قالوا له بل جئناك لتعذيب هؤلاء القوم، لإنزال العذاب الذي كانوا يشكون فيه ويجادلون فيه لما أخبرتهم به، فها نحن قد جئناك لتعذيبهم ولإحلال العذاب بهم ولتدميرهم لقد جئناك، ومجيئنا إليك بالحق والصدق لم نأت عابثين، ولم نأت من قبل أنفسنا، بل أرسلنا ربنا ۵، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرناك به، وصادقون في مجيئنا إليك.

ثم وجهوا إليه النصائح والأوامر قائلين له، ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، اخرج مع أهلك ليلًا في أواخر الليل، وكن من وراء أهلك إذا ساروا حتى تحملهم على الإسراع، وحتى لا يتخلف من أهلك المؤمنين أحدٌ، ولا تلتفتوا إلى الوراء، لا تفكروا في شيء تركتموه ولاتنظروا إلى ما سيحل بالقوم، وجدُّوا في المسير، وأمعنوا في الخروج في هذه البلاد وسيروا حيث توجهون، سيروا حيث يرشدكم الله ۵ ويهديكم، قيل: إن ذلك إلى الشام، وقيل غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي: وأخبرناه بذلك الأمر الذي قد قُضي وانتهى، أعلمناه بهذا الأمر الذي هو أن هؤلاء سيهلكون عن آخرهم في الصباح، لن يتخلف عن الإهلاك منهم أحدٌ، وذلك كما في قوله

تعالى: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: 81].

ولما بلغ خبر الأضياف الذين نزلوا بنبي الله لوط غ، ولما علم قومه بمجيئهم، قيل: أخبرتهم به زوجته الخائنة - جاءوا يبشر بعضهم بعضًا، عياذًا بالله، بالأضياف كي يفعلوا معهم المحرم، فجاءوا مسرعين يطرقون على لوطٍ غ بابه، فقال لهم مُذكرًا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ ضيوفي، وحق للضيق أن يُكرم، حق للضيف أن يُحافظ عليه ويُنزل أحسن المنازل فلا تفضحوني مع أضيافي ولا تحرجوني معهم وراقبوا الله واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بترك أذاى، وترك إهانة أضيافي ولا تخزوني مع أضيافي، فلم يستجيبوا له ولم يعبؤوا به ولا بتذكيره، بل تمادوا في غيّهم وضلالهم فقالوا له: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عن استضافة أحدٍ من البشر فعندها عرض عليهم نبي الله لوط غ بناته للزواج بهن، قيل: إنهن بناته لصلبه، وقيل: إنهن بنات قومه، فكل نبي بمثابة الوالد لقومه.

فقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ أي: تزوجوهن إن كنتم تريدون الزواج والتعفف بالحلال الطيب.

ثم يُقسم الله تعالى بحياة نبيه ﷺ.

قال بعض أهل العلم: إنه قسمٌ بحياة النبي محمد ﷺ، وقال آخرون: إنه قسمٌ بحياة نبي الله لوط غ.

أما قوله تعالى: ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ فمعناها لفي السُّكر الذي أصابهم بسبب الشهوة الجارفة يتحيرون ويترددون.

وقيل: لفي سكرتهم أي: لفي ضلالتهم يلعبون ويخوضون.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾ أي: فأخذتهم الصيحة عند شروق الشمس، والمراد بها: الصيحة الشديدة الصاعقة التي صعقتهم، وذلك في الصباح عند شروق الشمس فقلبنا بلادهم، جعلنا العالي منها هو

الأسفل، والأسفل هو العالي، قلبناها رأسًا على عقب، وبعد أن قلبناها أتبعنا أهلها بحجارة من سجيل، من طين متحجر شديد متصلب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذي نزل بهم ﴿لَآيَٰتٍ﴾ لدلالات وعلامات ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفكرين المتأملين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: هذه البلاد التي دُمرت وأهلكت ﴿لَبِسَبِيلٍ﴾ بطريق، أي: موجودة بطريق مقيم، لا يزال قائمًا موجودًا يراه المارة، إن في ذلك الذي حدث لهم لدلالة على قدرتنا ووحدانيتنا وشدة انتقامنا ممن خالفونا وعاندونا وكذبوا رسلنا، فيما حدث دلالة لأهل الإيمان يستدلون بها على ذلك.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم: ما أمرُكم أيُّها المرسلون؟ قالت الملائكة له: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: يقول: إلا أتباع لوط على ما هو عليه من الدِّين، فإنا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذّب به قوم لوط، سوى امرأة لوط ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي مهلكة بعد.

ثم قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسلُ الله آل لوط، أنكرهم لوط فلم يعرفهم، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي نُنْكركم لا نعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

ويقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: وجئناك بالحق اليقين من عند الله، وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط. وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذّبهم به. وقولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يقولون: إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله

(396) أحمر
أسود

مهلك قومك ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن رسله أنهم قالوا للوط، فأسر بأهلك ببقية من الليل، واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم، وسر خلفهم وهم أمامك، ولا يلتفت منكم وراءه أحد، وامضوا حيث يأمركم الله.

ويقول تعالى ذكره: وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾: يقول: إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم، وأنّ من قوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾ في موضع نصب ردًّا على الأمر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض، ويكون معناه: وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وقلنا: إن دابر هؤلاء مقطوع مُصبحين. وعُنِي بقوله: ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾إذا أصبحوا، أو حين يصبحون.

قال الطبري $: وقوله: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يقول: وجاء أهل مدينة سَدُوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوط مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعًا منهم في ركوب الفاحشة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ استبشروا بأضياف نبي الله لوط ﷺ، حين نزلوا لما أرادوا أن يأتوا إليهم من المنكر.

وقال تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ﴿ضَيۡفِي﴾، وحقّ على الرجل إكرام ضيفه، ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرّض لهم بالمكروه، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: وخافوا الله فيَّ وفي أنفسكم أن يحل بكم عقابه ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾ يقول: ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم، بالتعرّض لهم بالمكروه ﴿قَالُوٓاْ

﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال للوط قومه: ﴿أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ﴾ أن تضيف أحدًا من العالمين.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: ألم ننهك أن تضيف أحدًا؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: تزوّجوا النساء فائتوهنّ، ولا تفعلوا ما قد حرّم الله عليكم من إتيان الرجال، إن كنتم فاعلين ما آمركم به، ومنتهين إلى أمري.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾: أمرهم نبيّ الله لوط أن يتزوّجوا النساء، وأراد أن يَقِيَ أضيافه ببناته.

وقوله: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون.

وأورد من طريقين عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوْزاء، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ قال: ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا.

وأورد نحوه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ وهي كلمة من كلام العرب ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾: أي: في ضلالتهم ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: أي: يلعبون.

وأورد بإسناد صحيح عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون أن يقول الرجل: لعمري، يرونه كقوله: وَحَيَاتِي.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة

العذاب، وهي الصيحة مشرقين: يقول: إذ أشرقوا، ومعناه: إذا أشرقت الشمس، ونصب مشرقين ومصبحين على الحال بمعنى: إذا أصبحوا، وإذا أشرقوا، يقال منه: صبح بهم، إذا أهلكوا.

وقال في تأويل قوله تعالى:﴿فَجَعَلْنَا عَلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فجعلنا عالي أرضهم سافلها، وأمطرنا عليهم حِجارة من سجيل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة عن عكرمة: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي: من طين.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرّسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به.

وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبيّ الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك يا محمد في قوم لوط، وما حلّ بهم من عذاب الله حين كذّبوا رسولهم، وتمادوا في غيهم، وضلالهم مَعْتَبَر.

وأورد الطبري بعض الطرق الضعيفة لحديث: **«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»**.

وكذا أورد حديث: **«إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»**.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سَدُوم، لبطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لبّ أمرها، وغبّ معصية الله، والكفر به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ يقول: بطريق واضح.

قال الطبري $: وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في صنيعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم.

عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ قال: هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي؛ أو آية كذا وكذا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغَيْضة ظالمين، يقول: كانوا بالله كافرين، والأيكة: الشجر الملتف المجتمع.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامَّة شجرهم هذا الدَّوْم. وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيب ﷺ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذبتا بعذابين شتى. أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكة، فكانوا أهل شجر متكاوس، ذُكر لنا أنه سلَّط عليهم الحرّ سبعة أيام، لا يظللهم منه ظلّ، ولا يمنعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة، فحَلُّوا تحتها يلتمسون الرَّوْح فيها، فجعلها الله عليهم عذابًا، بعث عليهم نارًا فاضطرمت عليهم فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلَّة، إنه كان عذاب يوم عظيم.

وقال الطبري $: وقوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: وإن مدينة أصحاب الأيكة، ومدينة قوم لوط، والهاء والميم في قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من ذكره: فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكة. وقوله: ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ من ذكر المدينتين. ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ يقول: لبطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به ﴿

مُّبِينٍ﴾ يقول: يبين لمن ائتمّ به استقامته، وإنما جعل الطريق إمامًا لأنه يُؤم ويُتَّبع.

وقال ابن كثير $: يقول تعالى إخبارًا عن إبراهيم غ، لما ذهب عنه الروع وجاءته البشرى: إنه شرع يسألهم عما جاءوا له، فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ يعنون: قوم لوط. وأخبره أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فإنها من الملهكين؛ ولهذا قالوا: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين المهلكين.

ثم قال ابن كثير $: يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه، فدخلوا عليه داره، قال: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٦٢ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ يعنون: بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم، وحلوله بساحتهم، ﴿وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر: 8].

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ تأكيد لخبرهم إياه بما أخبروه به، من نجاته وإهلاك قومه، والله أعلم.

﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾.

يذكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل، وأن يكون لوط غ يمشي وراءهم، ليكون أحفظ لهم.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزاة بما كان يكون ساقة، يُزجي الضعيف ويحمل المنقطع.

وقوله: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ﴾ أي: إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم، وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال، ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ كأنه كان معهم من يهديهم السبيل.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: تقدمنا إليه في هذا ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81].

وقال الحافظ ابن كثير $ أيضًا: يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم، وأنهم جاءوا مستبشرين بهم فرحين، ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾.

وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله كما قال في سياق سورة هود، وأما ها هنا فتقدم ذِكرُ أنهم رسل الله، وعطف بذكر مجيء قومه ومحاجته لهم. ولكن الواو لا تقتضي الترتيب، ولا سيما إذا دل دليل على خلافه، فقالوا له مجيبين: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أو ما نهيناك أن تضيف أحدًا؟ فأرشدهم إلى نسائهم، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة. وقد تقدم أيضًا إيضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته.

هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم، وما قد أحاط بهم من البلاء، وماذا يُصبحهم من العذاب المستقر؛ ولهذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أقسم تعالى بحياة نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع وجاه عريض.

قال عمرو بن مالك النُّكْري عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، أنه قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: وحياتك وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ رواه ابن جرير (1).

وقال قتادة: ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أي: في ضلالتهم، ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: يلعبون.

(1) روي من طرقٍ عن عمرو بن مالك، عند الطبري وغيره.

يقول تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ وهي ما جاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس، وهو طلوعها، وذلك مع رفع بلادهم إلى عَنان السماء ثم قلْبها وجعل عاليها سافلها، وإرسال حجارة السجيل عليهم. وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي: إن آثار هذه النقم ظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسَّمه بعين بصره وبصيرته، كما قال مجاهد في قوله: ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: المتفرسين.

وأورد أقوالًا أُخر في تفسير المتوسمين، منها: المتأملين، ومنها المعتبرين.

وأورد طرقًا ضعيفة لحديث: **«اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»**.

وكذا أورد حديث أنس بن مالك ؓ عن النبي ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»**.

ثم قال: وقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ أي: وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة لبطريق: «مَهْيَع» مسالكه مستمرة إلى اليوم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات: 137-138].

وأورد أقوالًا في تفسير: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ منها معلم، ومنها بطريق واضح.

ثم قال: وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: إن الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإنجائنا لوطًا وأهله، لدلالة واضحة جلية للمؤمنين بالله ورسله.

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾.

أصحاب الأيكة: هم قوم شعيب.

قال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: الأيكة: الشجر الملتف.

وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان.

فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بَعْدَهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ أي: طريق مبين.

قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك: طريق ظاهر؛ ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذراته إياهم: ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: 89].

NNO PMM

ذكر لوط ‌غ من سورة الشعراء

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٤ أَتَأۡتُونَ
ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ
قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧ قَالَ
إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ
وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢
وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 160- 175].

معاني مفردات الآيات المباركات:

(404) أحمر
أسود

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾	أتجامعون الرجال في أدبارهم.
﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	البشر.
﴿وَتَذَرُونَ﴾	تتركون.
﴿عَادُونَ﴾	معتدون – متجاوزون للحد.
﴿ٱلْمُخْرَجِينَ﴾	المطرودين من البلاد.
﴿ٱلْقَالِينَ﴾	المبغضين المُنكرين الكارهين الرافضين.
﴿عَجُوزًا﴾	امرأة كبيرة السن.
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب.
﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾	المراد هنا أرسلنا عليهم حجارة.
﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	بئس المطر، ذلك المطر الذي أمطره الله على الذين أنذرتهم رسلهم فكذبوا رسلهم.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يُخبر الله ٥ أن قوم لوط كذبوا المرسلين جميعًا، وكيف ذلك وما أرسل إليهم إلا لوط غ ؟ وجواب ذلك أن من كذَّب رسولًا فقد كذَّب جميع المرسلين، وذلك لأن دعوة المرسلين واحدة، وهي في المقام الأول، الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ ثم إن الرسل أيضًا يدعون إلى مكارم الأخلاق، فمن كذَّب واحدًا فقد كذَّب الجميع.

وأعود فأقول: لقد كذبوا لوطًا غ لما أمرهم بتقوى الله ٥ ولقد قال لهم مُذكرًا: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله ٥ وقايةً بتوحيدكم له

بعبادتكم إياه وحده لا شريك له وبطاعتكم له وامتثالكم أمره واجتنابكم ما نهاكم عنه والذي منه نهيه لكم عن ارتكاب الفاحشة التي لم تسبقوا إليها وذكرَّهم لوط ؑ بأنه رسول أمين، أمين على الوحي يبلغه بلا زيادة ولا نقصان وأيضًا فقد كان ؑ مشهورًا بالأمانة في أوساطهم فمن ثَمَّ ذكرهم بقوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه، ثم بين لهم أنه لا يسألهم أجرًا على دعوته لهم إلى الله ۵ ولا يسألهم على إيمانهم أجرًا فقال: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

هو الذي أطلب منه الأجر وابتغي منه الثواب.

ثم واصل النصح والتذكير فبعد أن دعاهم إلى تقوى الله ۵ بتوحيده والاستقامة على أمره نهاهم عن الفاحشة القبيحة التي كانوا يرتكبونها وما سبقهم إليها أحد من العالمين فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي أتجامعون الرجال في الأدبار وتتركون الزوجات اللواتي أحلهن الله لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون للحد أثَمةٌ ظلمةٌ معتدون! فبماذا أجابه قومه، وقد نصحهم وذكرهم!!.

لقد كان من اللائق بهم أن يشكروه على النصح ويقبلوا النصيحة ويعملوا بها ولكن شهوتهم المستعرة غطت على قلوبهم فأجابوه لمّا دعاهم إلى الله ونهاهم عن فعل الفاحشة القبيحة التي اختصوا بها، وأعلن لهم عن بغضه لها ولسائر أعمالهم القبيحة، ولشركهم بالله، أجابوه بقولهم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن دعوتك لنا إلى توحيد ربك، وعن نهيك لنا عن أفعالنا التي نفعلها لنطردنك من بلادنا أنت والذين اتبعوك على ما أنت عليه، فعندها أجابهم لوط ؑ معلنًا عن وجهته وعن دينه، ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾، من المبغضين الكارهين التاركين، ثم دعا ربه ۵، بقوله: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ رب احفظني وسلمني من شرهم وكيدهم ومكرهم، أنا وأهلي، وكذا

رب فاعصمني من هذا الزلل الذي وقعوا فيه والقبح الذي يرتكبوه.

وكذا رب نجني من العذاب الذي سيحل بهم نتيجة عملهم السيئ.

فأجاب الله دعاءه فنجاه وأهله أجمعين إلا زوجته تلك العجوز الخائنة التي كانت تدل قومه على أضيافه، ثم ولما أنجاه الله وسلمه دمر الله قومه، ومعهم زوجته الخائنة له في الدين، وكانت صورة هذا الدمار أن رُفعت قريتهم إلى السماء ثم قلبت رأسًا على عقب كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر: 74]، ثم أتبعوا بحجارة من طين متحجر كلٌّ له حجرٌ يصيبه كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: 82]، وفي الأخرى: ﴿مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾، فهكذا كان العقاب فبئس المطر الذي أمطره الله ٥، على هؤلاء القوم الذين أتتهم رسلهم تنذرهم فكذبوا رسلهم وتمادوا في غيهم وطغيانهم، إن في ذلك الذي أحللناه بهم من الدمار والذي أنزلناه بهم من العذاب، وكذا في إنجائنا عبادنا المؤمنين لدلالة على وحدانيتنا وقدرتنا، ولكن ما كان أكثر هؤلاء القوم بمؤمنين مع مجيء النذر إليهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي لا يغلب بل أمره نافذٌ في خلقه وقضاؤه فيهم لا يُرد ومع ذلك فهو رحيم بعباده إذ أرسل إليهم رسلًا تذكرهم وتحذرهم، وأيضًا رحيم بهم يرزقهم ويعافيهم.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم، وها هي بعض أقوالهم:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ من أرسله الله إليهم من الرسل حين ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله أيها القوم. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربكم ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه، وتبليغ رسالته. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أنفسكم، أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما دعوتكم إليه أهدكم سبيل الرشاد. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم إلى ربي جزاءً ولا ثوابًا. يقول: ما جزائي على دعايتكم إلى الله،

وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله إليكم، إلا على ربِّ العالمين.

وقال الحافظ ابن كثير $: يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله لوط غ وهو: لوط بن هاران ابن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون «سدوم» وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين الكَرَك والشَّوبَك، فدعاهم إلى الله ٥ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكْران دون الإناث.

وقال $: يعني بقوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم. وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم﴾ يقول: وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهنّ، فأحله لكم. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: **(وَتَذَرُونَ ما أصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أزْوَاجِكُمْ)**.

وقوله: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم، وأحله لكم من الفروج إلى ما حرم عليكم منها.

وقال $: يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن نهينا عن إتيان الذكران ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ من بين أظهرنا وبلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ يقول لهم لوط: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم

إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة، فقال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكران. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط ﴿أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ يعني في الباقين لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم، وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن إعادتها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذَّبوه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحقِّ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في سابق علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ لمن آمن به.

وقال ابن كثير $: لما نهاهم نبي الله عن إتيانهم الفواحش، وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم -ما كان جواب قومه له إلا قالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ يعنون: عما جئتنا به، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أي:ننفيك من بين أظهرنا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82]،

فلما رأى أنَّهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرون على ضلالهم، تبرأ منهم فقال: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي: الْمبغضين، لا أحبه ولا أرضى به؛ وأنا بريء منكم. ثم دعا الله عليهم قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: كلهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، وهي امرأته، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع مَنْ بقي من قومها، وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في «سورة الأعراف» و «هود»، وكذا في «الحِجْر» حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه، فصبروا لأمر الله واستمروا، وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عمَّ جميعهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

(410) أحمر
أسود

ذِكر نبي الله لوط غ من سورة النمل

قال الله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾
۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾

[النمل: 54- 58].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾	أتفعلون الفعلة الفاحشة.
﴿تُبْصِرُونَ﴾	يرى بعضكم بعضًا أمام بعضكم -تعلمون أنها فاحشة.
﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾	لتجامعون الرجال في أدبارهم بدلًا من النساء.
﴿تَجْهَلُونَ﴾	تجهلون عاقبة أمركم -تفعلون فعل الجهلاء.
﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾	يتنزهون عن أدبار الرجال -لا يأتون الرجال.
﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾	كتبنا عليها.
﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب - الهالكين.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ﴾	أرسلنا عليهم حجارةً.
﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾	فساء ذلك المطر من أُنذروا وحُذِّروا فلم يقبلوا ولم يحذروا، أي: فساءهم ذلك المطر وما سرهم وما فرحوا به بل كان نكدًا عليهم وكربًا عليهم وبلاء.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

المعنى -والله تعالى أعلم-: واذكر نبي الله لوطًا غ إذ قال لقومه الذين كانوا يرتكبون الفواحش القذرة المستقذرة التي لم يسبقهم إليها أحدٌ، فقد كانوا يأتون الذكران من العالمين، كان الرجل يجامع الرجل، ويترك جماع النساء، كانوا يفعلون ذلك أمام بعضهم البعض، يُبصر بعضهم بعضًا وهم يفعلون تلك الفاحشة، يفعلونها وهم يعلمون أنها فاحشة، وأنهم لم يسبقهم بها أحدٌ، فقد كانوا أهل جهلٍ وغباء، يجهلون حتى الآداب والأخلاق، فضلًا عن جهلهم بشرائع الله واستخفافهم بها، يجهلون عقوبة من فعل ذلك ليس جهلًا عن قلة علم، بل جهل المستخف المستهزئ المنكر الجاحد، وإلا فقد حذرهم لوطٌ غ أشد التحذير، ونصحهم أبلغ نُصح وذكَّرهم أجمل تذكير، ولكن ما انتفعوا بشيء من ذلك، فما كان جواب قومه إلا أن طالبوا بإخراجه وإخراج أهله من بلادهم لا لجرم فعلوه، ولكن أخرجوهم لتطهرهم!!

أخرجوهم لبعدهم عن الفواحش؟!!

أخرجوهم لامتناعهم عن أدبار الرجال ومجامعة الرجال؟!!

فحقًّا إنها انتكاسات في الأفهام، وانتكاسات في الأخلاق فضلًا عن ضياع الدين وذهابه؛ إذ يريدون إخراج المتطهر من بينهم، وطرده من بينهم.

أصبح التطهر -في عُرْف قوم لوط- جريمة يستحق فاعلها الطرد من البلاد والإخراج منها.

فهكذا حين يُطمس على القلوب، يصبح الحق باطلاً في الأفهام ويصبح المنكر معروفًا في الأذهاب، ويُطرد أهل الفضل والصلاح من البلاد، ويبقى الأشرار والأراذل وأهل الإجرام.

ولكن ربي بالمرصاد، بالمرصاد لكل من خالف شرعه وعاند رسله وكذبهم، ربي يكرم أولياءه وينتقم من أعدائه، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ فقد كانت خائنة له في دينها تدل أهل الشرك على خباياه، وعلى من آمن به فيسومونهم سوء العذاب، تدل على أضيافه إذا جاءه أضياف فلذا قدَّر الله عليها أن تكون من المعذبين، من الغابرين الباقين في العذاب الذي لحق بقوم لوط ألا وهو المطر ولكن أي مطر! إنها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك، كل حجر عليه اسم صاحبه، حجارة من سجيل منضود، بعد أن قلب الله قريتهم، بعد أن جعل عاليها سافلها، أمطر عليها حجارة من سجيل منضود، فساء هذا المطر وبئس هذا المطر الذي أُمطر على هؤلاء القوم الذين أُنذروا فلم ينتفعوا بالنذر ولم تغن عنهم النذر.

وبنحو ما ذُكِرَ قال أهل العلم:

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطًا إلى قومه؛ إذ قال لهم: يا قوم ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنها فاحشة، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ منكم بذلك من دون فروج النساء التي أباحها الله لكم بالنكاح، وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له؛ إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطًا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناه بهم، ثم ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ من الباقين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ يقول: فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك.

وقال ابن كثير $: يخبر تعالى عن عبده لوط غ، أنه أنذر قومه نقمة الله بهم، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكور دون الإناث، وذلك فاحشة عظيمة، استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، قال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يرى بعضكم بعضًا، وتأتون في ناديكم المنكر؟

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: 165، 166].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتحرجون من فعل ما تفعلونه، ومن إقراركم على صنيعكم، فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك، فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها.

قال الله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم على دينهم، وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط؛ ليأتوا إليهم، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله لا كرامة لها.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أي: حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد؛ ولهذا قال: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي: الذين قامت عليهم الحجة، ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه، وَهمُّوا بإخراجه من بينهم.

ذِكر نبي الله لوط ؏ من سورة العنكبوت

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا
سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا
جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ
أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ
بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾	لتفعلون الفعلة الفاحشة، وهي إتيان الذكران من العالمين، فكان الرجل يجامع الرجل.
﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾	لتجامعون الرجال.
﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾	تقطعون الطريق على المارة (وتفعلون بهم الفواحش).
﴿نَادِيكُمُ﴾	مجتمعكم الذي تجتمعون فيه – مكان الاجتماع.
﴿ٱلْمُنكَرَ﴾	الفعل المستنكر الذي تستنكره الشرائع والعقول الصحيحة.
﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾	بالأمر السار، وهو تبشيره بأنه سيرزق بإسحاق، وإن إسحاق سيرزق بيعقوب.

﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾	الباقين في العذاب -لهالكين.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

أولًا: أذكر بأن الله ٥ قد ذكر في هذه السورة المباركة، وقبل هذه الآية أن لوطًا غ كان في زمن إبراهيم غ وآمن به مع من آمنوا به، قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ أي أن لوطًا غ آمن بإبراهيم عليه وصدَّق. هذا ابتداء.

أما عن تفسير الآيات المباركات:

فقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تقدم بيانه في سورة الأعراف بما حاصله أنه لم ينْزُ ذكرٌ على ذكرٍ قبل قوم لوط، وقد حذرهم لوط غ من عقوبة هذه الفاحشة، وبُيِّنت هذه الفاحشة في قوله: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ كانوا يقطعون الطريق على المارة ويفعلون بهم الفاحشة والعياذ بالله وهذا غايةٌ في الإجرام والقذارة والدنس.

وكانوا أيضًا يفعلون هذا في النوادي أمام بعضهم البعض، قال لوط غ: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾ ولكن قومه كذَّبوه ولم يجيبوه ولم يستمعوا إلى وعظه، بل سخروا منه واستهزأُوا به وتحدَّوه بقولهم ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فدعا على قومه بعد أن أصروا على جرائمهم وأصروا على كفرهم وأعلنوا عن تحديهم له وتكذيبهم لما يقوله: فقال: ﴿رَبِّ...﴾ أي: يا رب انصرني على القوم المفسدين في الأرض الذين يقطعون السبيل ويأتون الذكران من العالمين فضلًا عن شركهم بالله ٥، والله أعلم.

وقال ابن كثير $: ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم، وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل، أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم، ﴿وَتَأۡتُونَ فِي

نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها، لا ينكر بعضهم على بعض شيئًا من ذلك، فمن قائل: كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملإ قاله مجاهد. ومن قائل: كانوا يتضارطون ويتضاحكون؛ قالته عائشة ف، والقاسم. ومن قائل: كانوا يناطحون بين الكباش، ويناقرون بين الديوك، وكل ذلك كان يصدر عنهم، وكانوا شرًّا من ذلك.

وقال: وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم؛ ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

فمعناه -والله أعلم-: ولما جاءت ملائكتنا إبراهيم غ في صورة البشر تبشره بأنه سيرزق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب أي أن إسحاق سيرزق بيعقوب هو الآخر غ قالوا له إنا أرسلنا إلى قوم لوط غ لإهلاكهم ولتدمير قريتهم عليهم، فإن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم باخسين لها حقها لشركهم وفعلهم القبائح.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ من الله بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يقول: قالت رسل الله لإبراهيم: إن مهلكو أهل هذه القرية، قرية سَدُوم، وهي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ يقول: إن أهلها كانوا ظالمي أنفسهم؛ بمعصيتهم الله، وتكذيبهم رسول الله ﷺ.

هذا، ولما أخبرت الملائكة إبراهيم غ بما أخبرته به من أنهم مهلكوا أهل قرية لوط غ قال لهم: إن فيها لوطًا غ، وهو مؤمن فأجابته الملائكة

بقولهم نحن أعلم منك بمن في هذه القرية من المؤمنين وغير المؤمنين، وسننجي لوطًا غ وننجي أهله معه إلا امرأته فلم تكن بمؤمنة، وقد قضى الله أن تكون من الباقين في العذاب، من الهالكين.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للرسل من الملائكة إذ قالوا له: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ فلم يستثنوا منهم أحدًا، إذ وصفوهم بالظلم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وليس من الظالمين، بل هو من رسل الله، وأهل الإيمان به، والطاعةِ له، فقالت الرسل له: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ من الظالمين الكافرين بالله منك، وإن لوطًا ليس منهم، بل هو كما قلت من أولياء الله، ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ الذين أبقتهم الدهور والأيام، وتطاولت أعمارهم وحياتهم، وإنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها.

وقال الحافظ ابن كثير $: لما استنصر لوط غ الله عليهم، بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم غ، في هيئة أضياف، فجاءهم بما ينبغي للضيف، فلما رأى أنه لا همَّة لهم إلى الطعام نكِرَهم، وأوجس منهم خيفة، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك، كما تقدم بيانه في سورتي «هود»، و«الحجر» فلما جاءت إبراهيم البشرى، وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط، أخذ يدافع لعلهم يُنظَرون، لعل الله أن يهديهم، ولما قالوا: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ أي: من الهالكين؛ لأنها كانت تمالئهم على كفرهم وبغيهم وَفُحشهم. ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان.

وصول الملائكة إلى لوط غ

قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾	ساءه مجيئُهم وأحزنه مجيئُهم.
﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾	حزن حزنًا شديدًا بسببهم ولم يجد حيلة أمامه لنصرهم والمحافظة عليهم – أهمه أمرهم همًّا شديدًا- تضايق تضايقًا شديدًا بسببهم.
﴿رِجۡزٗا﴾	عذابًا.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

المعنى -والله أعلم-: ولما أن جاءت ملائكتنا الذين أرسلناهم إلى قوم لوطٍ لتدميرهم بإهلاكهم ساءه مجيئُهم وتضايق بسببهم خوفًا عليهم من قومه الأشرار أن يأتوا إليهم ويفعلوا بهم الفاحشة، فطمأنوه وقالوا له: لا تخف علينا يا نبي الله من قومك الأشرار ولا تحزن على ما أصابك من هموم وغموم، ولا تحزن مما يحيط بك، ولا تخف فإنا منجوك وأهلك المؤمنين بك، إلا امرأتك فقد كانت خائنة في الدين وقد كتب الله أن تكون من الهالكين الباقين مع الذين سيعذبون ويهلكون، وفي الآيات الأُخر أن الله ٥ أوحى إليه أن يخرج بعباد الله المؤمنين وكذا بأهله المؤمنين به، كما قال

تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: 81]، وأخبرته الملائكة أنهم سينزلون على أهل هذه القرية عذابًا من السماء بسبب جرمهم وفسقهم، وإيضاحه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: 82]. فأهلكها الله ۵ وتركها آية وعبرةً وعظةً لقوم يعقلون سنة الله في الخلق ويعقلون كيف يُعذب الظالمون، ويُنجي الله المؤمنين.

قال الطبري $: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ من الملائكة ﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ يقول: ساءته الملائكة بمجيئهم إليه، وذلك أنهم تَضيفوه، فساءوه بذلك، فقوله: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: فُعِلَ بهم مِنْ ساءه بذلك.

وذُكر عن قتادة أنه كان يقول: ساء ظنه بقومه، وضاق بضيفه ذَرْعًا.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط: لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك، ولا تحزَن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم، وذلك أن الرسل قالت له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ من العذاب الذي هو نازل بقومك ﴿وَأَهْلَكَ﴾ يقول: ومنجو أهلك معك ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فإنها هالكة فيمن يهلك من قومها، كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل الرسل للوط: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ يا لُوط ﴿عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ سَدُوم ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني عذابًا.

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ يقول: بما كانوا يأتون من معصية الله،

ويركبون من الفاحشة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فَعْلتنا التي فَعَلْنا بهم آية، يقول: عبرة بينة وعظة واعظة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ عن الله حُجَجه، ويتفكرون في مواعظه، وتلك الآية البينة هي عندي عُفُوُّ آثارهم، ودروس معالمهم.

وأورد بسندٍ حسن عن قَتادة: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ قال: هي الحجارة التي أُمطرت عليهم.

وقال ابن كثير $: فلما رآهم كذلك، ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ أي: اهتمَّ بأمرهم، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه، وإن لم يضفهم خشي عليهم منهم، ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة. ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾، وذلك أن جبريل غ اقتلع قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم. وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ﴾ أي: واضحة، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الصافات: 137، 138].

NNO PMM

ذكر قصة نبي الله لوط ﻍ من سورة الذاريات

قال الله ۵ في شأن خليله إبراهيم لما بشرته الملائكة بغلام عليم فقال لهم الخليل حينئذ، وهم في بيته لزيارته وتبشيره، وكانوا في طريقهم إلى مدائن قوم لوط ﻍ.

قال تعالى: ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾	لننزل عليهم - لنرجمهم.
﴿مُّسَوَّمَةً﴾	مُعلمة - مختومة، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله - الكافرين -وقيل: المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بإتيانهم الذكور.
﴿ءَايَةً﴾	عبرة.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

لقد سأل الخليل إبراهيم ﻍ الملائكة عن وجهتهم ومسيرهم قائلًا: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم يا رسل الله، يا ملائكة الله قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، وهم قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ أي من طين

متحجر، وهنا سؤال قد يُطرح، وهو ما فائدة ذكر الطين هنا، وقد عُلم أن هناك ما هو أقوى من الطين؟

وجوابه كما قال بعض العلماء: ذلك ليعلم أنها ليست حجارة الثلج والبرد النازلين من السماء، ولكنها حجارة من طين يتحجر كما قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: 82].

وقال آخرون من العلماء: هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارةً بإحراق الشمس إياها على مرّ الدهور.

هذا، وقد قال بعض العلماء في تفسير السجّيل:

إنه طين قد طُبخ بالنار حتى صار في صلابة الحجارة، والله تعالى أعلم.

أما قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ففي تفسيره وجوه:

أحدها: مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به.

ثانيها: أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.

ثالثها: مرسلة للمجرمين.

أما وجه إسرافهم ففي كونهم فعلوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من الخلق وأكثروا منها وقطعوا الطريق وجاهروا بالمعصية.

أما قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾أي من كان في القرية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ استدل به على أن الإسلام قد يطلق على الإيمان أحيانًا والله أعلم، هذا وقد قال بعض العلماء: لا فارق بين الإسلام والإيمان في هذا المقام وقال آخرون: بل الإيمان هنا على بابه يطلق على تصديق القلب، والإسلام على الانقياد الظاهر، وقد قدمنا مزيدًا لهذا في تفسير سورة الحجرات عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ الْأَعْرَابُ

ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14].

قال القرطبي $: والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86]، وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها. وقوله: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحجرات: 14] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام وهو مقتضى حديث جبريل غ في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فمعناه وتركنا في أماكن بلادهم عبرةً وعظةً ودلالة على انتقام الله ۵ من الظالمين.

ولكن هذه العبرة يعتبر بها وينتفع أهل الإيمان الذين يخافون العذاب الأليم

قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة، لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعل محلَّتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي ذلك عبرة للمؤمنين الذين ﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقال القرطبي $: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي عبرة وعلامة لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، نظيره: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: 35].

وقال الرازي: وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: المنتفع بها هو الخائف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي في تلك

القرى بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب. وهي تلك الأحجار أو صخر منضود أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فإنها ظاهرة بينة، وقيل: هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، فلا يفعل مثل فعلهم، وإنما خص هؤلاء لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم، ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.

ومن سورة النجم

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أما المؤتفكة فهي مدينة قوم لوط، وقال الأكثرون من العلماء اسمها سدوم.

والقرى المحيطة بها أيضًا قال الله في شأنها: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾، حيث قال سبحانه: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾.

أما لماذا أطلق عليها المؤتفكة أي المقلوبة ذلك لأن الله ۵ قلبها رأسًا على عقب فقد رفعت إلى السماء ثم هويت إلى الأرض، وقد قُلب أعلاها فأصبح سافلها، كما قال تعالى: ﴿ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: 74].

وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود: 82].

هذا، وقد قال فريق من أهل العلم إن المَلَك رفع هذه القرية وما جاورها من القرى التي صارت على نفس فسادها ثم أهواها.

أي ألقاها على الأرض تهوى منقلبة أعلاها أسفلها وقوله تعالى: ﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أي أصابها من أمر الله ۵ ومن عذابه ما قد أصابها، وحلَّ بها من عذاب الله ما قد حلَّ ونزل بها ما نزل.

هذه، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ أي أتوا بالفعلة الخاطئة.

أما ما يخص أهل القرى المؤتفكة فالذي أتوا به هو إتيان الذكران من العالمين. والله أعلم.

NNO PMM

ذِكر نبي الله لوط ؛ من سورة القَمَر
وبيان ما حلَّ بقومه من أليم العذاب

قال الله ﻷ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٩ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: 33- 40].

معاني مفردات الآيات المباركات:

الكلمة	معناها
﴿حَاصِبًا﴾	حجارة -ريحًا شديدة ترميهم بالحصباء وهي الحصا.
﴿ءَالَ لُوطٖ﴾	الذين صدقوه، واتبعوه على دينه ممن هم (وقيل لم يؤمن به إلا بناته).
﴿بِسَحَرٖ﴾	آخر الليل إلى طلوع الفجر.
﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾	كرامة أكرمناهم بها - نعمة أنعمناها عليهم.
﴿أَنذَرَهُم﴾	خوفهم.
﴿بَطۡشَتَنَا﴾	انتقامنا الذي انتقمنا - عقوبتنا.
﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾	فكذبوا -تشككوا -تجادلوا.
﴿بِٱلنُّذُرِ﴾	بالرسل - بالآيات - بصور العذاب.
﴿رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾	طلبوا منه فعل الفاحشة مع أضيافه والمراودة من

	الإرادة.
﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾	أعميناهم – صيَّرنا أعينهم كسائر الوجه لا يُرى لها شقٌ[(1)]، وليس لها فتحات.
﴿بُكۡرَةً﴾	صباحًا – عند البكور – عند الفجر.
﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾	ملازمٌ لهم لا يفارقهم – استقر بهم إلى نار جهنم.

المعنى الإجمالي للآيات المباركات:

يخبر الله ۵ عن قوم لوط وما حلَّ بهم من العقاب فيقول تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي بالمرسلين الذين أرسل إليهم، وهم، وإن كانوا قد أُرسل

(1) قال الطبري: ومنه طمست الريح الأعلام إذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب، وقد أورد أثر قتادة وفيه (بإسناد حسن) قال: وذُكر لنا أن جبريل عليه السلام استأذن ربه في عقوبتهم ليلة أتوا لوطًا وأنهم عالجوا الباب ليدخلوا عليه فصفعهم بجناحه وتركهم عميًا يترددون.
وأثر ابن زيد (32807) بسند صحيح، وفيه أن ابن زيد قال: هؤلاء قوم لوط حين راودوه عن ضيفه، طمس الله أعينهم، فكان ينهاهم عن عملهم الخبيث الذي كانوا يعملون، فقالوا: إنا لا نترك عملنا فإياك أن تنزل أحدًا أو تضيفه، أو تدعه ينزل عليك، فإنه لا نتركه، ولا نترك عملنا. قال: فلما جاءه المرسلون خرجت امرأته الشقية من الشق، فأتتهم فدعتهم، وقالت لهم: تعالوا فإنه قد جاء قوم لم أرَ قط أحسن وجوهًا منهم، ولا أحسن ثيابًا، ولا أطيب أرواحًا منهم، قال: فجاءوه يهرعون إليه، فقال: إن هؤلاء ضيفي، فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي، قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟ أليس قد تقدمنا إليك وأعذرنا فيما بيننا وبينك؟ قال: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم. فقال له جبريل عليه السلام: ما يهولك من هؤلاء؟ قال: أما ترى ما يريدون؟ فقال: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك، لتصنعن هذا الأمر سرًّا، وليكونن فيه بلاء؛ قال: فنشر جبريل ؏ جناحًا من أجنحته، فاختلس به أبصارهم، فطمس أعينهم، فجعلوا يجول بعضهم في بعض، فذلك قول الله: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.
قلت (مصطفى): والسند، وإن كان صحيحًا إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إلا أن هناك بونٌ شاسع بينه وبين لوط ؏ ولعلَّه متلقف من الإسرائيليات، فالله أعلم.
وإن كان سياق الكتاب العزيز يصحح إجمالي المعنى، والله أعلم.

إليهم لوط فقط فيما علمت، إلا أن من كذَّب رسولًا فقد كذب جميع المرسلين، وكذا من كذَّب منذرًا واحد فقد كذب جميع المنذرين إذ إن دعوة الرسل واحدة.

وأيضًا كذبوا بما أنذرهم به وخوفهم منه فكذبوا بالبعث وكذبوا بالنار وكذبوا بصور العذاب التي حلَّت بمن كان قبلهم، فلما كان ذلك ووعظهم نبيهم وحذرهم من الكفر ومن الفعلة الخاطئة التي كانوا يفعلونها وهي إتيان الذكران من العالمين، أرسل الله عليهم حاصبًا من الحجارة -حجارة من طين متحجر- حجارة من سجيل.

فحلت بهم ودمرتهم، إلا أن آل لوط، وهم لوط وبناته ومن آمن به نجاهم الله ۵ وسلمهم وحفظهم، نجاهم الله ۵ في وقت السحر، إذ أمرهم أن يخرجوا من هذه البلاد التي سيحل بها العذاب فخرجوا، وكان في إنجاء أهل الإيمان، لوط ومن معه، وكذا في أهلاك الظالمين نعمة من الله ۵، وهكذا ينجي الله كل شاكر.

ثم إن الله ۵ يذكر شيئًا مما كان من أمرهم، فقد جاءت طليعتهم لما علموا بأضياف لوطٍ ؑ من الملائكة جاءوا (أي كبار قوم لوط) مسرعين لفعل الفاحشة مع هؤلاء الأضياف فوقفوا على الأبواب يريدون اقتحامها لفعل الفاحشة مع الملائكة الكرام، ولوط ؑ يدفع، ويُحذر وينذر، وهم يسخرون ويستهزئون به وبما حذرهم منه واستمروا في طلبهم أن يخرج إليهم الأضياف لفعل الفاحشة بهم، فخرج جبريل على ما ذكره جمهور المفسرين فضربهم بجناحه فأعمى أبصارهم فكانت هذه عقوبةٌ مبدئية لمن أرادوا اقتحام المنزل ثم إن العقاب العام للقرية ومن فيها كان صباحًا كما قال الله ۵: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ عذاب حلَّ بهم صباحًا واستقر بهم لا يفارقهم هذا، وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ معناه والله أعلم، فذوقوا

عذابي الذي حلَّ بكم ونزل عليكم ثم إني جعلتكم عبرةً يعتبر بها غيركم، وموعظةً يتعظ بها غيركم.

قال الطبري $: وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فذوقوا معشر قوم لوط من سدوم، عذابي الذي حلّ بكم، وإنذاري الذي أنذرت به غيركم من الأمم من النكال والمَثُلات.

قال القرطبي $: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي: فقلنا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي: فأذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط.

وهذا مزيدٌ من أقوال العلماء في معنى الآية إجمالًا:

أوجز الحافظ ابن كثير القول في ذلك فقال: يقول تعالى مخبرًا عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

ولهذا أهلكهم الله هلاكًا لم يهلكهُ أمةً من الأمم. فإنه تعالى أمر جبريل ؏ فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عَنَان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود، ولهذا قال ها هنا: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾، وهي: الحجارة، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾، أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد، حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالمًا لم يمسسه سوء.

ولهذا قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾، أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به، ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾، وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل في صورة شباب مرد حسان محنةً من الله بهم، فأضافهم لوط وبعثت أمرأته العجوزُ السوءُ إلى

قومها، فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا يُهْرَعُون إليه من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط ع يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه، ويقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾[هود: 78]، يعني: نساءهم،﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[الحجر:71] ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: 79] أي: ليس لنا فيهن إربٌ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: 79]. فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل ع فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم.

يقال: إنها غارت من وجوههم.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطًا ع إلى الصباح.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

وقال السعدي $: أي: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ لوطًا ع، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة، التي ما سبقهم بها أحد من العالمين.

فكذبوه، واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف، حين سمع بهم قومه، جاءوا مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم.

فأمر الله جبريل ع، فطمس أعينهم، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته. ﴿فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين.

ونجى الله لوطًا وأهله، من الكرب العظيم، جزاءً لهم على شكرهم

لربهم، وعبادته وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ [المدثر: 10]، مفهوم ذلك، أنه يسير سهل على المؤمنين.

قول رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد»

وفي رواية: «يغفر الله للوطٍ إن كان ليأوى إلى ركن شديد»

الحديث، وقد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيها[1]، وقال الحافظ ابن حجر $ في شرحه (فتح الباري) قوله: «**يَغْفِرُ اللَّهُ لِلُوطٍ إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**». أي إلى الله سبحانه وتعالى، ويشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه؛ لأنهم من سدوم وهي من الشام وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط، فبعث الله لوطًا إلى أهل سدوم فقال: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني ولهذا جاء في بعض طرق هذا الحديث كما أخرجه أحمد من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ لُوطٌ: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً، أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ** قَالَ: **قَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَكِنَّهُ عَنَى عَشِيرَتَهُ، فَمَا بَعَثَ اللهُ** ٥ **بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا بَعَثَهُ فِي ذُرْوَةِ قَوْمِهِ**»، زاد ابن مردويه من هذا الوجه: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ شُعَيْبٍ: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**» وقيل: معنى قوله: «**لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**» أي: على عشيرته لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله انتهى. والأول أظهر لما بيناه. وقال النووي: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك، أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول

(1) البخاري (3372) ومسلم (151).

للأضياف اعتذارًا وسمى العشيرة ركنًا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم، وسيأتي في الباب الذي بعده تفسير الركن بلفظ آخر.

المراد بخيانة امرأة لوط

في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

أقول -وبالله التوفيق-: ذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أن المراد بخيانة امرأة نوحٍ ما كانت تقوله للناس وتدعيه من أنه غ مجنون، وكانت خيانة امرأة لوط في كونها كانت تدلهم على الأضياف، وقد ورد بذلك أثرٌ عند الطبري وغيره عن ابن عباس ڤ(1).

وقال جمهور العلماء أيضًا ليس المراد بقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة بل في الدين.

قال الحافظ ابن كثير $: فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

وهنا سؤال يُطرح ويحتاج على بيان جوابه:

السؤال حاصله، كيف وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ ونوحٌ ولوط ث كلاهما نبي، فكيف وامرأة كل منهما كافرةٌ من أهل النار؟

وجوابه -والله أعلم-: أن نوحًا ولوطًا ث حكما على الظاهر، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله، فكان ظاهر المرأتين على خير ولكن الباطن عياذًا بالله باطن سوءٍ فمن ثَمَّ فقد خانتاهما.

أو أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ الكلمات الطيبة تصدر من الطيبين، والطيبون يُصدِّرون الكلمات الطيبة.

---

(1) الطبري (34461).

فإذا سألت عن قائل الكلمة الطيبة ففي الغالب تجده طيبًا وإذا سألت ماذا قال الطيب ستجُاب بأنه قال كلمة طيبة. والله أعلم[1].

NNO PMM

(1) وثم وجوهٌ أخر أوردتها في كتابي التسهيل (تفسير سورة النور).

فصل في الفوائد المستنبطة من قصة الخليل إبراهيم ﻏ
وكذا من قصص إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﻭ
فوائد في أبواب الإيمان والمعتقد

من هذه الفوائد الاعتقاد الجازم بوحدانية الله ﻫ وأنه لا شريك له، وأن الإسلام هو دين إبراهيم ﻏ ودين الأنبياء جميعًا ولن يقبل اللهُ من الخلق دينًا غيره.

وأن علينا أن نبذل لنصرة هذا الدين ما استطعنا وأن نثبت عليه حتى الممات، وأن الله ﻫ يحفظ أولياءه ويُسلِّمهم ويُنجيهم.

وأن علينا مع إيماننا بالله ﻫ ، واعتقاد وحدانيته، وإفرادنا إياه بالعبادة دون من سواه، علينا أيضًا أن نتبرأ من كل معبودٍ يُعبد مع الله ﻫ.

وهذا هو السمت العام لقصة الخليل ﻏ، إمام التوحيد، بل والسمت العام لجميع الأنبياء.

ومن الفوائد:

الاستدلال على بطلان عبادة الأصنام، بأنها لا تسمع، ولا تُبصر، ولا تغني، عن نفسها؛ فضلًا عن غيرها شيئًا.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قول الخليل إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42].

وقوله أيضًا لقومه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 72، 73].

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ

ﵟٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَﵞ [الأحقاف: 5].

وقوله تعالى: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاﵞ [الأعراف: 194، 195] إلى غير ذلك من الآيات.

ومنها حث أهل الإيمان على التبرؤ من الكفر والكافرين كما تبرأ إبراهيم غ والذين معه، وكذا من الفوائد إعلان الشخص عن هويته الإسلامية واعتزازه بدينه وقد تقدمت الأدلة على ذلك بما فيه كفاية.

ومن الفوائد: بيان فضل التوكل على الله ٥ وحسن الظن بالله وحسن الامتثال لأمره وما كان عليه إبراهيم غ من ذلك:

فها هو الخليل غ يمتثل أمر الله ٥ بذبح ولده !! وها هو إسماعيل غ يقول يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

وها هي هاجر ژ لما تركها الخليل إبراهيم غ مع ولدها إسماعيل بمكة ولا جليس ولا أنيس ولا ماء ولا طعام إلا الماء القليل، تركها وانصرف وهي تقول وتناديه آلله أمرك بهذا؟

فيقول: نعم، فتقول: إذن لا يُضيعنا!.

ومن الفوائد: ثبات إبراهيم غ على الإيمان وعلى الحق:

وذلك من ثباته أمام تهديدهم له بإلقائه في النار ولم يتزحزح عن إيمانه ﷺ ولا عن موقفه.

بل وأُخذ ليلقى به في النار وما تراجع عن دينه!! ولم يكترث بتهديد أبيه له إذ هدده قائلًا: ﵟلَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗاﵞ.

ومن الفوائد: وصية الأبناء والذرية بالثبات على الإسلام حتى الممات:

كما وصى بذلك إبراهيم ويعقوب ث ذريتهما.

ومن الفوائد: بيان شجاعة إبراهيم ﷺ:

وذلك من لقائه بالجبار العنيد (النمرود) ومحاجته له وعدم الاكتراث به وعدم الخوف منه وكذلك جهره بالحق والصدع به في عموم مواقفه.

ومن الفوائد: أن الشخص يعبد الله ٥ حيث طابت له العبادة:

فقد قال الخليل غ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾.
وقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

ومنها أن من ترك شيئًا لله ٥ عوضه الله خيرًا منه:

وإيضاحه أن إبراهيم غ لما اعتزل قومه واعتزل ما يعبدون من دون الله، من الله عليه بنبي كريم وهو إسحاق غ ثم مِن هذا النبي نبي آخر، وهو يعقوب غ.

ومنها بيان شيءٍ من قدرة الله ٥ :

وذلك تبشير سارة بالولد وهي عقيم وكمزيد من الإيضاح أقول -وبالله التوفيق-: إن الله ٥ بشر نبيه إبراهيم غ، وهو على الكبر، وزوجته كانت عاقرًا لا تلد طيلة شبابها ثم أصبحت عجوزًا فهي موانع ثلاث من الإنجاب كونها قد بلغت سنًّا لا تلد معه النساء، وكذلك فهي عقيم رحمها غير صالح للولادة، وزوجها شيخ كبير، ومع ذلك كله فقد بشرتهما الملائكة بالغلام العليم، وقد كان ما بشروهما به، فهذا دال على قدرة الله ٥ هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن الشخص منَّا لا ينبغي أن ييأس من رَوْح الله، ولا أن يقنط من رحمته، بل عليه أن يدعو ربه ويدعوه ويدعوه ويواصل الدعاء، فيستجاب لأحدنا ما لم يستعجل كما قال النبي[(1)].

---

(1) أخرج البخاري في الدعوات باب (22) ومسلم (واللفظ له (جـ 17/ 51) مع النووي) من حديث أبي هريرة ف قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»**.

ومن الفوائد الأدب في النقل عن الله ٥:

وذلك مأخوذٌ من قول إبراهيم غ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ووجه ذلك وإيضاحه والله أعلم: أنه معلوم أن الأمراض قدرها الله سبحانه وتعالى، وقد يُقدرها ابتلاء لرفعة الدرجات وقد يُقدرها لشيءٍ صدر من العبد، وهو سبحانه الذي يشفي تفضلًا منه.

فالحاصل: أن المرض والشفاء كل ذلك بتقدير الله ٥ ولكن تأدبًا في اللفظ نسب الخليل المرض إلى نفسه إذ قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ونسب الشفاء إلى الله إذ قال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ مع أن الجميع مقدرٌ.

وهذا من حسن الكلام وأدب النقل عن الله ٥ ونحوه قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: 10].

وكذا قول الخضر: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79] فنسب العيب إلى نفسه، ولكن قال في شأن الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: 81]، وقال في شأن الأيتام: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: 82].

كل ذلك مع أن الأمور كلها مقدرة وبأمر الله، فقد قال الخضر بعد ذلك: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: 82]؛ والله أعلم.

ومن الفوائد: الاستدلال على البعث بإحياء بعض الأنفس بعد موتها، وهذا مأخوذ من قول الخليل غ: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ولهذا شواهد كثيرة في التنزيل كقصة بقرة بني إسرائيل التي ضُرب القتيل ببعضها فأحياه الله وكقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم.

وكقصة الذي مرَّ على قرية، وهي خاوية على عروشها، وكالوارد في إحياء عيسى غ الموتى بإذن الله. وغير ذلك، والله أعلم.

ومن الفوائد أن المعجزات والآيات لا تجدي، ولا تنفع مع من أراد الله ٥ غوايته، فقد أنجى الله إبراهيم غ من النار أمام قومه، ومع ذلك لم يسلموا ولم يؤمنوا.

وقد ناظر الخليل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- الملحد المتكبر المعاند، وأقام عليه الحجة؛ ولكنه لم يؤمن.

ومن الفوائد أن المحفوظ من حفظه الله ٥:

وبيان ذلك: إن إبراهيم غ ترك هاجر وإسماعيل ث بمكة وانصرف عنهما، وليس بمكة أنيسٌ ولا جليسٌ والذي حفظهما هو الله ٥، وكذلك فإن إبراهيم غ نفسه وُلد لأب كافر، والذي حفظه هو الله ٥.

ومن الفوائد التذكير بأن الصابر من صبَّره الله ٥ وتقديم المشيئة:

قال إسماعيل غ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

ومن الفوائد: أن الشخص لا يضُرُّه ولا يعيبه كفر والده ما دام لم يقره على ذلك، فالخليل غ كان أبوه كافرًا، ومع ذلك فقد اتخذه الله ٥ خليلًا.

ومن الفوائد: أنه لا يلزم ومن كون الرجل صالحًا أن تكون ذريته صالحة فالله ٥ يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وقد قيل في تفسيرها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، فإبراهيم غ مؤمن، وأبوه كافر ونوح غ نبي من أولي العزم من الرسل، وابنه كافر.

ولقد قال تعالى في شأن ذرية نوح وإبراهيم ث: ﴿فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 26].

وقال في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق ث: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ

لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [الكهف: 80].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: 17]، إلى غير ذلك من الأدلة.

ومن الفوائد: أن القرابات لا تنفع يوم القيامة إلا المتقين:

فلما سأل إبراهيم غ الإمامة لذريته قال الله ٥: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

وقال النبي ﷺ: **«مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»**(1).

وقد تحول والد إبراهيم إلى ذيخٍ متلطخ وألقى به في النار كما تقدم.

ومن الفوائد: أن الشخص قد يكفر بسبب مجاملاته لغيره من الناس وقد وقع في ذلك نفرٌ من قوم إبراهيم غ ،قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فمن الوجوه في تفسيرها أن بعضكم عبد الأوثان (الأصنام) من أجل التوادد والتقارب مع غيره.

فالحذر الحذر من المجاملات في الباطل فها هي قد أودت بأصحابها إلى عبادة الأصنام.

ومن الفوائد: عدم الاستغفار لمن مات على الشرك. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾، وقد قال النبي ﷺ: **«اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي»**(2).

---

(1) مسلم (مع النووي 17/ 21).

(2) أخرجه مسلم (976).

ومن الفوائد: الحذر من تقلب القلوب، وأنه على الشخص مهما كان أن يسأل الله الثبات فالقلوب يُقلبها الرحمن ٥ ففي قول إبراهيم غ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ ما يدل على أن الشخص لا يأمن على نفسه وإيضاحه أن إبراهيم غ ،وهو إمام في التوحيد سأل ربَّه أن يصرف عنه وعن بنيِّه عبادة الأصنام، فإنه غ علم أن الذي يصرف عنه عبادة الأصنام هو الله وأن الذي يثبته هو الله.

وقد أشار غ إلى هذا المعنى، إذ قال في محاجته لقومه: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ [الأنعام: 80] أي: لو شاء الله لي أن أخشى أصنامكم لخشيتها، وهكذا قال شعيب غ لقومه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: في ملتكم ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: 89].

ولذا كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»، وكان من دعاء أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

وكانت يمين النبي ﷺ: «**لَا، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»(1).

وكذا فإن الخليل غ خشى على نفسه أن يترك الصلاة وخشى كذلك ألا يتقبل دعاؤه إذ قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾.

ومن الفوائد: جواز، بل ومشروعية بل واستحباب تذكير الولد والده بطاعة الله وحثه على الامتثال: قال إسماعيل لوالده إبراهيم ث: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾.

وأيضًا لما قال له إبراهيم غ: إن ربك أمرني أن أبني له بيتًا قال أطع:

---

(1) البخاري (6628)، وله ألفاظ أخر عند البخاري (7/ 66) وغيره، منها: كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: «**لَا، وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**».

ربك.

ومنها: جواز تسرب الخوف الجبلي إلى العباد الصالحين فقد قال تعالى في شأن الخليل إبراهيم ﻍ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾.

ومن الفوائد: الحذر من العين، فالعين حقٌّ، وقد حذر يعقوب ﻍ أبناءه من العين إذ قال يا بني: ﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾.

لكن العين لا تضرُّ إلا بإذن الله، قال يعقوب ﻍ: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.

ومنها: جواز تمثل الملائكة ومجيئهم في صورة بشر كما جاءوا لإبراهيم ﻍ وكذا فقد جاءوا إلى لوط ﻍ.

وثمَّ أدلة كثيرة جدًّا على ذلك.

ومن الفوائد: بيان الحكم في رؤيا الأنبياء، وهل هي وحيٌّ أم لا؟

وذلك من قول الخليل ﻍ: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ وقد تقدم القول في ذلك.

ومن الفوائد: بيان بعض أحرف القسم، وأن منها التاء أما عن أحرف القسم عمومًا فهي الواو والباء والتاء.

وأدلة على ذلك، ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 23].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النمل: 49].

وقول الخليل ﻍ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

ومن الفوائد الإشارة إلى تضعيف الشائع على الألسن من أن سن النبوة أربعون سنة فلم أقف على دليل بذلك، بل الأدلة تخالف ذلك، فليس بالضرورة أن يبعث كل نبي عند الأربعين، وإن كان هذا قد ورد في شأن رسولنا محمد ﷺ وأنه بعث عند الأربعين.

أما إبراهيم غ، فقد قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: 51] قيل في صغره.

ويوسف غ أوحي إليه وهو في غيابة الجب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15].

ويحيى غ أتاه الله الحكم صبيًّا.

وقيل: إن عيسى غ رفع قبل الأربعين، قيل عند الثلاث والثلاثين، ولم أقف على خبر عن رسول الله ﷺ بذلك.

ومن الفوائد: ما استنبطه أهل العلم كدليل لعصمة الأنبياء عليهم السلام، أنهم ليسوا بأئمة ولا ظلمة وذلك من قوله تعالى: بعد أن ذكر كثيرًا من الأنبياء في سورة الأنعام قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ وذلك لأن الله قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فالأنبياء أئمة، ومن ثم ليسوا بظلمة لأن الظالم لا يكون إمامًا في الدين يُقتدى به. والله أعلم.

فوائد في أبواب الدعاء:

من الفوائد أن أهل الصلاح يعملون الصالحات ويسألون الله القبول وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ .

وقد دلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

ومن الفوائد: أن الدعاء قد تتأخر إجابته ولكنه يستجاب ولو بعد سنين، فإبراهيم غ كان قد دعا ربه بالذرية الصالحة، فقد كان يقول: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ولكن ما رزق بالولد إلا على الكبر كما في الآية الكريمة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾.

ومن الفوائد: أن بعض دعوات الصالحين قد تتخلف عن الإجابة فقد قال بعض أهل العلم إن الله لم يستجب دعوة إبراهيم غ إذ قال ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ﴾ حيث أن إبراهيم أراد أن يقصر الرزق على المؤمنين. فالله أعلم.

ومن الفوائد: أن الشدائد يصحابها الفرج، فلما أُدخلت سارة على الجبار كان ذلك بلا شك بلاءٌ عظيم على إبراهيم غ، ولكن لما صلى ودعا ربَّه ودعت هي الأخرى ربها ٥ سلمها الله ٥، وتفضل عليها بأن أخذت هاجر كهدية، وهاجر هذه كان منها إسماعيل غ الذي من ذريته نبينا محمد ﷺ وكل هذا ببركة الدعاء.

ومن الفوائد: الثناء على الله ٥ قبل الدعاء إيضاحه أن إبراهيم غ أثنى على ربه ٥ ومجده بقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ ثم دعا بعد ذلك بقوله: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فجاء دعاؤه بعد ثنائه على الله وتمجيده له.

ولهذا شواهد كثيرة منها:

أننا في سورة الفاتحة ندعو بقولنا: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ بعد حمد الله والثناء عليه وتمجيده.

ومنها: أننا نمجد الله ٥ في الركوع ونسأله ما نريد في السجود.

ومنها: حديث الشفاعة الطويل فشفاعة رسول الله ﷺ جاءت بعد أن فتح الله عليه بأنواع من المحامد والثناءات يُثني بها على ربِّه تبارك

وتعالى.

ومن الفوائد: مشروعية التوسل إلى الله بصالح الأعمال ومن ذلك توسل سارة لما أدخلت على الجبار بتعففها فقد قالت اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على الكافر... فسلمها الله وحفظها.

ومن الفوائد: الدعاء بعد الأعمال الصالحة ومعها ومستند ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

ومن الدليل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾.

ومن الفوائد: التوسل إلى الله ۵ بأسمائه الحسنى وإيضاحه أن إبراهيم وإسماعيل ث توسلا إلى الله ۵ بهذه الأسماء.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 127].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 128].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129].

وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، والله أعلم.

ومن الفوائد: سؤال الله الأمن والأمان فقد دعا إبراهيم غ لأهل مكة بذلك إذ قال ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾.

ومن الفوائد: استجابة الدعاء بالولد وذلك لأن إبراهيم غ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ وكان قد قال قبل ذلك ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

ومن الفوائد: التذكير بأن الله ۵ كريم واسع العطاء يعطي العبد أكثر

مما سأل من الأدلة على ذلك ما يلي: وقوله تعالى في شأن إبراهيم غ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴾. فإبراهيم غ طلب ولدًا صالحًا إذ قال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: 100]. فبشر بغلام حليم وبشر بيعقوب أيضًا فضلًا وزيادة عما طلب. وقوله تعالى -على أحد وجوه التفسير-: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [الشورى: 26] أي: ويجيب الله أهل الإيمان ويزيدهم من فضله يعطيهم أكثر مما سألوه وطلبوا.

ومن الفوائد: بيان أن كل مُحسن يجازيه الله ٥ على إحسانه؛ بل ويزيده من فضله.

وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وذلك بعد ذِكر نعمه على إبراهيم غ.

ومن الفوائد: أن الله ٥ يرزق الكافر في الدنيا أيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النحل: 116، 117].

وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: 196، 197].

وقال تعالى: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾ [الإسراء: 20].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 33- 35].

ومن الفوائد: جواز التراجع عن الدعاء فإبراهيم غ سأل ربَّه المغفرة لوالده المشرك، فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾.

وقد قال نوحٌ غ نحو ذلك قال نوح غ: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ فقال الله ٥ له: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ قال نوح غ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

فوائد في أبواب الصلاة: من ذلك سؤال الله الثبات على إقامة الصلاة وإن كان الشخص مُصليًا.

قال الخليل غ ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾.

ومن الفوائد في أبواب الصلاة أيضًا: تقديم أهل الديانة والفضل لإمامة الناس في الصلاة، فينتقي من أهل القرآن من هو أصلحهم وأدينهم (1)، لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وكما تقدم فمعناه، والله أعلم ليس لظالم عندي عهدٌ أن يكون إمامًا.

ومن الفوائد: أن الإمامة تُنال بالصبر واليقين وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وهذا إبراهيم غ لما ابتلاه ربُّه بالكلمات فأتمهن وقام بهن خير قيام من صبر على الإلقاء في النار والامتثال للأمر بذبح الولد، ومحاججة الجبابرة

---

(1) أخرج مسلم (حديث 673) من حديث أبي مسعود الأنصاري ف قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا...»** الحديث.

والختان وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وسائر التكاليف الأخرى قال الله سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124].

ومن الفوائد: بيان فضل من يسَّر على الناس أمر عبادتهم فالذي ييسر للناس أمر عبادتهم كأن ينشئ مسجدًا للصلاة فيه أو الاعتكاف أو يأتيهم بمصحف أو بكتاب علم يدارسونه أو ييسر لهم سبيل الحج والعمرة أو غير ذلك من صور تيسير العبادات له في ذلك سلف صالح وهو إبراهيم غ إذ الله أمره أن يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود.

وقد ثبتت عن النبي ﷺ عدة أحاديث في فضل بناء المساجد وتطهيرها وتنظيفها فكل ذلك دالٌّ على ما ذُكر.

ومن الفوائد: الصلاة عند الشدائد والابتلاءات فقد قام الخليل يصلى لما أُدخلت زوجته سارة على الجبار.

وقد قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

ومن الفوائد: الحث على تطهير المساجد وتنظيفها وتلك سُنة الخليل إبراهيم غ وولده صادق الوعد إسماعيل غ.

فمن ثمَّ فالذي يطهر المساجد وينظفها ويُيسر أمور العبادة للناس متبع لسنة الخليل وولده إسماعيل ث؛ بل ومتبع لأمر الله 5 أولًا ولسنة رسوله محمد ﷺ كذلك.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

وفي آية الحج: ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: 36].

وكانت هناك امرأة سوداء تقمُّ المسجد على عهد رسول الله ﷺ(1).

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﭬ أن رجلًا أسود -أو امرأة سوداء- كان يقمُّ المسجد فمات فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: «أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» أَوْ قَالَ «قَبْرِهَا» فأتى قبره فصلى عليه.

وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ۵، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»(2).

وقال النبي ﷺ: «الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا(3) دَفْنُهَا».

وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ مِنْ مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ»(4).

ومن الفوائد: أن السلام ينتهي إلى (وبركاته) لقول الملائكة: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

قال القرطبي $: ودلَّت الآية أيضًا على أن منتهى السلام ﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ كما

---

(1) أخرج البخاري (حديث 458)، ومسلم (حديث 956).

(2) أخرجه مسلم (حديث 285) من حديث أنس بن مالك ﭬ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ۵، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: «فأمر رجلًا من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه عليه».

(3) أخرجه البخاري (حديث 415)، ومسلم (حديث 552) من حديث أنس بن مالك ﭬ مرفوعًا.

(4) أخرج مسلم (حديث 553) من حديث أبي ذر ﭬ مرفوعًا.

أخبر الله عن صالحي عباده ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾.

قلت: والخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وفيه: «**وَمَغْفِرَتِه**» بـه علـةٌ والله أعلم.

فوائد في أبواب الأدب: من ذلك التلطف في الخطاب مع أهل الصـلاح والفضل وذلك من قول الملائكـة لإبـراهيم ﻍ ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾.

ومـن الفوائـد: بيـان بعـض آداب الضـيافة وكـذا الثنـاء الحسـن علـى إبراهيم ﻍ في هذا الباب ذلك من قصته مع أضـيافه مـن الملائكـة مـع عـدم معرفته لهم.

وقد ذكر العلماء طائفة من هذه الآداب والثناءات على إبراهيم ﻍ.

فقال السعدي ﺥ: في ذِكره لبعض الفوائد والحِكم قال:

ومنهـا: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليـل، الـذي أمـر الله محمدًا وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضـع، علـى وجـه المـدح له والثناء.

ومنهـا: أن الضـيف يكـرم بـأنواع الإكـرام، بـالقول، والفعـل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم. ووصـف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولًا وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله.

ومنها: أن إبراهيم ﻍ، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضـياف، لأنهـم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في ابتداء السلام، فرد عليهم إبراهيم سلامًا، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسـان، أو صـار لـه فيـه نـوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى.

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى أضيافه.

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم غ، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما منَّ الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا لديه، وفي بيته مُعَدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيد من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه. فلم يجعله في موضع ويقول لهم: (تفضلوا، أوائتوا عليه) لأن هذا أيسر وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه. فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون) أو (تشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحو ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير $: وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتنَّ عليهم أولًا فقال: (نأتيكم بطعام؟) بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو

عجل فتِيّ سمين مشويٌّ، فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

وقال ابن القيم $ في تفسيره القيم في شأن قصة الخليل مع الأضياف قال:

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين: أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله. ولا تنافي بين القولين: فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم. ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم. فصار منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله. وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بالرفع. وهم سلموا عليه بالنصب والسلام بالرفع أكمل، فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم. فإن قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ يدل على: سلمنا سلامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم

يقل (إني أنكركم)، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنُزُلهم. والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به، وهذا من كرم رب المنزل المضيِّف: أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحي فلا يشعر به إلّا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة. فدل على أن ذلك كان معدًّا عندهم مهيئًا للضيفان. ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه، أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ يدل على خدمته للضيف بنفسه: ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه. وهذا من تمام كرمه ﷺ.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمه بذلك.

الثاني عشر: أنه قربه إليهم، ولم يقربهم إليه. وهذا أبلغ في الكرامة: أن تُجْلِسَ الضيف ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ وهذا عَرْض وتلطف في القول،

وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم ونحوها. وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفهُ. ولهذا يقولون: باسم الله، أو ألا تتصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليه الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ولهذا أوجس منهم خيفة، أي أحسها وأضمرها في نفسه، ولم يبدها لهم:

وهو الوجه الخامس عشر: فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفۡۖ﴾ وبشروه بالغلام الحليم.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم. وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا. فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما، وعلى سائر النبيين.

ومن الفوائد: مشروعية تعريف الأضياف بأنفسهم، وإن لم يعرفوا بأنفسهم جاز للمضيف، بل واستحب له أن يسألهم عن أنفسهم فقد قال الخليل ﻍ للأضياف: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ رجاء أن يُعرِّفوه بأنفسهم، وقد سأل النبي ﷺ القومَ الذين أتوه من ربيعة فقال: مَن القوم أو من الوفد؟!

ولما سلَّمت عليه أم هانئ وكان يغتسل وفاطمة ابنته تستره قال: مَنْ؟ قالت: أم هانئ؟ والله أعلم.

ومن الفوائد: جواز سؤال الضيف عن الطعام الذي يُقدم له فقد سأل إبراهيم ﻍ زوجة إسماعيل ﻍ لما قالت له:«**أَلَا تَنْزِلَ فَتَطْعَم وَتَشْرَب** فقال: **مَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟**»

قالت: **طَعَامُنَا اللَّحْمُ، وَشَرَابُنَا الْمَاءُ**، قال: **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ**.

ومن الفوائد: مواساة أهل الإيمان وتصبيرهم وتبشيرهم فلما أمرنا الله ٥ بالتأسي بإبراهيم غ ومن معه وأمرنا بالتبرؤ من الكفر وأهله قد يقول قائل: كيف سأفارق الناس وأعاديهم وأتبرؤ منهم؟! فجاءت المواساة في قوله تعالى: ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

أي أن الله ٥ قادرٌ على هداية أهل الشرك بسبب عداوتكم لهم في الله، فمن ثمَّ إذا هداهم الله ٥ تحولوا إلى أوليائكم بعد أن كانوا أعداءً وتحولت البغضاء إلى مودة والله قدير على ذلك.

ومن الفوائد: أن أهل الصلاح قد تحدث بينهم بعض الاختلافات دلَّ على ذلك قول ابن عباس ﭫ أول ما اتخذ النساء المنطق مِنْ قِبلَ أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتعفى أثرها على سارة[1] وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس ﭫ قال: لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج إسماعيل[2]، ... فذكر الحديث.

---

(1) البخاري (3364).
(2) البخاري (3365).

فصل في فوائد في أبواب متفرقة

من هذه الفوائد: بيان أصل السعي بين الصفا والمروة وهو سعي هاجر ڑ بينهما بحثًا عن الماء.

ومن الفوائد: اشتياق النفوس إلى الإنجاب والذرية الصالحة فقد كان الخليل يدعو ربَّه بذلك قائلًا: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ولما رزق بالولد قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

ومن الفوائد: جواز قبول هدية الكافر، فقد أهدى الجبار هاجر لسارة كهدية (أمة من الإماء) وأهدتها بعد ذلك سارة إلى إبراهيم غ.

ومن الفوائد: جواز أمر الرجل ولده بتطليق زوجتهِ وامتثال الولد أمر والده إذا كان الوالد رشيدًا. فإبراهيم غ أمر إسماعيل أن يُغيرّ عتبة بابه. والمراد أن يفارق زوجته.

ومن الفوائد: استعمال لغة العرب في الخطاب، تلك النعمة التي جاء بها الكتاب العزيز فقد قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ولم يقل له (بابًا) فتنبه.

ومن الفوائد: الإشارة إلى شرع من قبلنا وهل هو شرعٌ لنا أم لا؟ فأقول وبالله التوفيق، قد ذهب فريق من العلماء إلى أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا مستدلين بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾، وبقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: ◊□].

وذهب آخرون إلى أن شرع من قبلنا ليس بشرعٍ لنا وذلك لقوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ▶◊].

ويمكن الجمع بأن يقال: إن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يأتِ من شرعنا ما ينسخه.

قال القرطبي $: وقد احتجَّ بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص؛ كما في صحيح مسلم وغيره: (1)أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانًا فاختصموا إلى النبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «الْقِصَاصُ الْقِصَاصُ» فقالت أمُّ الرُّبَيّع: يا رسول الله أيقتصُّ من فلانة؟! والله لا يقتص منها.

فقال رسول الله ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أُمَّ الرُّبَيِّعِ الْقِصَاصُ كِتَابُ اللَّهِ». قالت: والله لا يقتص منها أبدًا. قال: فما زالت حتى قبلوا الدِّية. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ». فأحال رسول الله ﷺ على قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45] الآية.

وليس في كتاب الله تعالى نصٌّ على القصاص في السِّنّ إلا في هذه الآية؛ وهي خبر عن شرع التوراة ومع ذلك فحكم بها وأحال عليها.

وإلى هذا ذهب معظم أصحاب مالك وأصحاب الشافعي؛ وأنه يجب العمل بما وجد منها.

قال ابن بكير: وهو الذي تقتضيه أصول مالك وخالف في ذلك كثير من أصحاب مالك وأصحاب الشافعي والمعتزلة؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] وهذا لا حجَّة فيه؛ لأنه يحتمل التقييد: إلا فيما قصَّ عليكم من الأخبار عنهم مما لم يأت من كتابكم. وفي صحيح البخاري عن العوَّام قال: سألت مجاهدًا عن سجدة «ص» فقال: سألت ابن عباس عن سجدة «ص» فقال: أو تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: 84] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾؟ وكان داود غ ممن أمر نبيكم ﷺ بالاقتداء به.

قلت (مصطفى): ولمزيد انظر: تأويل قوله تعالى من سورة المائدة:

(1) مسلم بنحوه (1675)، والبخاري (4611).

﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًا﴾ من تفسيري لسورة المائدة في كتابها التسهيل لتأويل التنزيل.

دفع إشكال حاصله:

كيف قال إبراهيم غ لسارة ژ: (ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك) وقد قال تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ وكذا قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وجوابه: قد يكون قال لسارة ژ ما قال قبل أن يؤمن له لوطٌ غ، وكذا قبل إيمان من آمن معه. فقد آمن معه قومٌ، قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾.

وأورد الحافظ ابن كثير قولًا آخر فقال: لكن يقال: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين الحديث الوارد في الصحيح: «**أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حِينَ مَرَّ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَّارِ، فَسَأَلَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ سَارَّةَ: مَا هِيَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: أُخْتِي، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَهَا: إِنِّي قَدْ قُلْتُ لَهُ: إِنَّكِ: أُخْتِي، فَلَا تُكَذِّبِينِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرُكِ وَغَيْرِي، فَأَنْتِ أُخْتِي فِي الدِّينِ**»(1). وكأن المراد من هذا -والله أعلم- أنه ليس على وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك، فإن لوطًا غ، آمن به من قومه، وهاجر معه إلى بلاد الشام، ثم أرسِل في حياة الخليل إلى أهل «سَدوم» وإقليمها، وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي.

ومن الفوائد: أن أهل الظلم قد يجمعون الجموع ويحشدون الحشود وتكون وبالًا عليهم.

دلَّ على هذا اجتماع قوم إبراهيم أمام النار لرؤيته وهو يحترق فأقام عليهم جميعًا الحجج، وأنجاه الله من النار فكانت عليه بردًا وسلامًا.

(1) مسلم (2371).

وكذا فإن فرعون لما اتقَ مع موسى ﻍ، وكذا اتفق السحرة مع موسى ﻍ على وقت اللقاء يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى، تولى فرعون فجمع كيده ثم أتى فكان في مجيئهم نصرةٌ لموسى ﻍ.

وكذا لما أرسل فرعون في المدائن حاشرين وكان في هذا إهلاك لهم ودمارٌ وغرقٌ.

وكذا ففي قصة الغلام وقصة أصحاب الأخدود ما يفيد هذا المعنى ويؤيده، والله أعلم.

ومن الفوائد: الإشارة إلى نكارة حديث (لحومها داء) وبيان ضعفه.

أما نكارته فلأن الله سبحانه وتعالى أنزل الأنعام الثمانية ومنها البقر للناس وأحلها لهم، والله يحل للبشر الطيبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر: 6]، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: 143]، وفيها: ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام: 144].

أيضًا فقد قرَّب إبراهيم ﻍ لأضيافه عجلًا سمينًا، وكذلك فإن النبي ﷺ ضحَّى عن نسائه بالبقر(1).

أما عن ضعف السند:

فقد أخرج الحديث الحاكم(2) في المستدرك وفي سنده سيف بن مسكين وهو كذاب.

ووردت للحديث طريق أخرى فيها ضعف وجهالة.

ومن الفوائد: أن الشخص إذا وجد من أمامه خائفًا شُرِع له أن يطمئنه ويجتهد في إذهاب الروع عنه فالملائكة لما رأوا إبراهيم ﻍ وما حلَّ به من

(1) البخاري (5548)، ومسلم في طرق حديث (1211).
(2) الحاكم (4/ 404).

الخوف والروع، طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بغلام عليم.

أما عن أدلةٍ أُخر في هذا الباب، فنحو ذلك في قصة الخصْم الذين تسوروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾.

وقد ورد في الباب أيضًا نهيُ النبي ﷺ عن ترويع المؤمنين(1).

وورد أيضًا نهي النبي ﷺ عن المرور في الأسواق بالسيوف التي سُلَّت من غمدها(2).

وورد أيضًا عنه ﷺ حديث: **«لَا يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لاعِبًا جَادًّا»**(3).

بعض الفوائد من قصة نبي الله لوط غ: من هذه الفوائد أن المهتدي من هداه الله، وأن الشخص مهما كانت درجة إيمانه ومهما كان ذكاؤه فلن يستطيع أن يهدي أحدًا أراد الله له الضلالة.

دلَّ على ذلك أن لوطًا غ لم يملك هداية امرأته ولا هداية قومه.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

ومن الفوائد أن الزوجات الكافرات لا ينتفعن بصلاح الأزواج:

دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

---

(1) صحيح أخرجه أبو داود (5004)، وأحمد (5/ 362) بلفظ: **«لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»**.

(2) أخرجه البخاري (7075)، ومسلم (2615) من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، -أَوْ فِي سُوقِنَا- وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ»**.

(3) صحيح، أخرجه أبو داود (5/ 273)، وعبد بن حميد (436)، وأحمد في المسند (4/ 221).

وقد قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾.

ومن الفوائد: الإشارة إلى أن الأنبياء لا يعلمون الغيب فهذا لوطٌ ﻍ، ومعه امرأته وهي كافرة ولا يدري، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ والخيانة في الغالب تكون من غير علم لمن خانه الشخص، والله أعلم.

ومن الفوائد: الاستدلال على عذاب القبر من قصة لوط ﻍ، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ أي استقر بهم العذاب فلم يُفارقهم، وعلى ذلك أدلة كثيرةٌ أخر منها قوله تعالى في شأن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: 25].

قوله تعالى في شأن قوم عاد: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾.

قوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: 46].

ومن الفوائد: تزكية النفس إذا دعت الحاجة إلى ذلك وهذا من قول لوط ﻍ ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾.

ومن الفوائد: أن أهل الكفر يسعون لإخراج المؤمنين من ديارهم ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾ [إبراهيم: 13].

وقول قوم لوط للوط ﻍ: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: 167].

وقولهم: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56].

وقول قوم شعيب لشعيب ﻍ: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾

[الأنفال: 30].

وقول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «ليتني فيها جزعًا، إذ يخرجك قومك قال: «أوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟» قال: نعم لم يأت أحدٌ قط بمثل ما جئت به إلا عُودي».

ومن الفوائد: تحذير الظالم من أن يحل به مثل ما حلَّ بمن كانوا قبله وذلك مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ عقب التذكير بما حدث لقوم لوطٍ من إرسال الحجارة عليهم وفائدة ذلك: والله أعلم: الخروج بالقصة من خبر الخصوص إلى العموم، فليست هذه الحجارة بقاصرة على قوم لوط، بل يتوقع كل ظالم أن ينزل الله عليه عذابًا على ظلمه في أي وقت كان، وفي أي مكان كان.

وكثيرًا ما يحدث مثل هذا سواء في أبواب العقوبات أو في أبواب النعم والمنن، كما قال تعالى في شأن نوح غ بعد أن أنجاه وأغرق أعداءه ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [القمر: 35]، ثم عقب بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ فكل شاكر يُجازيه الله ٥ ينجيه الله ٥ (في الدنيا أو في الآخرة) وكما قال في عدة آيات سواء في قصة موسى أو يوسف غ وفي قصص غيرهما بعد أن ذكر ما منَّ به عليهم يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84]، وكما في ذكر قصة أيوب غ ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84] أي: ليتذكر العباد ما حدث لأيوب غ، وكيف وأن الله ٥ شفاه وعافاه وأكرمه بعد طول سنين، وبعد أن يئِسَ الأطباء من علاجه، وذلك حتى لا ييأس شخص من رحمة الله ٥.

والأمثلة في هذا كثيرة جدًّا. والله أعلم.

ومن الفوائد: أن كل من شكر يجازيه الله ٥ ويحفظه ويُسلمه، قال تعالى في شأن آل لوط لما نجاهم وأهلك عدوهم ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي

مَن شَكَرَ﴾ والمعنى، والله أعلم: وكما أنجينا لوطًا غ ومن معه فدومًا نُنجي من شكر نعمتنا عليه وحمدنا على ما مننا به عليه.

قال الطبري $: وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ يقول: وكما أثبنا لوطًا وآله، وأنعمنا عليه، فأنجيناهم من عذابنا بطاعتهم إيانا كذلك نثيب من شكرنا على نعمتنا عليه، فأطاعنا وانتهى إلى أمرنا ونهينا من جميع خلقنا.

ومن الفوائد: الخروج بالقصة والخبر من حيّز الخصوص إلى العموم، وذلك لتعميم الأحكام والجزاءات حتى لا يُفهم أن القصة خاصة بمن كانت في شأنهم ومن حدثت لهم فقط، وعلى ذلك أدلة كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾. أي: وكما جازينا آل لوط بالإنجاء فكل من شكر نعمنا نجازيه أيضًا.

وقوله تعالى: بعد ذكر نبيين كريمين، يوسف وموسى ث: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84].

وقوله تعالى في شأن نبيه أيوب وما حلَّ به ثم ما مَنَّ الله عليه به من الشفاء ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: 84] أي: ذِكرى يتذكرها العباد.

ومن الفوائد: تحذير من يسلك هذا المسلك الرديء تحذير من يفعل فعل قوم لوط فلما أرسل الله العذاب، والحاصب من الحجارة على قوم لوط، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ فليحذر كل من سوَّلت له نفسه أن يصنع هذا الصنيع!!.

ليحذر من غضب الله وعقابه.

ولا يغتر شخص بما يحدث في بلاد الكفر فإن ربك لبالمرصاد، ويستدرج القوم من حيث لا يعلمون.

ومن الفوائد: بيان انعكاس المفاهيم عند أهل الشرِّ وتزويرهم للحقائق

ومن الدليل على ذلك أن لوطًا غ لما نهى قومه عن الفاحشة أمروا بإخراجه وإخراج أهله لكونهم امتنعوا عن الفاحشة واعتبروها جُرمًا يعاقب فاعله.

ومن الدليل على ما ذُكر أيضًا قول قوم فرعون لفرعون عليهم لعائن الله، قولهم له في شأن موسى غ وقومه: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾. فوصفوا موسى غ بأنه مفسدٌ في الأرض وهو الكريم الكليم من أولى العزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

وكذلك ما صنعه أهل الإجرام أصحاب الأخدود مع المؤمنين في زمانهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

وأيضًا في هذا الصدد، وبالنظر إلى ما كان يصنعه فرعون من دعوى الإلهية والربوبية، وقوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾، وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. وما كان يصنعه من ذبحٍ للأطفال وتعبيد للرجال واستحياء للنساء؛ للامتهان والإذلال، مع ذلك كله يقول لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

وغير ذلك كثير وكثير كوصف أهل الإجرام للأنبياء عليهم السلام بأنهم سحرة، وكهنة وكذبة وغير ذلك من الأوصاف التي نزَّه الله عنها المرسلين.

والسبب في ذلك، والحامل عليه: والله تعالى أعلم، ما قد غش قلوب هؤلاء الكفار واعتراها من آثار الكفر والكبائر، والذنوب والمعاصي، فهذه قد تركت على القلوب سوادًا فأصبح أصحابها لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، بل وأصبحوا يرون المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، كما قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى**

يَغْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ٥ فِي الْقُرآنِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»(1).

وعند مسلم من حديث حذيفة ف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(2).

ومن الفوائد: أن العذاب قد يحلُّ أحيانًا بالمؤمنين المتواجدين بين الظلمة وأحيانًا يحفظ الله أهل الإيمان وينجيهم، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

وقوله ﷺ: وقد سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَث**»(3).

وقوله ﷺ: «... **يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ** »(4).

---

(1) أحمد بسندٍ حسن (2/ 297)، والترمذي (3334) من حديث أبي هريرة ف مرفوعًا.

(2) مسلم (حديث 144).

(3) أخرجه البخاري (3346) ومسلم (2880).

(4) أخرج البخاري (2118) من حديث عائشة ف قالت: قال رسول الله ﷺ : «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ** (وهي الأرض الملساء) **مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ** »، قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: .... فذكر الحديث.

وعند الترمذي بسندٍ صحيح(1) عن رسول الله ﷺ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»**.

أما الأدلة على إنجاء أهل الإيمان والانتقام من الظالمين فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك بالنسبة لمدائن قوم لوط قبل أن تُدمر، أخرج الله لوطًا وأهل بيته إلا امرأته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 25].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 165].

ومن الفوائد: بيان عقوبة من فعل فِعل قوم لوط وعن أقوال العلماء في ذلك، فأقول، وبالله التوفيق:

أولًا: قد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأبو داود والبيهقي(2) وغيرهم من حديث ابن عباس ﭭ عن رسول الله ﷺ: **«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ»** لكنه معلول ومستنكر.

أما عن أقوال أهل العلم: فقد أوجزها الإمام الترمذي خ فقال: واختلف أهل العلم في حد اللوطيّ، فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالكٍ والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم: الحسن البصري،

---

(1) أخرجه الترمذي (حديث 2168).

(2) أبو داود (حديث 4462)، والترمذي (1455، 1456)، والبيهقي في السنن الكبرى (8/ 232).

وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وغيرهم قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة.

وقال ابن قدامة في «المغني»(1): واختلفت الرواية عن أحمد $ في حده؛ فرُوي عنه أنَّ حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا وهذا قولُ عليّ، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن معمر، والزهري، وأبي حبيبٍ، وربيعة، ومالك، وإسحاق، وأحدُ قولي الشافعي، والروايةُ الثانية، أن حده حدُّ الزاني. وبه قال سعيد بن المُسَيَّب، وعطاءٌ والحسنُ، والنَّخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهورُ من قولي الشافعي.

ومن الفوائد بيان أنه: كثيرًا ما تُترك للمجرمين الذين انتقم الله منهم آثارٌ حتى يعتبر بها من اعتبر ويتذكر بها من تذكر.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون لما أغرقه وأهلكه: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: 92].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم وببلادهم: ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر: 76].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: 137، 138].

وقوله تعالى في شأن قوم ثمود: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: 52].

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة مع قوم لوط أيضًا: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ

---

(1) ابن قدامة الحدود ص (349).

مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

وأيضًا فقد ترك الله سبحانه وتعالى سفينة نبي الله، نوح ﵇ ذكرى يتذكرها من تذكر وعبرة يراها من اعتبر ويستفيد منها من استفاد، لقد تركت دليلًا على إنجاء الله أهل الإيمان وانتقامه من أهل الكفر والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: 15].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: 11].

ومن الفوائد بيان أنه: أنه لايُقال عن الرجل الذي يفعل هذه الفاحشة لوطي بل يُقال: «يفعل فعل قوم لوط».

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه انتهى إلى هذا القدر ما أحببت إيراده من قصة الخليل غ وآل بيته وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وكذا قصة لوط غ فبه أجتزئُ، وما كان من قصور أو خطإ أو نسيان أو زلل فأسأل الله أن يتوب عليَّ ويغفر لي، وما كان من صواب فالمنة والفضل لله ٥ وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

واسأل الله أن يلحقني وأزواجي وذريتي والمؤمنين والمؤمنات بهؤلاء المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن يرزقنا اتباع سبيلهم والاقتداء بهم وأن يسكننا الفردوس مع نبينا الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، وعلى آله وصحبه الكرام -رضي الله عنهم أجمعين- والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

مصر □ منية سمنود □ أ جا □

دقهلية

NNO PMM

الفهرس

المقدمة .... ◇
الفصل الأول: التعريف بالخليل إبراهيم غ وبيان وجوه اصطفائه ومناقبه وكذا بيان أوصافه ﷺ نسب إبراهيم ﷺ وشيء من التعريف به إجمالاً............... ◇
وجوه اصطفاء إبراهيم وآل إبراهيم على العالمين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .... □□
بابٌ في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.......... ◇□
وصف إبراهيم ﷺ بالكريم.. △□
بابٌ: في وصف خليل الرحمن إبراهيم غ .... ▶□
صفة نبينا محمد ﷺ تلك التي تشبه صفة الخليل غ .... ◇□
الفصل الثاني: قصة الخليل إبراهيم غ مع قومه عُبَّاد الأصنام وإنكاره ما هم عليه من العبادة الباطلة ومناظراته ومحاجاته لأبيه وقومه وتحطيم الأصنام وإلقاؤه في النار ونجاته منها وجعلها عليه بردًا وسلامًا .... ▭▭
الآيات الواردة في قصة خليل الرحمن إبراهيم غ من سورة الأنبياء وتفسيرها .... ▭▭
الآيات الواردة في قصة إبراهيم غ مع قومه من سورة الشعراء وتفسيرها. ▭◇
الخليل غ يواصل الثناء على الله ٥ ويواصل تمجيده وحمده ويُعرِّف القوم بربه جل وعلا .... △◇
بعض دعوات الخليل إبراهيم غ.. ■◢
الآيات الواردة في قصة إبراهيم غ مع قومه عبدة الأصنام من سورة الصافات .... ◇◢
ذكر نبي الله إبراهيم غ من سورة الأنعام .... ▶△
قصة إبراهيم غ مع أبيه ودعوته إلى الله ٥ .... ▶◇
تكرير الأمر بالتأسي بإبراهيم غ وبالذين معه والتأكيد على ذلك............ ◇□□
ذِكر الوارد عن إبراهيم غ من سورة العنكبوت وشيء من قصته مع قومه□▭□

الفصل الثالث: هجرة إبراهيم ﭺ من بلاده بعد أن دعا أهلها إلـى الله ٥ فرفضـوا دعوته إلا أن لوطًا ﭺ آمن له ....
قدوم إبراهيم ﭺ إلى مصر مع زوجته سارة ﭸ ....
بيان الكذبات الثلاث التي كذبها إبراهيم ﭺ.................................
الفصل الرابع: قصة ذهاب إبراهيم ﭺ بهاجر وابنها إسماعيل ﭸ إلى مكة وحفر زمزم ورفع القواعد من البيت ....
الفصل الخامس: قصة إبراهيم ﭺ مع الملائكة................................
مجادلة إبراهيم ﭺ للملائكة في شأن قوم لوط وتذكيرهم له بأن يعرض عـن هـذا الجدل في شأنهم...
قصة إبراهيم ﭺ مع الملائكة من سورة الحِجر ....
الخليل إبراهيم ﭺ يسأل الملائكة عن وجهتهم............................
قصة إبراهيم ﭺ مع الملائكة من سورة العنكبوت ....
قصة إبراهيم ﭺ مع الملائكة من سورة الذاريات.........................
الفصل السادس: قصة الذبيح رؤيا الخليل ﭺ أنه يذبح ولده وامتثاله وولـده أمـر الله ٥، ثم فداء الابن بذبح عظيم.......................................
بحثٌ في الذبيح من هو ....
وصف الذبح العظيم الذي فُدِّي به إسماعيل ﭺ ....
الفصل السابع: مزيد بيان للابتلاءات (الاختبـارات) التـي ابتلـى بهـا إبـراهيم ﭺ
آيات من سورة البقرة وردت في ذلك مع بيان معانيها وتفسيرها ....
اختتان إبراهيم ﭺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم ....
الفصل الثامن: ذِكر إبراهيم ﭺ مـن سـورة إبـراهيم وفيـه دعـاء الخليـل ﭺ لمكـة ولأهلها ولذريته وسؤاله ربه الثبات على التوحيد والإبتعاد عن الأصنام والثبات على إقامة الصلاة وسؤال الله القبول والمغفرة ....
الفصل التاسع: إبراهيم ﭺ والبيت الحرام ....

(474) أحمر
أسود

مقام إبراهيم غ والأمر باتخاذه مُصلى .... ▭▭▭

أمر الله ٥ إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود .... ▭▭△

ومما ورد في البيت والمقام أيضًا من سورة آل عمران .... ▭▭◇

دعاء إبراهيم غ لمكة وأهلها .... ▭▢▯

بناء الكعبة.. ▭▢◇

دعاء إبراهيم وإسماعيل ث لأنفسهما وذريتهما، ودعاؤهما أن يبعث الله ٥ رسولاً كريمًا من مكة لأهلها .... ▭◇▭

إجابة دعوة إبراهيم وإسماعيل ث وقول النبي ﷺ «أنا دعوة أبي إبراهيم» .. ▭◇◢

نبي الله إبراهيم غ يُنهي عن الشرك ويؤمر بتطهير المسجد الحرام ويؤمر أن يؤذن في الناس بالحج .... ▭◇△

إبراهيم غ يُحَرِّم مكة بإذن الله .... ▭◇▭

تقاصر قريش عن بناء الكعبة على قواعد إبراهيم غ .... ▭◇◇

الفصل العاشر: مزيدٌ من عظيم الإكرام لإبراهيم غ ....▭◇◇

إبراهيم غ من أولي العزم من الرسل .... ▭◇◢

آيات من سورة النحل في ذِكر خليل الرحمن إبراهيم غ وبيان أنه كان مطيعًا لله شاكرًا لأنعمه وأن الله ٥ اختاره وهداه وأكرمه في الدنيا والآخرة والأمر باتباع ملته ﷺ .... ▭◇◇

دعوات وتعويذات إبراهيم غ لإسماعيل وإسحاق ث .... ▭◢◇

الثناء الحسن على إبراهيم غ في الأمم التي جاءت من بعده وبيان معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ .... ▭◢◢

معنى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ .... ▭◢▶

شيءٌ من الوارد في صلاتنا على إبراهيم ﷺ .... ▭◢◇

رؤية رسول الله ﷺ إبراهيم غ ليلة المعراج في السماء السابعة وفي ذلك منقبةٌ له وتوهيم رواية من روى أنه رآه في السماء السادسة .... ▭△▯

(475) أحمر
أسود

بيان أن إبراهيم غ كان حنيفًا مُسلما وبيان كذب المشركين واليهود والنصارى في دعواهم أنه كان منهم .... ▭△▢
التحذير من ترك دين الإسلام ومخالفة ملة إبراهيم غ .... ▭△◇
مزيدٌ من الاستدلالات على أن إبراهيم غ كان على الإسلام................ ▭△△
مزيدٌ من الاستدلالات على أن إبراهيم غ كان حنيفًا ولم يكن من المشركين وبيان معنى الحنيف.. ▭△◇
وهذا مزيدُ بيان لمعنى الحنيف فقد وصف إبراهيم غ به..................... ▭▶▯
التأكيد على أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على الإسلام ولم يكونوا يهودًا ولا نصارى.................................. ▭▶▢
وصية إبراهيم غ أبناءه بالثبات على الإسلام والوفاة عليه.................. ▭▶◇
الثناءُ على ملة إبراهيم غ وبيان أن ملة إبراهيم غ، سهلةٌ ليس فيها حرجٌ . ▭▶◇
أمر المسلمين بالإعلان عن إيمانهم وإسلامهم وإيمانهم بالكتب المنزلة من عند الله عمومًا ومنها الكتب المنزلة على إبراهيم غ .... ▭▶◇
ذِكر طائفة من الأنبياء عليهم السلام وهل هم من ذرية نوح غ أم من ذرية إبراهيم غ والأمر بالاقتداء بهم.. ▭◇▭
الفصل الحادي عشر: فصلٌ في أبواب متفرقة في شأن الخليل إبراهيم غ محاجة إبراهيم غ للملحد العنيد (النمرود) .... ▢■▭
قصة إبراهيم غ مع الطير التي أحياها الله له إبراهيم غ يطلب مزيدًا من الأدلة لطمأنينة قلبه مع كونه إمام التوحيد .... ▢■◇
كذب المشركين على إبراهيم وإسماعيل ژ بتصويرها وهي يستقسيمان بالأزلام.. ▢■▶
الأمر بقتل الوزغ لكونه كان ينفخ على إبراهيم غ في النار .... ▢■▶
اعتذار إبراهيم ﷺ عن الشفاعة العظمى يوم القيامة .... ▢▯■
إبراهيم غ يرغب (أي يلجأ) إلى رسول الله ﷺ للشفاعة العظمى يوم القيامة▢▯▯
إبراهيم غ أول من يُكسى من الخلائق يوم القيامة............................ ▢▯▯

(476) أحمر

أسود

التفاف أولاد المشركين حول إبراهيم غ في رؤيا منامية لرسول الله ﷺ ... ▭▯□

لقاء إبراهيم غ بأبيه آزر يوم القيامة وماذا كان في هذا اللقاء .... □▯□

وصية الخليل غ ووفاته.. □▯□

وصية الخليل غ لأبنائه بالثبات على الإسلام حتى الممات .... □▯□

ذكر وفاة إبراهيم الخليل وما قيل في عمره..................................◊▯□

قصة إسماعيل غ.. △▯□

عمل إسماعيل غ وقد كان راميًا .... ▭▭□

إسماعيل غ ومساعدته لأبيه في بناء الكعبة .... □▭□

إسماعيل غ والإيحاء إليه والكتاب الذي أنزل عليه .... ◊▭□

إسماعيل غ صادق الوعد.. ◢▭□

خصال كريمة لإسماعيل غ وبعض فضائله .... △▭□

إسماعيل وأهل بيته .... ▶▭□

وقد كان إسماعيل غ مُسلمًا .... ▶▭□

ذرية إسماعيل غ ووفاته... ◊▭□

ذِكر نبي الله إسحاق غ.. ▌□□

ذِكر نبي الله يعقوب غ واسمه أيضًا (إسرائيل)............................. ◊□□

استقرار يعقوب غ وأهله في مصر وقليل من الحديث عن بني إسرائيل... ◊◊□

بيان الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه ولماذا حرَّمه على نفسه، وفائدة الإخبار بذلك .... ◢◊□

قصة نبي الله لوط غ التعريف بهذا النبي الكريم، وذكر قصته إجمالاً....... ▌◊□

دفعُ إشكال..▯◊□

نبي الله لوط غ يُحذر قومه وينذرهم .... ◊◊□

والتجأ لوط غ إلى الله داعيا راجيًا .... △◊□

إرسال الملائكة إلى قوم لوط لتدمير مدائنهم ولإحلال النقمة والعذاب بهم ▌◢□

الملائكة و يُوصون لوطًا غ بالخروج من البلاد وقت السحر بمن آمن معه،

وبأهله إلا امرأته ويبشرونه بهلاك هؤلاء القوم وقت الصباح............ ◢◢▢
موعد العذاب عند الصباح.. △◢▢
العقوبات التي أحلها الله ٥ بقوم لوط................................ △◢▢
إنجاء لوط غ .... ◇◢▢
عِبرةٌ للمعتبرين .... ◇◢▢
ذكر الآيات الواردة في هذه القصة المباركة من سور الكتاب العزيز مع تفسيرها ذِكر نبي الله لوط غ وقصته من سورة الأعراف .... ■△▢
ذكر قصة لوط غ من سورة هود .... ◇△▢
ذِكر قصة لوط غ من سورة الحجر .... ■◇▢
ذكر لوط غ من سورة الشعراء .... ▢■◇
ذِكر نبي الله لوط غ من سورة النمل.................................. ■▯◇
ذِكر نبي الله لوط غ من سورة العنكبوت .... ◇▯◇
وصول الملائكة إلى لوط غ...................................... ■▭◇
ذكر قصة نبي الله لوط غ من سورة الذاريات.......................... ▢▭◇
ومن سورة النجم.. △▭◇
ذِكر نبي الله لوط غ من سورة القَمَر وبيان ما حلَّ بقومه من أليم العذاب .. ▶▭◇
قول رسول الله ﷺ: «يرحم الله لوطًا لقد كان يأوى إلى ركن شديد» وفي رواية: «يغفر الله للوطٍ إن كان ليأوى إلى ركن شديد»........................... ▢▢◇
المراد بخيانة امرأة لوط.. ◇▢◇
فصل في الفوائد المستنبطة من قصة الخليل إبراهيم غ وكذا من قصص إسماعيل وإسحاق ويعقوب و فوائد في أبواب الإيمان والمعتقد .... △▢◇
فصل في فوائد في أبواب متفرقة .... ▶◇◇
الخاتمة .... ▯△◇
الفهرس.. ▭△◇